إســـرا

عنوان الكتـاب: إسـرا
المـــوضـــــوع: روايـــة
التـأليـــــــف: سالم محمد
مراجعة لغوية: دعاء فرج
الإخـراج الفنى: محمود عنتر
تصميم الغـلاف: عبد الرحمن محمد
رقـــم الإيـداع: 1840 / 2021
الترقيم الدولى: 5 -198 -844 -977 -978
الناشـــــــر: منشورات الفنار

www.facebook.com/elfnaar
elfnaar@gmail.com

ڤيلا الأشراف- أمام بوابة هليوبوليس- مدينة بدر- القاهرة الكبرى
المدير العام / أ. مصطفى أمين

منشورات الفنار

01013483506
01550102499

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

إســـــرا

روايــة

سالم محمد

الفصل الأول

قبل الحكاية

البر الغربي، الأقصر
"على مقربة من أرض غُجار"
1989/1/7 1:00 ظهرًا

حديث مع بنت الغجر.

إســراء تلك الصغـيرة التي ظلت بين حين وآخر تجلس بمفردها في حديقة قصر العشتـار، وما للفتاة إلا هذه البقعة التي سمحوا لها بالجلوس عليها، وما لها أن تقترب مـن الجانب الخلفي للقصـر إلا وتحذرها جدتها، حيث لن تتركهـا ترى ميرين ثانية، علـى الرغم من صغر سنها هي الأخـرى، والوحيدة في هذا المكان التي يتقارب عمرها لإسراء، كانت الجدة تقف دائمًا بين أي أحد من هؤلاء القوم وحفيدتها، لكن إذ تغافلها صغيرتهـا ذات مرة، وعرفت طريقها إلى "أرض غُجار" حيث لعادة غريبة تجد إسراء كثـيرًا البوابة الخلفية للقصر مفتوحة، رغم حرص أهلها على تركها دائمًا مقفلة حتى لا تفتح عليهم طريقًا يصل بهم لأرض ما سمعوا عن أهلها خيرًا يُذكر.

وكالمعتـاد كلمـا تذهب إســراء للبوابة الخلفيـة وتجدها مفتوحة تـدرك أن ميرين تجلس بالخارج، فتخـرج وتذهب لها، ولكن تلك المرة تغـيرت عليها بنت الغجر، حيث كان الحزن يخُيم عليها:

- إسراء: ميرين، مش هتيجي تلعبي معايا؟
- ميرين: لا أنا مش عايزة أقوم من مكاني.
- إسراء: ليه! أيه ده هو إنتي بتعيطي؟
- ميرين: عشان النهارده بس اتأكدت أني عمري ما هعرف أشوف أمي خالص.
- إسراء: هي أمك ماتت؟

– ميرين: اه، وقالولي ما أجيبش سيرتها تاني ولا أسأل عن مكانها، وكمان عم بدر قالي اسكتي يا ميرين بلاش تجيبي السيرة دي مع حد، بدل ما يؤذوكي وخصوصًا مع بدريسا.

– إسراء: طب ليه بدريسا بتعمل معاكي كده؟!

– ميرين: مش عارفة بس أنا مش عايزة أقعد معاهم تاني، ولا أعتب غُجار دي بالذات.

– إســراء: معلش مــا تزعليش أنــا كمان ماما عمــري ما شفتها، عشــان هي عند ربنــا وتيته "أنورين" بتقولي إنها كانت أطيب واحــدة في الدنيا، كنتي هتحبيها أكتر لو شفتيها يا إسراء.

– ميرين: تيتة أنورين؟! هي أنورين هانم صاحبة العزبة والقصر دول تبقى جدتك؟!

– إسراء: اه بس أنا ما بقتش أحب العزبة ولا عايزة أقعد في القصر كمان، تيتة ما بترضاش تخليني أنزل الجنينة اللي ورا، وبقت بتحبسني وتسيبني لوحدي في أوضتي.

– ميريــن: واشمعنا الجنينة دي، مــا قصركم فيه جناين كتــير واسعة، ده العزبة كلها كمان!

– إسراء: عشان أنا ما بحبش غير الجنينة دي، وردة قبل كده قالتلي أن ماما كانت بتحــب تقعد فيها دايمًــا، وتيته بقالها فترة ما بترضاش تخليني أقرب منها، وبتقولي إنها خايفة عليا أحسن حد من المرازيق يشوفوني.

– ميرين: المرازيق! ما المرازيق دول يبقوا هما هما الغج...

"وقبل أن تكمل ميرين كلامها مع إسراء، سمعت بنت نادية صوت جدتها، التي بحثــت عنهــا في كل مــكان بالقصر، متمنيــه ألا تكــن حفيدتها كــررت فعلتها وذهبت لميريــن مرة أخــرى، ولكن فعلًا حدث ما لم تتمناه، حيث فوجئت الجدة بالباب الخلفي مفتوح، فخرجت ونادت على حفيدتها"

– أنورين: إسراااااااااااء!

"فوجئت بسماع صوت جدتها التي أتت خلفها إلى الخارج، رغم سيرها بكرسي المتحرك"

- إسراء: هاااااااا دي تيتة أنورين!

- أنورين: إنتي أيه اللي جابك هنا والباب اتفتح إزاي واحنا قافلينه بالمفاتيح؟!

"وفي برهه جذبت حفيدتها من يديها، ونظرت في عيني ميرين، التي اكتفت بجعل نظرتها تجيب عن كُره أنورين، وأهل عزبة العشتار لها ولأهلها، حتى جعلت أنورين تشعر بخوف يسري في نفسها فتركتها، وأسرعت بإسراء لداخل القصر مرة أخرى، وأغلقت أبوابه في وجه بنت الغجر"

"عوده للماضي حيث عام (١٨٩١م)حينما عرف الغجر عهدًا جديدًا عليهم" عدة ليالٍ قبل ميلاد إسراء.

كانت الأيام التي تعرفت فيها إسراء على ميرين في عام (١٨٩٨م) حيث كان عمر كلًا من إسراء وميرين حينها سبع سنوات، لكن قبل ذلك ومنذ ثماني سنوات في آواخر عام (١٨٩١م) قبل أن تضع نادية ابنتها إسراء أو حتى تُولَد ميرين، كان الغجر قد وصلوا بالفعل للبلد، وسكنوا في بيوت "غُجار" بالبر الغربي من الأقصر، حيث استقروا بالقرب من عزبة العشتار، وبمجرد أن انتشرت أخبار وصول الغجر في البلدة كلها ظهر الخوف بين الأهالي، حيث لم يسلم منهم من كان يسكن معهم في البر الغربي، بل وحتى الذين كانوا بعيدًا عنهم في البر الشرقي، حيث قبل قدوم إسراء كانت حوادث سرقة المرازيق للأطفال وقتلهم على أشدها في كل مكان، وما قد جعل روح تلك الصغيرة "إسراء" تسلم من إيديهم هو عهدًا، أخذوه الغجر على أنفسهم وعرفه أيضًا أهل البلد عنهم، حيث أصبحوا لا يخرجون من أرضهم "غُجار" إلا في آخر عشرة أيام من السنة، حيث وإن كان ليعاد تلك الأيام أن يحل حينها فقط تبدأ أقدام المرازيق بزيارة أماكن أخرى خارج أرضهم، ولا يستطيع أحدًا منهم أن يعصي

أمرًا لبدريسا، ابنتهم التي أخذت عليهم هذا العهد، حيث لم يخرج قط أي غجري من أرض غُجار، إلا في تلك العشرة أيام فقط، وهذا ما قد جعل أهل العشتار يطمئنوا قليلًا لقـدوم ابنتهم، بعدما صادفت ليلة ميلادها أنها أتت بعد سريان عهد الغجر فوضعتها ناديـة في ليلـة لم يكن أي غجري ليخطو بقدمه خارج حـدود غُجار أبدًا، إلا فقط بأمر من بدريسا، ولكن تلك الغجرية كانت ليست متواجدة في أرض الغجر حينها، حيث وإن كان هنـاك عهـدًا قد أخذته على بقيـة الغجر، فهي لا يسري عليهـا أي عُرفًا أو عهدًا، حيـث بالفعل في ليلـة ولادة إسراء كانـت بدريسا خارج أرض الغجـر هي وعطية لعدة أيام، حيث في تلك الأيام كانت تتواجد في البر الشرقي، تُمني نفسها لقاء واحدة منهم، وتم لهـا ذلك حينما حلت ليلة العاشر من نوفمبر عـام (١٨٩١م) تلك الليلة التي كتُب لها أن تلتقي بتلك التا إبتعدت عنهم منذ زمن، وأخفت حالها عن بقية الغجر، حتى عن بدريسا نفسها في حارة مصباح.

البر الشرقي، الأقصر

"غُرباء على حارة مصباح"

2:00 1981/11/10 منتصف الليل

تلك التي استهوتها الشياطين.

في حضرة أهل مشارق الأرض ومغاربها؛ غفلت أعين الناس عن كل ما كان عندهم مذمومًـا مُحرمًا، فالرحمة ربك التي جعلـت للمرازيق آخر بيوت البلدة، وأبعدتهم عن كل ذي زرع أو إنســن، مــا كان أحدًا قريبًا منهم بالقريــة، كما يكون حال عزبة العشتار، حيــث تسكن إسراء وعزوتها بجانب هؤلاء الغجر في أرضهم، وكانت غُجار ليست بتلك الأرض التي يُحمد عقباها إثر جيرتها.

فمــا هم إلا ملاعين بأرضــ الله، وما كان لهذا الحال الدوام إلا أن عرفهم المالكية وأسكنوهــم بيوتًا في أرضٍ بآخــر القرية بالقرب من إسراء وأهلهــا، حيث صار الغجر وحدهم من يجاوروهم.

إن كان لــكل مُخطــئ عقابــه، فهُنا تكون الجريمــة والعقاب أداتــان في يد غجرية أرادت بالناس سوءًا، وما عرفت لهم سبيلًا إلا بالهلاك.

– عطية: ها يا بدريسا شايفة أيه، تحبي نخلص عليها وخلاص.

– بدريسا: لأ، وأسيبها تموت بسهولة كده وترتاح، أنا عايزة ابنها.

– عطية: أيه ابنها؟! اه بس البت لسه هتولد النهارده أو بكرة.

– بدريســا: يبقــى مــن نص الليــل نكون موجوديــن في حارة مصبــاح، ناخد الواد ونسيبهــا مرميــة، وخلاص "هبــة" صحتهــا راحت خالــص، وشكلهــا لازم مستشفى ورعايــة، وهي لا هتقدر على فلوس مستشفــى ولا دكاترة، فهتولد في البيت وساعتها أم جميل الداية هي اللي هتولدها، ومحدش هيبقى معاهم في البيت خالص، عشان جميل

ابـن الداية سمعت أنه لسه مسافـر اسمعني كويس يا عطية! أنا وإنت بس اللي هنروح، أم جميل عايشة معاها أساسًا في نفس البيت في الدور الأرضي، هتطلع إنت من الشباك تجيب الواد، وتنزل ومش عايزة أي قلق.

إلى ذلـك الـذي انكتبت لـه حياة أخرى قبـل أن يخرج من رحم أمـه، عساه يكون قـدرك أخـف مما أراد لك المرازيق، فما وصلت يد الغجر لأحدًا من قبل إلا وكان الموت رحمة يتمناها.

وبحلول الثانية ليلًا في انتظار تلك المسكينة التي لا يتواجد معها إلا جارتها العجوز التي تداويها في حملها، خرجت أولى صرخاتها مع وصول الغجر إلى "حارة مصباح"، ومكثوا أسفل غرفتها منتظرين قدوم ما في رحمِها، حتى يصبح لهم للأبد.

- عطية: شكلها ولدت خلاص يا بدريسا.

- بدريسا: استنى لحد ما اللي بتولدها دي تنزل هخدرها واطلعلها إنت وهبقى أحصلك.

غريب آخر على حارة مصباح.

في الثانيـة والنصف كان ذلك المتسلل الذي لا يعـرف شيئًا قط عن هذه الحاره أو أهلهـا يتحرك خلسة في المنزل، باحثًا عـن أي شيء يسرقه ويهرب، لكنه لم يسمع غير ذلـك المولود الذي ظل يصـرخ بشدة، فعاد من طريق هروبه وعـدل عن قراره، حينما لاحـظ عدم وجود أحدًا بالبيت، وربما يكون ثانية بهـذه الدار ذلك الطفل فقط، ففتح الهجـام باب الغرفة بحذر؛ ليجد امرأة وضعت طفلها منذ لحظات قليلة فاقدة وعيها، وتعرق إثر حمى أصابتها، ومولودها جانبها لا حيلة له إلا البكاء.

فمـد الهجام يده إليه وضمه واحتضنه بحرارة، فهـو أيضًا أب وقلبه ينبض رحمة لصغيرته، التي ما كان يسرق إلا ليعالجها؛ لأنها أوشكت أن تودع عالمنا، وتلحق بزوجته التـي توفت منذ ثـلاث سنوات، وأخذها الموت بعد أن باع كل مـا ملك أملًا في شفائها،

ومن بعدها يحاول أن يعالج ابنته بأي ثمن، ولكن لسماع الهجام صوت عطية الذي يقف خلـف الشباك من الخـارج، محاولًا فتحه ووضع المولود بجانـب أمه ثانية، وخرج يقف بباب الغرفة، ليرى من سيحل عليها وما مبتغاه.

وبالأسفـل حيث تعيشـ أم جميل هي وابنهـا ذهبت لها بدريسـا حتى تمنح عطية بعض الوقت.

– بدريسا: أم جميل أنا بدريسا افتحي، عايزة أطلع أطمن على هبة.

– أم جميل: ازيك يا بنتي اتفضلي، كده برضو يا بدريسا تسيبوا البنت وهي تعبانة كده، ده أنا كنت هغير ورايحة أشوفلها دكتور، لازم تتنقل حالًاأاي مستشفى دي جاتلها حمى وبتتنفض.

– بدريسا: لالا يا حجَة ما تقلقيش أنا جيتلها اهو، وقولت لعطية يجيب دكتور وجاي ورايا.

– أم جميل: فيكي الخير يا بنتي، اطلعيلها إنتي طب، وأنا هجيبلها بطانيتين وأحصلك.

– بدريسـا: ودي تيجـي هاتي أنـا أشيل عنك، بس إلا قوليلي يـا أمي هو ابنك لسه مسافر؟!

وبالأعلى فتح عطية الشباك، ودخل غرفة هبة ليراها نائمة بجانب طفلها، فينظر لها في غضب ثم يتركها ويذهب ليأخذ مولودها، وحينما بدأ يمد يده نحوه وجد الهجام يهجم عليه وصار يلكم عطية، الذي سقط أرضًا لكنه سرعان ما قام ثانية، ودفع الهجام بقوة فجعله ينقلب على ظهره، ولكن لتمتع هذا اللص برشاقة عالية جعل محاولة عطية للإجهـاز عليه وهـو بيده خنجر تنقلب ضـده، حيث وقف الهجـام في لحظات وأسقط عطيـة على الأرض، ونزع الخنجر مـن يده وغرزه مرارًا في قدمه اليسرى، حتى أوشك علـى تعجيزها، ولكن قبـل قيامه بفعل أي شيء آخر، أظهرت بدريسا نفسها وهي تقف أمامه تتابع مشهدهم من بدايته في صمت لا يُحرك لها ساكنًا.

وكانت أولى رؤياه لتلك التي اجتمع حسُن خَلق اللّه أجمعين في وجهها وقوامها، كان يشعـر أيضًـا أن شرها وكيدهـا لا يساويه ما ملك أهل الأرض بأكملهم، فرفع الهجام عينيـه إليهـا ببطء، ليراها بابتسامـة دائمًا كانت تُحب رسمها علـى شفتيها، وما كان أحـد ليطمئن بعـد أن يراها بها قط، ثم بدأت بهدوء تثنـي ركبتيها لتجلس أمام الذي صـار يتأملهـا، وبات لا يرجو إلا شفاعة وذِكر للّه ذلك الحين، فرحمة ربك التي وسعت كل شـيء ما كانت لصاحبـة البشرة البيضاء أي فِعله حينهـا إلا أن رفعت فقط غطاء رأسهـا من عليها لتجعله يتدلى على ظهرها ثم ثبتت الكحيلة عيناها عليه، وبدأت تمد يدهـا بهدوء لتأخذ منه الخنجر، فصار هـو طوعًا لها لا رد فعل له، وحينها لمحت بنت الغجـر جرح بيده من أثر خنجرهـا، الذي مدت يدها نحوه في خفوت لتأخذه، ثم مدت يدهـا لوجهه فشعر ببرودتهما، وأحست هـي في كفيها برجفة قد بدأت تسري بجسده، فتبسمت بعدما أدركت ما حل به، وظلت على حالها ساكنة تراقبه، وهو يهوى بين يديها مغشيًا عليه.

فتركتـه وقامـت لعطية وناولته ما يبطل مفعول المُخدر، الـذي صار ساريًا بعروقه، بعـد طعنات الهجام لـه بالخنجر في قدمه، ومن ثم اتجهت لصرخـات المولود فرفعته إليهـا، ولم تمر لحظـات إلا وكان الصغير هادئا بين ذراعيها، ثـم سمعت بدريسا هبة وهـي راقدة، واشتـدت الحُمى عليهـا حتى جعلتها تهلوس، فوضعـت الغجرية المولود أرضًـا، واقتربت منها وربتت على رأسها، لتفتـح هبة عيناها لتجد أمامها تلك التي ما تمنت في يوم أن يجمعهما القدر مرة أخرى، فانتفضت في خوف وحاولت إبعادها عنها، لكن بدريسا بنظرة واحدة جعلتها تسكت وأمسكت يدها.

– بدريسـا: اهـدي يا حبيبتي، مـا تفكريش في حاجـة دلوقتي، المهـم أنك تقومي بالسلامة بس.

– هبه: البنت، بنتي فين يا بدريسا؟!

– بدريسا: بنت! بنت أيه يا هبة؟! ده إنتي جبتي واد وكان زي القمر يشبهلك، المهم بس سيبك منه دلوقتي ونامي أنا بعتت أجيبلك دكتور.

– هبه: واد! إزاي دي أم جميل قالتلي إنها بنت، طب هو فين أنا عايز أشوفه.

– بدريســا!!!! –عمدت بدريسا أن تظهر قلقها واضطرابها أمام هبة فور ما سألت عن ابنها–.

– هبه: مالك سكتي ليه ابني فييين! –في قلق وخوف ارتفع صوت هبة الضعيف–

– بدريسا: ما تجوزش عليه إلا الرحمة يا هبة.

ومــا كانت بدريسا ستجعلها تنطق بأي كلمة بعــد أن أخبرتها بموت صغيرها، لكن وفرت هبة عليها عناء قيامها بأي فعله من الأساس، فما وإن سمعت خبر مولودها الذي لم ترَه عيناها إلا وعادت لغيبتها ثانية، ولما بدأ عطية يتحرك ساعدته الغجرية لينهض تاركـين الهجام خلفهم، ليحمـل عنهم ذنب التي باتت بفراشهــا ولا يُعرف إذا ما بقى بعمرها ليالٍ أخرى تُعد أم لا، حيث وإن بقت راقدة هكذا ستفارق دُنيانا خلال ساعات، إذا ظلت بحالها هذا دون ما ساعدها أحدًا.

وقبل رحيلها، طالت نظرتها للذي تركته على الأرض، ليحمل عنهم وذرهم كما أنه تجري بعروقه مزيجًا من سُم ومخدر أطعمت به خنجرها، الذي جرح يده، فتوقفت ولا يُعرف مبتغاها أحدًا.

– بدريسا: استنى.

– عطية: أيه! ناوية على أيه تاني؟!

– بدريسا: تعالى، كتفه في الكرسي وشربه ده يفوقه.

– عطية: نعم أشربه أيه؟! بدريسا! ما تسيبيه يتنيل يتسمم ويموت

– بدريسا: اسمع الكلام وخلاص، وخُد اربطه كويس ورجع الخنجر ده في إيده تاني.

ببدايـة استعادته لوعيه مـرة أخرى وجد الهجام نفسـه بالكرسي، وفي يده خنجر عليه آثـار دمائه، وكانت هي جالسة أمامه ممسكه ببطاقة هويته، وأوراق أخرى عليها أثر دماء أيضًا.

– بدريسا: إنت عارف لحسن حظي أني لسه فاكرة شوفتك فين قبل كده، مش إنت اللي اتقبض عليك من سنتين في البر الغربي؛ بسبب سرقة فيلا محسن الملاح؟

– الهجام: يا محاسن الصدف طب خير وعايزين أيه تاني، ما إنتوا خلاص خدتوا ضناها اللي لسه ما لحقتش تحفظ ملامحه حتى، وهتحرقوا قلبها عليه يا ولاد الكلاب.

– بدريســا: نحـرق قلبهـا! وكنت تعرف أيه إنـت عن حرقة القلـب! وبعدين ده إذا عاشت أساسًا بعد اللي بقت فيه، وأنا كنت جايه عشان الواد فعلًا بس قضاء الله بقى، الواد –الله يرحمه– مات.

– الهجام: يا بنت الأوساخ كمان قتلتيه! ده كان عايش وأنا كنت شايله بإيديا.

– بدريســا: لالا، اهدى ما تقولش كـده ده عمره اللي ربنا كتبهوله، ودي حاجة مش بإيدينـا، ولا تحـب تشيل كمان قضية قتله مـع سرقتك للغلبانـة دي، والله أعلم يمكن تكون إنت كمان سبب موتها، مش قولتلك إنها حظ رماك في سكتي والليلة دي بالذات.

– الهجام: طب خير وسكتك دي ممسكاني سكينتك ليه، وعليها دمي وعلى بطاقتي كمان؟!

– بدريسا: ده خنجر مش سكينة ويبقى بتاعي، وده يبقى من نفس النوع اللي اتقتل بيه محسن الملاح الشهر اللي فات، الراجل اللي إنت كنت محبوس في قضية سرقة فيلته.

– أيه! هو إنتوا كمان اللي قتلتوه؟!

– عطية: بدريسا أيه اللي إنتي بتقوليه ده ما تسكتي بقى.

– بدريسا: قولتلك تسكت إنت خالص! (تحدثت لعطية وهي منفعلة عليه فارتفع صوتها).

– بدريسا: ودلوقتي يا حضرت، الخنجر ده وإخواته عمرهم ما كانوا مع حد غيري في البر كله.

يعنـــي بصماتك ودمك اللي عليه ده وبطاقتك اللي معايا لو اتلقوا في أي حتة قريبة من فيلا الملاح هتشيل إنت القضية، وبما أنك حرامي ومتسجل بقضية سرقة قبل كده، والمصايب اللي لسه متعلقة في رقبتك دي كلها؛ هيخليك تطلع من هنا على المشنقة عدل.

– الهجام: إنتيييي إنتي عايزة مني أيه بالظبط؟!

– بدريسا: تقوم وتعمل كل حرف هقولك عليه، حياتك كلها بقت بين إيديا بتهيألي كده واضح.

– الهجام: ولو قولتلك لأ.

– بدريســا: يبقــى هسيبك كده في مكانك زي ما إنت، بس يا ترى هتبقى عارف أيه اللــي هتقوله لحظة ما يسألوك عن تلات جرايم قتل، وإنت ما تعرفش حتى أسامي حد منهم، ده لو فضلت عايش باللي بقى يجري في دمك ده أساسًا.

– الهجام: عايش! وتلاتة اتقتلوا؟!

– بدريســا: اه مــا أنا نسيت أقولــك، أصلك وإنت بتسرق البيت هنــا ما كانش حد موجود غير

أم جميل اللي بتولد هبة، وأكيد ساعتها لازم تخلص منها بالمرة، عشان ما تجيبش سيرة عنك.

– الهجــام: عرفت من اللحظة اللي بصيتلك فيها أن اللي قدامي دي شيطانة، من ساعــة مــا حطيت رجلي في البلد دي، وأنا بسمع عنك بــس ما خفتش منك ولا من اللي حواليكــي، خوفي كله كان على بنتي اللــي لو سمعت كلامك وقومت معاكي هتبقى يتيمة الأم والأب كمان.

– بدريســا: بنتك في الحفظ والصون، وأنا هضمنلك ده، هتجيبها معاك بس وقت ما أسمحلك بكده.

– الهجام: الحفظ والصون اللي بيجي من ورا المرازيق ما يطلعش غير كدب وغدر.

– بدريســا: يعني إنت عــارف أني بنت المرازيق! طب كويس وطالما كده يبقى برضو عــارف يعني أيه حد من الغجــر يسيب وراه حد بيتمنى المـوت، صدقني لو خرجت من هنــا وسيبتك ولا الجــن الأزرق هيقدر يخرج السم اللي في جسمك ده، وعشان تطمنلي امسك اشرب، خُده ما تخافش عشان تتأكد أني مش عايزاك تموت، الخنجر اللي جرح إيدك اليمين ده بقاله يومين بايت في مية معجونة باسم حنش أسود، سم من نوع معين كده هيموتك بالبطيء، واللي خلاك يغمى عليك من شوية أكدلي أنه بدأ يمشي في دمك خلاص، يعني قدامك ساعتين تلاتة بالكتير فاشربها وقوم معايا وبكرة هتبعت لبنتك تجيبهــا، ولو فضلــت هنا يا هتموت يا الحكومة هتقبض عليك ومش هتلحقك كمان زي ما قولتلك وساعتها هتبقى يتمت بنتك فعلًا.

فدخلت حيلة بدريسا على الهجام، وأكمل عطية اللعبة عليه هو الآخر حينما تظاهر بأنه لم يحقن الهجام ما أخرج من جسده مفعول سم هذا الخنجر الذي جرح يده، فلا يعلــم السارق أن بدريسا قد جعلت عطية بالفعل يحقنــه وهو مغمى عليه، بمصل أنهى آثار ما في جسده، وأبطل مفعول السموم التي سارت في عروقه، حيث كان كل ذلك وهو مغشيًــا عليــه فحينما أمرت بدريسا عطيــة أن يربطه بالكرســي ويحقنه بالترياق كان حينهــا الهجام لا يدري بــأن الغجرية قد أنقذت حياته بالفعل، قبل أن يخرج من غيبته تلــك حتى تجعلــه يظل متوهمًا بأن السم لا يزال ساريًا في دمائه، ومن هنا تضغط بنت الغجــر عليه، وتوهمــه بأنه سوف يمــوت إذ لم يطع أوامرها، حيــث الآن تكمل بدريسا لعبتهــا عليــه وتهدد بأنها ستترك الســم في جسده إذ لم يقوم معهــا ويشرب ما تعطيه

له، فشرب الهجام ما أعطته له وكان مخدرًا وليس بترياق كما كان يظن، حيث أعطته الغجريـة زجاجة صغـيرة، وظن الهجام أنه مصل فعلًا لكنه فور أخذه غاب عن الوعي ثانيـة، بذلـك اكتملت تمثيلية بدريسا عليـه، وبعدها حمله عطية علـى ظهره، ومن ثم غـادر بـه الغجر من حارة مصبـاح وكأن بدريسا قـد أتت لتُنهي حيـاة أحدهم وتأسر الأخرى.

كانت تلك الفعلة هي الأخيرة لبدريسا قبل أن تأخذ على نفسها عهدًا بعدم قتل أي أحـد ثانيـة، بل وجعلت عُرفًا آخر يسير على أهلها حيـث بعد تلك الحادثة، التي قامت بهـا في حارة مصباح ومن بعدمـا أخذت غريبًا -الهجام- وأدخلته أرض غُجار، جعلت المرازيق بأكملهم يأخذون على نفسهم عُرفًا لن يُخرجهم من أرضهم سوى آخر عشرة أيـام فقـط من كل سنة، وعرف الغجر هذا العهد بعـد يومين فقط من فعلة بدريسا في هبة وابنها في حارة مصباح يوم ١٨٩١/١١/٠١.

"بعد سبع سنوات من زيارة بدريسا والغجر لحارة مصباح"
بيكي تبدأ الحكاية.
1989/1/8

البر الغربي، الأقصر

"أهل العشتار"

11:00 1989/1/8 مساءً

سرًا عفا عليه الزمن، عرفته بنت الثلاثة وعشرين.

"عشمانـة" تلك الخادمة التي تعمـل بالقصر منذ خمسة وعشرين عام، دائمة الجلوس مـع أنورين هانم، التي تعتبرهـا صديقتها وصارت بقية حياتهـا تعتمد عليها من بعد وفاة نادية ابنتها وأم حفيدتها الوحيدة إسراء، فلم يبقَ لأنورين سوى عشمانة تسامرهـا كل ليلـة، فمنـذ رحيـل وحيدتها نادية مرضـت، وأصبحت غـير قادرة على الحركة دون كرسيها المتحرك، فلازمتها خادمتها من حينها.

إلى أن جـاءت الليلة الثامنـة من شهر يناير، وكانت أنورين جالسة بغرفتها فذهب إليها البواب.

- أنورين: ادخل.

- إبراهيـم: اتفضلـي يا هانم الشـاي أهو وهنية بتستسمحك أنهـا ما بقتش تقدر تطلعلك هي عشان.

- أنوريـن: مـا تكملش يا إبراهيـم أنا عارفة إنها بقت بتتعب مـن أقل مجهود، كل شويـة والله أقولهـا تستريح في بيتها، وأنـا هشيلها هي وولادها في عنيـا بس برضو ما بترضاش.

- إبراهيم: خيرك سابق ومغرقنا كلنا يا هانم والله، هنية واللي زيها.

- أنورين: تاني هانم، ما قولتلك بلاش الألقاب دي ولا تحبني أقولك يا إبراهيم بيه.

- إبراهيـم: هههههههههههـه أهو والله اللي بتعمليه مـع الواحد ده يخلي اللي زيي وزي هنية لو فيهم تعب الدنيا كله ما يقدروش برضو يبعدوا عنك ولا عن خدمتك أبدًا.

– أنوريــن: الله يخليك يا إبراهيم ده إنتوا زي أهلي وأكتر كمان، عالعموم روح إنت طيب وقول لهنية تقعد بكرة في بيتها ترتاح، وابعتلي مراتك عشان عايزاها.

– إبراهيم: تحت أمرك.

يذهب إبراهيم لغرفته فيجد زوجته "عشمانة" جالسة مع أبنائه وردة وحسين.

– إبراهيــم: وردة، قومــي يا بنتي شوفي إسراء بقالهــا ساعات في الجنينة لوحدها مش راضية ترد على حد، واسألي هنية الأول لو عايزة حاجة ساعديها؛ عشان تخلص بدري وتروح لولادها.

– وردة: حاضر يا بابا.

– إبراهيم: يحضرلك الخير يا بنتي، وإنتي يا عشمانة شوفي ست أنورين عايزاكي في أيه.

– عشمانــة: وهــي بتعوز أيــه يا إبراهيم غــير إنها تفضفض شويــة معايا، لحد ما تجيلهــا إسراء تاخدهــا في حضنها وتنام، الله يرحمها من ساعــة ما ست نادية ماتت وهي عالحال ده.

– إبراهيم: الله يرحمك يا نادية، الله يرحمك يا بنتي ويرحم الجميع.

****

– وردة:قوليلي بس يا أبلة هنية أنا أقدر أساعدك في أيه؟

– هنيــة: ربنــا يخليكــي يا بنتي أساعــدك ليلة مــا أشوفك عروسه يــارب، أنا أهو مخلصــة وقايمــة أروح، اخرجــي إنتي لإسراء ولاعبيهــا شوية أحســن دي طول النهار قاعدة ساكتة.

****

– عشمانة: ست أنورين

– أنورين: أيوه يا عشمانة ادخلي.

– عشمانة: أخبار صحتك أيه دلوقتي؟

– أنورين: الحمد لله يا عشمانة على كل حال، تعالي أنا عايزاكي في حاجة مهمة.

– عشمانة: لا حاجة مهمة ولا غيره، مفيش كلام إلا لما تاخدي الدوا الأول.

– أنورين: هههههههه ماشي يا ست عشمانة هاتيه.

****

– وردة: مالك يا روتا واقفة لوحدك ليه لدلوقتي.

– إســراء: كده أنا هفضل هنا ومش هطلع فوق تــاني خالص ومش عايزة أرد على حد أساسًا.

– وردة: الله الله الله ليــه بســ كده، مشــ إنتي ما بتعرفيشــ تنامي غير في حضن تيتة أنورين.

– إسراء: ما هي شافتني إمبارح بلعب مع ميرين بره، خلتني أطلع أوضتي وأتحبس فيها.

– وردة: أيــه! بتقــولي مين؟ ميرين تاني يا إسراء مش أنــا قولتلك مئة مرة بلاش تلعبي مع دي بالذات، وإنتي إزاي بتطلعي بره باب الجنينة أساسًا.

– إسراء: هي لما بتشوفني بتيجي تفتحلي باب الجنينة وبروح أقعد معاها بره.

– وردة: أيه بتفتحه إزاي! طفلة سبع سنين وبتفتح باب زي ده دايمًا بنسيبه مقفول بالمفاتيح؟!

– إســراء: مشــ عارفة بقى وبعديــن هي مالها يعني الله، ليــه كلكم بتكرهوها هي وأهلها دول ناس في حالهم، وأنا محدش منهم ضايقني وكمان مش بلاقي حد هنا غير ميرين أساسًا ألعب معاه.

– وردة: والله أنــا مشــ عارفة بس هــو دايمًا بسمع عنها هــي وأهلها كلام غريب،

ومحدش في البلد كلها بيحبهم ولا بييجي ناحيــة أرض الغجر إنتي عارفه، وبعدين أيه يا روئا إزاي تقولي كده، مش دايمًا أنا وحسين بنلعب معاكي، عمومًا خلاص بقى حقك عليا أنا معلش ما تزعليش قومي يلا معايا عشان الجو بدأ يبرد، وتعالي نطلع نقعد في أوضتك.

****

- عشمانة: مالك يا ست أنورين خير.!

- أنوريــن: خايفة على إســراء أوي كل شوية ألاقيها بره القصر وبتلعب مع ميرين، وبستغــرب إزاي بتخرج وأنا بخلي إبراهيم يقفل باب الجنينة، وفجأة ألاقيهم قاعدين بره القصر وبابه مفتوح.

"تنظر عشمانة لها في قلق حيث تخشى النطق بأي كلمة عن المرازيق"

- عشمانة: !!!!!!!! (اضطربت عشمانة حينما طلبت منها أنورين الحديث عن الغجر)

- أنوريــن: عشمانة، إسراء دلوقتي بقت أغلى حاجة في حياتي بعد ما نادية ماتت، عشــان خاطري عرفيني إنتي ليه بتخافي من المرازيــق، وأيه اللي تعرفيه عنهم خلاكي تحذريــني منهم أوي كــده، خوفك ده قلقني وقلــق إبراهيم كمــان، ومحدش فينا حب يضغــط عليكي عشان تتكلمي، لكن دي إسراء يــا عشمانة، أنا إمبارح شدتها من قدام البنــت اللــي اسمها ميرين دي ودخلتها بالعافية، أنا خايفــة لا تيجي مرة وإسراء تروح معاها وتدخل أرض الغجر.

- عشمانــة: حاضر ياست هــانم حاضر، المرازيق دول طينــة تانية دول الشياطين اللي عمري ما شفت حد زيهم، بدريسا دي هي واللي معاها كانوا سبب كل حاجة غريبة تحصل هنا في البلد، من يوم قتل عم عواد وخطف أطفال البلد يوم ولادتهم، لحد موت أمي -الله يرحمها- وسحرهم ودجلهم اللي بقوا معروفين بيه وكمان !!!!!!!! في حد هنا من القصر على صلة بيهم، وبيروحلهم في الجهة الغربية كل شوية، ولما عرفوا هددوني بوردة وحسين ولادي.

- أنورين: أيه! حد مين؟

لـو كان مكتوب لهذا السر الخروج من عشمانة، فمـا يكن للبوح به أن يتم بين تلك الأربعة جدران فقط، فلكل نبأ مستقر وكان مستقره الآخر ابنتها التائهة بجانب الباب تستمـع لمـا تسرده أمها عشمانة إلى جنة إسراء على الأرضـ، بعد وفاة نادية نفس يوم وضعتها فيه، حيث كانت وردة قد تركت إسراء بغرفتها، لتنام وذهبت لتحمل عن أمها وزر بـات داخلها لسنوات، وما كان يكتمل الحديث عن المرازيق إلا وسمعت وردة صوت أقـدام آتيه للممر المؤدي لغرفتيّ الجدة وحفيدتها، فما لحقت هي حينها إلا أن تختبئ وبعدهـا رأت عم إسراء "فؤاد علام" واقفًا بباب غرفة أنورين كما كانت تقف هي منذ حين تنصت، لكنه انتظر لشيئًا ما، ولم يعرف الباب دربًا لطرقات يده.

رغـم عـدم اعتيادها منذ زمن طويـل على النوم بمفردهـا، كان حزنها من أقرب قلـب لها يجعلهـا تأتي على غير عادتها، وإن عـرف النوم سبيلًا لها تلـك الليلة، التي باتت على فراشها وحيدة، فلا مفر أن يكون أيضًا الخوف أنيسًا لها بهذه الغرفة، فعلى بغتـة سمعت إسراء وهي بسريرها صوتًا همس لهـا بأُذُنها، وجعلها تهب في فزع وذعر من نومها صارخة، وحينها سمعتها جدتها وعشمانة، فقامت الأخرى مهرولة لغرفتها؛ فتفاجـأت بفؤاد كان واقفا بالباب -حيث كان بنفس الحال التي رأته عليه ورده- ينظر ل عشمانة بغرابة وغضب، غير مبالي لصرخات بنت أخيه، فأربكتها نظرته ومرت من جانبه في لهفة لترى إسراء، فسارت عيناه معها وظل ثابتًا مكانه، وأنورين على كرسيها خائفـة منـه، ومن تلك النظرة الغريبة التي أول مرة تلمحهـا فيه وكان غريبا عليها أن تراه غير مبالي لبنت أخيه في صراخها هكذا، ويكون باله غير مشغول بها.

ما لإسراء إلا الصبر وما ل عشمانة إلا البلاء.

- عشمانة: بسم الله الرحمن الرحيم مالك يا إسراء أيه يا حبيبتي حصل أيه!

– إسراء: أبلة عشمانة، في حد معايا في الأوضة قالي كفاياكي نوم وما تقعديش لوحدك.

في فـزع وحيرة غير معهوديـن عليها باتت تنتفض أثناء كلامهـا، وما يكون لسماع مـا قالتـه إسراء إلا ليجعل عشمانـة شريكتها في خوفها، فصـارت تحيطها بذراعيها، وعيناها تطوف بأرجاء غرفتها في رجفة متمنية ألا يكون لحديثك يا إسراء أي صلة بالواقع.

وإن تساءلـوا عـن الخرافات فلا تجيبهم إلا وكأنهم سـكارى، تغيب عنهم عقولهم مـن حـين لآخر، لكـن إذا تعلق الأمـر بمكان غير بعيد عـن أرض غُجار؛ فـردد بذكِره واستغفره عساه يكون منجيك الوحيد.

وتدخـل عليهـم الجـدة بعـد أن ساعدها فـؤاد، وسـارت بكرسيهـا إلى حفيدتها وجذبتها لحضنها.

– أنورين: مالك يا إسراء خير في أيه؟!

– إسراء: تيتة هو مين اللي كان موجود معايا في الأوضة هنا؟!

– أنورين: أيه! هيكون مين بس يا حبيبتي، محدش هنا غيرك

"ليقلق فؤاد ويبدأ بالتأكد من نوافذ وأبواب الغرفة كلها، ولكنه وجدها مغلقة جيدًا"

– إسراء: طب والله كان في حد جنبي، وأنا نايمة وكلمني بصوت واطي أوي!

– فـؤاد: حد مين بس يا إسراء أنا بصيت علـى الشبابيك أهي، وباب الأوضة اللي جنبـك ده أهو مقفول، والتاني أنا كنت لسه عنده ووقفت قدامه أنا و عشمانة ومحدش دخل ولا خرج.

– إسراء: لا يا عمي والله كان في حد وصحاني من النوم، إنتوا مش مصدقيني ليه؟!

– أنوريـن: خلاص يا حبيبتي اهدي طيـب، تعالي نامي جنبي، أنا مش عارفة إنتي ليه ما بقيتيش تيجي زي كل ليلة وتباتي في حضن.

"وقبل أن تكمل أنورين كلامها لإسراء سمعت إبراهيم وهو يصرخ على وردة بالأسفل".

- إبراهيم: وردة يا وردة ردي عليا يا بنتي.

- عشمانة: هاااا! ده صوت إبراهيم بيندە على بنتي.

- أنورين: انزله يا فؤاد روحله يابني شوف في أيه.

خطـوات فـؤاد المسرعة على غـير عادتهـا ساقته لأسفـل حيث الحديقـة، فيجد إبراهيم وجانبه وردة مستلقية على الأرض:

- فؤاد: مالها وردة يا إبراهيم؟!

- إبراهيـم: معرفش فجأة وأنا رايح أبص عالبوابة اللـي ورا لقيتها واقعة مكانها ومش بتتحرك.

- فؤاد: طب شيلها شيلها معايا، ندخلها جوه الأول ونشوف مالها.

وإذا كنـا في حضـرة إصـرار أنورين على شيء فما لنا إلا بالطاعـة، وما لرأيها إلا بالتنفيـذ، فلم تستطع عشمانة أن تتركها وتعلم أنها لم تعد قادرة على السير بكرسيها وحدها، فصحبتها معها للأسفل حتى انتهى الدرج بهم ثم تركتها وسارعت هي لرؤية ابنتها.

- عشمانة: مالها بنتي فيها أيه يا إبراهيم.

- إبراهيم: اهدي بس لما نشوف حصل للبت أيه.

- أنورين: مالها البنت يا فؤاد.

- فؤاد: مش عارف والله أنا نزلت لقيتها واقعة على الأرض فجبناها على هنا.

- إبراهيم: الحمد لله أهي بدأت تفوق أهي.

- عشمانة: مالك يا وردة مالك يا حبيبتي؟!

"ولما عاهدت تلك الليلتين الخوف والقلق، فلا عجب أن يُمس أهل عزبة العشتار سوءًا من الذي صار ضيفًا عليهم في هذه الأثناء".

- وردة: كان في حد في الجنينة اللي ورا مش عارفة أحدد هو مين من الضلمة،

شافني وكان بيقرب ببطأ ومشيته غريبة، وفجأة اختفى وجه من ورايا كتم نفسي، حاولـت أبعـده فإيدي اتعورت، عشـان كان ماسك خنجر في إيديـه حاولت أصرخ بس بعدها ما حسيتش بحاجة.

- إسراء: صدقتوني بقى دلوقتي؟

فيخرج فـؤاد للحديقة متجهًا نحو البوابة الرئيسية، طالبًا من إبراهيم مصاحبته لـيروا بماذا أحلت تلك الليلـة بقصرهم، فلم تتمالك عشمانة نفسهـا، ودفعها خوفها علـى ابنتهـا لترى أي إيـد كادت تنـال منها ومن أولادهـا، فجرت إلى البـاب الخلفي وتبعها صغيرها حسين، وباتت إسراء في تلك اللحظات المشئومة تلتفت لما صار حولها، فضمتها أنورين بين ذراعيها وجعلت وردة بجانبها.

- فؤاد: البوابة أهي مقفولة والسور عالي، صعب حد ينط من فوقيه.

- إبراهيم: فؤاد بيه وردة كانت عند البوابة التانية، إحنا المفروض كنا.

بصرخـات زوجته لم يكمـل إبراهيم حديثه، فأخذته أقدامـه إلى الجهة الأخرى، حيـث سارع ليجـد الباب الخلفي مفتوحًـا، وحسين ولده صريع علـى الأرض، واختفت عشمانة لا أثر لها، وبمشاهدة فؤاد لحال إبراهيم الذي صار يفقد أسرته في لمح البصر شعـور آخر، لكن ليس ابن علام مـن هؤلاء الذي رحم ربي، فلا للخوف والتأثر في تلك الأوقـات مكانًا عنـده، وهنا لم يدرِ فؤاد بنفسـه إلا وجعل الباب الخلفـي مفتوحًا على آخـره، وسحب سلاحه وجـرى جهة الغرب، عساه يتبع أثر عشمانة، وإن كان لأثرها أن يُتبع فما لك أن تذهب وراءه خاصة أن كان ينتهي لحي الغجر.

مكـث إبراهيـم بالحديقة مذهولًا لما صـار بولده، فكان ينزف بشـدة بسبب جرح شديد، إثر ضربة تلقاها في رأسه، وظل بين يدي والده، الذي لا يعرف كيف يداويه، ولا يعرف لأي مصير ستنتهي زوجته، ولم يكن بحيلته شيئًا غير أنه حمل ولده إلى داخل

غرفتــه، حيث تجلس إســراء ووردة برفقــة أنورين، وحينما دخـل خيمت الدهشة عليهم، وأصبح السكون نديمهم الخامس للحظات.

– أنوريــن: أيه ده! حسين ماله يــا إبراهيم ومين اللي صوتت دي، هي عشمانة اللي صوتت؟!

"لم يتمالك نفسه فرافقت الدموع رده".

– إبراهيم: ما بقيتش فاهم أيه اللي بيحصل والله يا ست هانم.

– وردة: أيه ده هي ماما فين، أمي فين يا بابا؟!

"فجعلــه صمته غير قادر على الحديث، حينما تخيــل أن عشمانة قد تكون وصلت لغُجار الآن".

– أنورين: عشمانة فين يا إبراهيم ما ترد؟

– إبراهيــم: خليكوا هنا واتصلــي بالإسعاف؛ عشان أخوكي يا وردة عقبال ما أدور على أمك.

– وردة: أيه! تدور عليها فين؟

لم يستمــع الأب لآخر ما قالتــه ابنته، وخرج كالمجنون ناحية البوابة الخلفية، لكنه كان تحت نظرات وردة، التي أدركت أن أمها بيد المشتاقين لضحية أخرى من بعد مقتل الشيــخ عواد، عرفت أن أقــرب قلب لها جنى على نفسه وذهــب لأرض غُجار، وسلامًا على من عرف لرواقهم السبيل،

فقامت وردة وأخبرت الجــدة بأن تبقى بالقصر، وتتصل بالإسعاف لتأتي لأخيها، بينمــا وضعت هــي نفسها في عباءة وخمــار لونهما أسود، وخرجت مــن الباب الخلفي وأغلقتــه، ثــم ذهبــت وراء أبيها، لكن كانت غيتهــا الأولى حينها من نصيــب فؤاد ابن علام، وتمنت أن تجده قبل أن تصل أمها لغُجار.

"مـن خلـف شجرة كبيرة في بداية أرض غُجار وقفـت تلك الغريبة على الغجر مستـتره بهـا، منُصتـه لما يبوح بـه اثنين مـن المرازيف محدثـين بعضهـم، وما كانت لتستطيـع أن تُحـرك نفسها خطـوة أخرى لتحديد هويـة أصحاب الحديـث، فاكتفت بسماع ما أفصح به كلًا منهم".

– الغجـري: إنتـي حلفتيلي أنك هتصوني وعدك معايا بعـد ما خليتك أغلى حاجة ملكتها، ليه مصممة تمشي في طريقهم من تاني.

– الغجريـة: أقسملـك بالله أنا ما أعـرف حاجة عن الحكايـة دي، وفعلًا القصر محدشـ فينا قرب منـه الليلة، ده حتى بدريسا وكل المرازيـق في أسوان بقالهم ليلتين، واحتمال لسه يرجعوا الفجر، ومافيش غيري أنا وبدر وعطية بس، وكمان ده رجله لسه مكسو... لا لا استنى، بدر الصعيدي قالي ممكن يكون عطية بيمثل في حكاية رجله دي، فعلًا هو طول أوي في رقدته، من فترة وأنا حاسة إنه بيكدب وعامل كده، عشان يبعد أي شك عنه في أي مصيبة يعملها.

"سمع الغجري صوت أنفاس التي كانت تقف خلف شجرة ضخمة، أخفتها عنهم فوضـع يـده على فم زوجتـه، وجاء ببالـه أن أحدًا مـن العشتار أتى بنفسـه إلى أرض الغجـر، فـكان أول ما يريده هـو إخفاء شريكته عن الأنظار، ومـن ثم يذهب ويرى من ضيفهم، الذي آتت به قدمه إلى داخل غُجار"

– الغجري: شششششش بس في حد واقف هناك ورا الشجرة.

"إن كانـت لتقـدر أن تجمع ما تبقى مـن قوتها لتصمت، فما لها أن تجمعها إلا لتخطـو بهـا خطوة واحدة تتحـرك بها للخلف، ومـن ثم تبتعد عنهـم بعدما فشلت في تحديد ملمح لوجوههم"

ولكـن مـا قالـوه فسر لهـا الكثير عن هـذه الليلة، بالفعـل تلك اللعبـة كانت لأحد المرازيق.

"وفي صوت خافت همس هو لغجريته"

– الغجـري: امشـي إنتي دلوقتي وخلي بالك من نفسـك وأنا هتصرف مع اللي ورا الشجرة ده.

– زوجته: طيب وعشان خاطري حاسب على نفسك منهم.

بينما ينتظر لشريكتـه أن يختفي أثرها، ويطمئن أنها ابتعدت عنه، يذهب هو نحو الشجـرة حيثمـا كانت تقف الغريبة لكنـه لم يجدها، لكن رأى آثـار دماء على الجذع؛ فأزالها ومضى في طريقه.

بالقرب من غُجار

– فؤاد: وإنتي فاكرة أنك يوم ما تعرفي تُدخليها هتقدري تخرجي تاني؟!

– وردة: مين! فؤاد بيه؟!

– فـؤاد: اه فؤاد يا وردة، إنتي رايحة فـين؟! أكيد مش محتاجة أعرفك إنتي داخله عند مين!

"وردت وهي تبكي وتحاول إخراج كلماتها في ثبات، لكن كانت الغلبة لضعفها عليها".

وردة: لأ، عارفـة أني داخلـة عند اللي حاولوا يقتلوني النهـارده، عارفة أني سايبة أخويـا بين إيديـن ربنا، عارفة أني خرجـت دلوقتي أدور على أمي اللـي بقت عندهم، ومتأكـدة إنهـا هتكون هي اللي بتدفع التمن بدالي، وهتمـوت ولو استنيت لحظة، كمان هيبقى أمي وهيحصلها أبويا.

– فؤاد: اهدي يا وردة اهدي، محدش هيقدر يعمل فيهم حاجة طول ما أنا عايش.

– وردة: أنـا سمعـت الـكلام ده يوم مـا ستي اتقتلـت، وكان على إيديهـم برضو، ومحدشـ فيكم قدر يعمل حاجة، ولو المرة ده أمي ماتت يبقى أهون عليا أحصلها، على الأقل مش هعيش بذنبها وعارفة كمان أنك بقيت.

– فـؤاد: بس طيب بســ، تعالي وبطلي عياط، والله ما هخلي حد يمسُكم ولو عايزة تدخلي عشان عشمانة أنا اللي هدخل بيكي حي المرازيق، بس مش من هنا.

– وردة: أومال منين.

– فـؤاد: في مدخل من الناحيــة التانية يوصلنا جوا برضو، بس أنا مش داخل بيكي غير لما تسمعي كل كلمة هقولهالك.

وبعــد أن سار بها في أرضهم، كانت وردة تخطــو بصحبة الذي يعلم أن هؤلاء ليس ممــن يرحبون بضيوفهم، ولا حتى يسمحون لغريب أبــدًا أن يتواجد بينهم، فما دخول وردة لتلــك الأرض بالقــرار الصائب، لكــن كان وجودها مع الذي يعــرف أرض غُجار جيــدًا شفيعًا لها، ولكنــه هو الآخر لم يكن له من أحد يشفع لــه عند الغجر، حيث كان ومــازال مغضوبًا عليه، وهذا ما جعل هذان الغريبان على تلك الأرض منتظرين لمصير من سبقوهم، هذا وإن كان قد كتب لمن سبقهم حسن ختام.

منزل لم يدخله أحدًا في العشتار من قبل.

كان لعــودة تلــك التي غوتهــا الشياطين أمرًا آخــر، فما وإن لمحها فــؤاد ووردة من بعيد حتى اقتضب فؤاد حاجبيه، وانتفضت وردة لما علموا أنها رأتهم من مكانها، وعلى الفور قامت بدريسا بدعوة عزوتها وأمرتهم انتشارًا في أراضي غُجار، ليعودوا لها بكل ما أتاهم رزق تلك الليلة.

وبصوت خفيف لم يسمعه إلا غيرها:

– فؤاد: وردة وردة، اخرجي بسرعة من مكان ما جينا يلا.

"تجيبه في شرود ولم ترفع عينها من عليها"

– وردة:هي !!!!!!. هي دي بدريسا يا فؤاد؟!

– فؤاد: أيوه هي بس يلا مش وقته.

هكمل أنـا، وإنتي روحي على الباب اللي في وشك ده، اخرجي منه وارجعي القصر واقفليه عليكوا كويس، سامعة ولا لأ.

– وردة: نعم! تكمل فين؟

– فؤاد: قولتلك يلا!!!! مش وقته قبل ما الوقت يسرقنا وملحقش أتصرف.

فظلت عيناه تذهب على بدريسا مرة، والأُخرى تكون على وردة، حتى إذا ما اطمئن أنه لا يتبع أثرها أحدًا من المرازيق، انطلق هو بين منازلهم واحدًا بجانب الآخر، مهيئًا الدرب لها حتى تخرج آمنة وتعود للقصر، وما أن وجد ابن علام بيت بدريسا، حيث ما كانـت تضعه هي الأخرى نصب أعينها، دخلـه حتى تنشغل هي معه، وتنسى أمر وردة، ورضت بدريسا بحيلته تلك، ثم تبسمت الغجرية لأن ابن علام صار ضيفها تلك الليلة، فأمرت أهلها أن يغلقوا أبواب حي غُجار عليهم وينصرفوا، وذهبت هي إلي ذلك الذي كُتبت عليه زيارة بيت لم يدخله غريبًا من العشتار قط.

"كانـت ليلـة الثامن من ينايـر عام (٩٨٩١م) هي أول موعـد استحلَّ فيه أهل العشتـار دخولهـم لمنـزل مـن منـازل الغجر، فـكان رد الغجـر حينها هـو أن أحدهم استحل دم أهل العشتار"

وبينمـا كانت هـي تجري في خوف وقلق عائدة من سِكة حُـرم على الآخرين السير بها، قابلت أباها الذي كان يسير هائمًا هو الآخر.

– إبراهيم: وردة، أيه يا بنتي اللي مخرجك الساعة دي في سكة زي دي.

– وردة: مش وقته لازم تدخل دلوقتي. واقفل عليكوا كويس لحد ما ألاقي ماما.

– إبراهيـم: أدخل إزاي يا بنتـي وإنتي أيه اللي خرجك أساسًـا، وجايه من ناحية حي الملاعين دول إزاي، أنا مش منبه عليكي مليون مرة ما تقربيش ناحية الناس دول.

– وردة: يا بابا أنا كنت بتأكد أن ماما ما راحتش هناك.

"كان الفراش حينهـا ليـس على دراية كافية بزوجته عشمانـة، كما يكون حال ابنته التي كانت على يقين تام أن أمها ألقت بنفسها وسط المرازيق"

- إبراهيـم: وهـي كان أيـه اللـي هيوديها بـس هنـاك، اسمعي يا بنتـي هي كلمة ومالهاش رد، أنا هاخدك مـن إيدك عالقصر تقعدي فيه، وما تخرجيش خالص لحد ما ألاقي أمك، أبوس إيديكي أنا مش ناقص قلق عليكي إنتي كمان.

- وردة: يا بابا بس اسمعني.

- إبراهيم: مفيش بس، قدامي على هناك.

على جانب أول طريق المقابر.

وأثناء عودة إبراهيم مع ابنته خارجًا بها من طريق مقابر الغجر، كان أذان الفجر قد رفُع، بينما كانوا معًا على مقربة من المسجد، وجدوا زحام على من استلقت بجانب الترعـة فجرَت وردة عليها، لتجد جثـة هامدة على الأرض لا يظهر حولها غير الدماء، ومـا أن لمحتهـا وردة حتى زاحـت حجابها عنها، لتجـد أمها عشمانـة لا نفس فيها ولا حركـة، وحينما أتـى خلفها إبراهيـم فجع هو الآخـر لمنظرها، وانفجـرت دموعه ولم يستطـع إلا أن يضمهـا لصدره، وهو يبكي بحرقة وابنته بجانبه قد فقدت وعيها فور ما رأت أمها ملقاه في دمها، وبوسط رأسها طلق ناري أودى بحياتها.

الفصل الثاني

رؤىَ

القاهرة

"مسرح الموناليزا"

2008/11/23م - 9:00 مساءً

شام.

في قاعـة الموناليـزا اجتمع زملاؤهم، الذين أرادوا جعل ختـام آخر شيء يجمعهم هـي مشاهدتهـم الأولى عروض رواية شام، فلرؤية المسرحيـة طابع خاص في قلوبهم، قبـل معرفـة أحداثها حيث تعد "شام" أول عمل لزميلتهـم "رؤى عبد الرحمن داوود" رحمها الله.

والآن قد مرت ساعة كاملة على أولى فصول العرض، وإن كان ممثلو تلك المسرحية مـن أولئك الذين يجعلون أنفسهـم شخصيات أخرى، ليتقنوا تلـك اللعبة، لم يكن هو منهـم حيث دائمًا تكون له اليد العليا بينهم، والذي عرف الجميع عنه بأنه قد جعل كل شخصيـة لعبها من قبل أمامهـم، ما إلا دمُية شكَّلها وعاش معهـا، فما يقتنع أحد من المشاهديـن بأن هذا أداء تمثيلي، وإنما يكـون الجميع على يقين أنه قد ترك نفسه قبل بـدء الرواية، ليصبح ذلك المُروضـ للدور الذي يؤديه، مما يجعله دومًا على المسرح له جانـب، ولباقي الشخصيـات بأكملها جانب آخر، لكن حتى الآن لم يظهر هذا الغريب، حينما يختفي "حازم" لا يعرف أحدًا دربًا لموطنه.

ومـا أعطى هذا اليوم طابعًا خاصًـا أيضًا هو حضور الفنان "يحيى الفخراني" مع وزير الثقافة، بدعوة من المخرج المسرحي الكبير "مصطفى عدنان" حيث تشارك ابنة أخيـه "هَنا عدنان" في هذا العرض، وهي ابنة أحمد عدنان أحد كبار مديرو التصوير بالسينمـا، الـذي دائمًا ما رافقته صغيرتـه أثناء عمله، مما جعلهـا تعشق ذلك الفن، ولكنه فارقها وهي بالتاسعة من عمرها، مما جعلها تفقد الأب بعد الأم، وتمضي دربها

دونهـم، وتربت هَنا حينها على يد عمها الـذي اعتبرها ابنته، التي أنعم الله بها عليه، خاصـة بعـد أن كتب له ألا يـرُزق بأطفال طيلة حياتـه، فبات هو منبـع الحنان، الذي بقـى لها بعد وفـاة والديها، وأصبح مكرثًـا وقته لها، وصار يقـف بجانبها في أي شيء تُقدم عليه، خاصة إن كان لتعلقها بنفس مجال والدها، ما جعلها التحقت بكلية الفنون الجميلـة قسم التصوير، بجانب شغفها للمسرح، وهناك تعرفت هَنا على إسراء وليلى ورؤى، حيث كانت صديقتهم الرابعة.

– هنا: يا فهد هو حازم لسه مجاش.

– فهد: مش عارف وشكله كده هيغيب زي ما بيعمل، ومحدش بيعرفله مكان.

– ليلى: اه محدش يعرف مكانه غيرك طبعًا، طيب يا دكتور غير هدومك إنت اللي هتدخل مكانه.

– فهـد: نعم إنتي بتهزري إزاي يعني، حتى لو وافقتك محدش هيعرف يعمل الدور ده زيه أساسًا.

– هنـا: ليلـى عندها حق إنت الوحيد اللـي تقدر تقوم بيه دلوقتـي، مفيش قدامنا غـيرك، وإنـت اللي كتبـت السيناريـو المسرحي كله، يعنـي محدش هنـا هيقدر يكمل العرض غيرك.

– ليلـى: فهد مـا تنساش مين بيحضر العرض ده هـا، أستاذ مصطفى عدنان عم هنا موجود بره، ومعاه أستاذ يحيى الفخراني والوزير، ولو أي حاجة مشيت غلط يبقى ضيعنا أهم فرصة جاتلنا.

– فهد: أمري لله، ربنا يستر.

– هنـا: ليلـى إنتي قدامك نص ساعة على ما تدخلي تـاني مع فهد، خليكي مكاني لحد ما أجي.

- ليلى: نعم يا هنا! وإنتي رايحة فين؟

- هنا: تعالي بس، مُسعد خليك معاها، وأنا هاجي بسرعة.

"فتتحدث ليلى إلى نفسها سرًا وتعلم أن هنا ستغيب عنهم وتعود بحازم"

****

وبمـكان ليس بعيد عـن "مسرح الموناليزا" الـذي يتم فيه العرض، حيث يتواجد أصدقـاؤه والحضـور، كان يجلس هـو أمـام صورتهـا تـاركًا لعقله بـاب الماضي على مصراعيـه، ليضل به الطريق ويتركه شريدًا فـلا يتذكر سواها رؤى -زوجته المتوفاه- حيث مرت بها السنوات حتى صارت سنتان لمن حوله وليس له، إذ هي ظلت تناجيه كل حين وتراه، فما رؤى إلا تلك التي راودها الموت دهرًا، وغافلها أمام الآخرين فقط، أما في أعـين زوجهـا فلم يغافله بغيابها حتـى الآن ليُفرقه عنها، فترك حـازم حبل أفكاره لينساب على غاربه أكثر، ويأتي له بكل ما كان يجمعه بها يوم أن التقاها.

وبسماعه صوت يد تطرق الباب، وتسحبه خارج شتات عقله، خرج حازم من سكون غفوتـه وذهب ليرى هنا، فوقفت أمامـه في صمت مكتفية فقط بالنظر إليه، وعلى غير عادتـه سمح لنفسه بالـرد على نظراتها، ووقف صامتًا لثوانٍ هو الآخر، ثم قاطعت هي حبل الشرود الذي بينهم وكلمته.

- هنا: حازم الليلة دي أول عرض للمسرحية، إزاي قادر ما تبقاش موجود.

- حـازم: عمري ما عرفـت أكمل حاجة من غيرها، كان نفسـي تنتهي بيها زي ما بدأت لكن.

- هنا: الله يرحمها ما تقولش كده، رؤى كان كل حلمها تشوف أول رواية بتساعدها في كتابتها تنجح، أيه عايز تبقى إنت أول واحد ما ينفذش كلامها؟!

يحـل بـه الصمت إثر وقع حديث هنا على آذانه، ويستديـر لينظر إلى أقرب هدية

لقلبــه أعطاها لهــا يوم عيد زواجهم، حيــث كان –بورتريه– كبير رسمهــا فيه بيديه، موضــوع بمنتصف الصالة أمام كرسيه، الــذي يجلس به لساعات يحدث زوجته "رؤى العين" التي لا تفارقه ما ظل بشقتهم.

– هنــا: طب وبعديــن، تفتكر بقعدتك هنــا هتبقى مرتاح، هتبقــى كويس يعني لما العرض يقف، ويبقى إنت السبب في فشل آخر حاجة سابتهالنا.

"وتكمــل هــي حديثها بينما يظل حازم تائهًــا في ملامح صورة زوجته، التي من صنع يداه"

– هنــا: أنــا خليت فهد يجهز احتياطي يا حازم، عشــان عارفة لو مكنتش هشوفك هنــا كان زمانك هتبقــى بتزورها في إسكندرية، وساعتها يبقــى كلنا خسرنا أهم وأول حاجــة نعملها سوا، طب على الأقــل عشان الناس اللي جت وحضــرت دي، انزل معايا وتعالى كمــل الدور اللي مراتك رسمتهولك، وبتهيــألي مفتكرش إنها كانت متخيلة حد بدالك يعمله.

فيظهــر ابتسامته البسيطة، التي اعتادها من حوله، ويذهب ليرتدي ملابسه حتى يذهب معها.

فتقع عين هَنا على صورة "رؤى بنت داوود" صديقتها الراحلة، لتدرك أنها مازالت تــزوره، حيــث ما تكون الوحــدة أنيستــه، فما كانــت إلا لتترحم عليها هــي الأخرى في خفــوت، ولم تــأتِ بسيرة لها ثانيــة حتى لا تتذكر ما حدث في تلــك الليلة المشئومة التي شتَتت جمعهما.

– حــازم: أنــا سمعت كلامك، ونزلت بس مش هقدر أظهــر قدام أي حد النهارده، فهد هيكمل الدور.

– هنا: فهد كلنا اه عارفين شطارته لكن برضو محدش هيعرف.

- حازم: لأ، أنا لو فكرت أعمل أي حاجة الليلة دي بالذات عالمسرح هبوظ كل اللي اتعمل، وما تقلقيش فهد هيعرف يقوم بالدور كويس، وهيطلع أحسن مني كمان.

- هنا: امممممم، طب مش تعرف الأول مين اللي هناك متابع العرض وهيتفرج عليك؟!

- حازم: أيًا كان، أنا نزلت عشانك وبس.

- هنا: طيب يا حازم، هسيبك على راحتك.

****

وفي واديها الآخر ظلت هي تؤدي دورها تاركة مصيرها أمام أعيُن الحضور يسير، كمـا قـدره لها شتات عقل المشاهديـن، حيث منهم من جعل منهـا بطلة رواية، لم يمر علـى حديثها إلا القليل، ومنهم من حدثته درايته بأمـر آخر، وبات متشوقًا لرؤية ذلك الذي اجتمعت له مواهب شرق الأرض وغربها، وظلت إسراء تؤدي إيقاع دورها ليست، كالتـي لامست قدمهـا في ليلتها الأولى خشبة مسرح، تحت مرأى ومسمع تلك الحشود، حيـث كانت بنـت نادية منسجمة في أدائها، تجمع بين ذكاء حـازم وأدائه المبهر، الذي لقاهـا إياهمـا وجعلـت نفسها من خلالهـم المنشـودة في أعين كل القائمـين على هذا العمـل، وأولهم رؤى -رحمها الله- حيث كانت إسـراء أقرب صديقاتها، وحينما أتمت رؤى حكايتها، كانت إسراء هي بطلة أولى القصص التي سردتها رؤى الراحلة عنهم.

على بغتة بينما كانت إسراء تنتظر ظهوره أمامها، حيث كان لأوان تلك الشخصية الغريبـة أن تحـل على من بالقاعـة، وكان عقلهم قد تركهـم في دروب حيرتهم، حينما تخيـل جانب من الحضـور أن لمثل هذه الحكايـة من يستطيع أن يرويهـا ويؤدي إحدى شخصياتهـا أمامهم، حيث كانت رواية "شام" صـدرت لرؤى من عام، الذي حقق لها شهـرة واسعة في تلـك الفترة هي شخصية "طاهـر سليمان" التـي وإن استطاع أحدًا رسمها في مخيلته لن يقدر على تخيل وجودها بالواقع.

لكـن الدهشة التي خيمت علـى الحضور، وجعلت لإسراء منهـا نصيبين هو ظهور فهـد وليـس حازم، حيـث لم تُفضل هَنـا صديقتهم التـي تخرج لهم العرض أن تعلن عـن الشخص الذي سيـؤدي دور "طاهر سلميان" على المـلأ، وإن كان تم الأمر بينهم فقط، وعرفوا أجمعين أن الشخصية لن تكون إلا لحازم، لم يعرف أحدًا غيرهم ذلك، حيـث كان للحضور أن يعرفوه حينما يظهر أمامهم وليس بقبل. فتلعثمت إسراء حينما وجدت فهد أمامها يؤدي هو العرض بدلًا من حازم، وحينها أدرك أنها شاركت الجموع في دهشتهـم فاسترسل هـو الحديث، حتى يمهل إسراء وقتًا للمعـاودة إلى نفس وتيرة أداءها، وبعد أن أدركت إسراء فعلته، أكملت دورها أمامه كما كانت على سابق عهدها.

"خلف الكواليس"

كانـت ليلى بجانـب هَنا وحيرتها هى الأخـرى لا جواب لها، فكيـف لفهد أن يلعب الـدور هكـذا، بل وإنـه لم يؤدِه من قبل حتـى في عروض البروفة، حيـث كانت تلك أول فعلته وأنجحها.

– ليلى: هَنا، هو فهد عارف يمثل الدور كده إزاي؟!

– هنـا: يـا بنتي الدكتـور طول عمره شاطـر، بس هو اللي دماغه طـول عمرها في الكتابة وبس.

– ليلى: طيب وهو حازم فين؟!

– هنـا: وصل تحت وقاعد وسط الجمهور، بس شكلـه اندمج هو كمان معاه فسابه يكمل الدور.

"وفي نهاية الفصل الثاني على غير العادة انطفأت أضواء القاعة بأكملها، وظهر ثالـث وسطهم! فتعجبت هَنـا حيث لايجب أن يكون لأحد آخـر أن يطغي بحضوره على المسرح وفي هذا الوقت".

- هنا: أيه ده؟! هو فيه أيه، مين اللي طلع مع فهد وإسراء، وأيه اللي بيعمله ده؟

- ليلى: هو في حاجة فهد أو حازم غيروها في الإسكريبت؟!

- هنـا: لأ، خالص ده إحنا مراجعينه كلنا إمبارح أساسًا، ومفيش حرف اتغير، ده مين بقى!

وفي الجانـب الآخر تحت أعين حضور المنسجمين بالعرض، كانت إسراء بالمسرح غـير مباليـة بأي شـيء سوى الشخصيـة التي أصبحتهـا الآن، حيث جعلـت لها كامل نصيبهـا من شخصيتهـا وروحها، وألقت الفتـاة "بإسراء" التي تعرفهـا وتعيشها من ذاكرتها ومن داخلها، وصارت الآن "شام" بطلة الرواية التي سردتها رؤى في حكاياتها.

وتحدثـت "شـام" للحضور هـي و"طاهر سليمـان"، الذي بدأ معهـا رحلته داخل سـرداب الرواية في أول مشهد بينهم، حيث كانت أول مرة قُدرت لهم أن يجتمعوا فيها في القصة.

كان نهايـة أحد مشاهد الرواية الذي انتهت منه إسراء ومعها فهد أمام الحضور، لم يكن فيه أن ينتظروا ثالثهم، حيث من المفترض أن ينتهي ثاني فصول العرض عليهم هما الاثنان فقط بالمسرح.

لكن حل عليهم الغريب بهيئته ولبسه الذي تبدل بثوانٍ وظهر أمام الحضور مكتفيًا بجعـل الصمت نائبًا عنـه إلى جانب ظهوره، وانتظر الجميع إسـدال الستار حتى يأتي أوان الفصل الثالث والأخير.

ولم يكـن مألوفًا لديهم أن تُخفت الأضواء مرة أخرى، حينما يُسدل عليهم الستار، لكـن اندهش الحضور حينما عاود الظلام مرافقتهم مرة أخرى لثوانٍ، وفي حين عودة الإضاءة ثانية، لم يجد أحدًا سواء من كانوا بالمسرح أو غيرهم من الجمهور أثرًا لذلك الغريب الذي ظهر فجأة ثم رحل.

"وبعد انتهاء الفصل الثاني"

- إسراء: أيه يا جماعة فيه أيه! مين اللي طلع فجأة ده وبعدين اختفى تاني؟!

- فهـد: أيــه اللي حصل! إزاي النور يطفي في ثوانِ كـده، ونلاقي واحد تالت معانا على المسرح.

- ليلى: مسعد هو في حد قرب من غرفة الإضاءة.

- مسعد: لأ، خالص يا ليلى ماشفتش حد عندها من أول ما بدأنا.

- هنا: أيًا كان ده مين، مسعد خليك على باب الكالوس وما تعديش منه حد غريب، وأكـد على غرفة الإضاءة أن كل حاجة شغالة كويـس، وإنتوا خلوا تركيزكم في العرض وبس دلوقتي.

ويستمـر العرض في أواخر مدته، وكان من المنتظـر أن تعود إسراء مرة أخرى إلى المسـرح هـي وليلى معًا، ثم ينتهـى عملهم بظهور فهد ليكمل الثلاثـة آخر ما تبقى من مشاهـد أمـام الجمهور ثم ينتهـي العرض، والآن إسـراء وليلى معها أمـام الحضور، يلعبـان ببراعـة ما رسم لهم مـن دور محدد أتقنتـه الفتاتان بإبـداع، والآن دخل فهد بشخصيـة "طاهر سليمان" ليكمل الثلاثة آخر ما ستنتهي به الحكاية، حتى يدور آخر ما يسُرد في تفاصيلها.

لكـن معاودة ظهـوره جعلهـم أجمعين في كفـة، وأصبح هـو الأخر أمـام الحضور واسترسل الحديث...

فأدركـت إسراء وليلـى وفهد أن "حازم" الآن، هو الذي يلعـب معهم آخر مشاهد العرض، لكن بحيلة أخـرى حيث يعرف الخمسة أصدقاء الروايـة عن ظهر قلب، كما يعلمون أن حازم جعل من شخصية "طاهر سليمان" متنكرة في ٠٠٠١ وجه، ولم يدرك أحد طيلة الرواية ما هي هويته الحقيقية، وفي حماس غير معهود سارعت إسراء بتغيير

مســار الحديث، فتبعتها ليلى وفهـد حتى أصبح المشهد أمام الجمهور، كأنه متفق عليه من قبل ضمن أحداث باقي الرواية ونجحوا في ذلك.

لينسـدل الستـار علـى أولى عروض روايـة "شـام" وينتهي عملهم بنجـاح باهر، ويحققـوا الخمسة حلم صديقتهـم "رؤى" -رحمها الله- حيث نجح عملها الذي تركته لهم، وباتت الآن في ذمة الرحمن".

فيظهر حازم نفسه الآن أمامهم، ويخلع "الماسك" عن وجهه بعدما انسدل الستار، فكانـت سعادة أصدقائه لا وصف لها، خاصـة هَنا التي أدركت من اللحظة الأولى التي غابـت فيهـا الأضواء من أعينهـم وظهر هو على المسـرح بأنه لن يرضـى أن يكون هو الغائب عن أولى أعمال زوجته.

بعـد ليل طويل قضـوه معًا في العمل صـارت الساعة الواحدة بعـد منتصف الليل، فـكان لقـرار مصطفى عدنان عم هَنا بأن يجعل ليلهم أطـول عن الذي عاهدوه، حيث أمرهـم بـأن ينتظروه حتى يعود لهم بعد أن ينهي حديثه مع الذين شرفوا أولى عروض شـام، خاصـة الفنان "يحيى الفخراني" الـذي أتى على إثر دعوه تلقاهـا منه، وأيضًا ليشكر "وزير الثقافة" على تشريفه المسرح بالحضور.

- مصطفى: مبروك يا ولاد ألف مبروك، كلكم كنتوا عند حسن ظني وأحسن كمان.

- ليلى: تلامذتك يا مصطفى بيه، مش هنجيبه من بره أكيد.

- مصطفـى: هههههههههـه والله إنتي بالذات النهـارده كان ليكي طلة كده على جنب يا ليلى.

- هنا: وهي ليلى بس يعني اللي عجبتك ياعمو.

- مصطفـى: لا يا حبيبتي إزاي بس، ده أنـا حاسس أني لو كنت بخرجها النهارده بدالك ما كنتش هتطلع بالجمال ده يا ست هنا.

– إســراء: بجد إحنــا متشكرين أوي لحضرتــك، كفاية أن فنان كبــير من أحسن الناس اللي عملوا مسرح في مصر كان موجود وبيتفرج علينا؛ بسبب دعوتك ليه.

– مصطفى: ما تقوليش كده يا إسراء، ربنا يعلم غلاوتكم كلكم عندي عاملة إزاي، إنتــوا كلكم ولادي وأكتر كمان، إلا صح فين فهد وحازم، فين المجنون اللي طلع فجأة ده واندمجتوا معاه؟!

– ليلى: أيه ده هو حضرتك عرفت منين وإزاي؟!

– مصطفــى: هههههههههــه لولا أني لقيــت بالليل هَنا قاعــدة وقلقانة؛ عشان أول مــرة هتخِــرج عرض مباشر قدام الجمهــور، خلتني أسهر أعيــد معاها على كل حاجة وأحفظهــا من تــاني، ده حتى المشاهد كلها عيدناها لحد ما حفظت دور كل واحد فيكم هيطلع يقول أيه.

– ليلــى: والله حضرتك، لولا أن إسراء قدرت تتكلــم، وفهد وراها هو كمان وبدأوا يدمجوه معانا في الحوار مش عارفة كانت الليلة دي هتعدي إزاي.

– مصطفــى: الله يرحمهــا رؤى بقــى، أنا فاهــم إنها حاجة صعبة علــى حازم إنه يسيب حاجة عملتها من غير ما يشارككم فيها، كمان لمحته على فكرة وهو داخل معاكي يا هَنا وقعد شوية بعدين اختفى، ده اللي أكدلي إنه هو اللي طلع على المسرح.

– هنا: طيب أيه مش يلا بقى يا عمي نروح، الساعه داخله على اتنين.

– مصطفــى: معلش يا حبيبتي أنا هخلــي عباس السواق يوصلك، عشان في مشوار مهم لازم أخلصه قبل بكرة، بس الأول يلا معايا إنتوا كلكوا معزومين على العشا مكافأة للي عملتوه ده.

****

حديث على ذكِر شام.

– حـازم: برافو، عمري ما اتخيلت أن فهد الدكتور هيعرف يبقى "طاهر سليمان" بالشكل ده.

– فهـد: هههههههـه فعلًا عشان طاهر سليمان اللي ظهـر، هو اللي خلى شخصية مجنونـة زيـك جت في لمح البصر تبقى جزء أساسي مـن الحكاية، لا ويبقى بينها وبين اللي عالمسرح حوار كمان.

– حازم: مش يمكن وأنا قاعد بتفرج وسط الجمهور قبل ما أظهر جنبك عالمسرح أكـون سايبك تكمل الـدور، عشان عارف أن وقت ما أطلع هيبقـى ليا مكان وسط اللي بتفرج عليهم من وأنا تحت.

– فهـد: والله ممكن، بس برضو أنا كملت الشخصية بدافع أكبر، من أول مالمحت حـازم العريني اللي هو أول ما اتعملت شخصية "طاهر سليمان"، واللي رسمتها "رؤى داوود" مراتـه كانـت باسمـه، قاعـد بيتفرج عليـا باندمـاج أوي، لأ وكمـان على وشه ابتسامتـه كلنـا عارفنهـا، ده يخلينـي أكمـل لسبب أكـبر وأخليك تطلع علـى المسرح، عشان تشاركني نفس الدور.

"فتأتي عليهم هَنا من بعيد بعد أن نالت آذانها من حديثهم الكثير".

– هنـا: سامعاكـم إنتـوا الاتنين مـن بـدري بتتكلموا ومش عارفة كأنكـوا عيال، وبتعايروا في بعض ولا فرحانين باللي عملتوه، سبحان من يقدر يفهمكم.

– فهـد: هههههههههه لا يـا هنا أنا بجد فرحت لما شفت حازم جه وتابع العرض، وفرحـت أكتر لما لقيته معانا عالمسرح، والحمـد لله أن ربنا قدرنا والمشهد مشي كويس للآخر، مع أني لحد دلوقتي هموت وأعرف كان دماغك فيها أيه لما قررت تلبس ماسك تـاني لطاهـر سليمان برضو، ويبقى فيه نسختين منه علـى المسرح في وقت واحد قدام الجمهور.

- حازم: شكلك نسيته، ونسيت كان بيطلع بكام شخصية مختلفة في كل مرة.

- فهـد: لأ، مشـ ناسي -الله يرحمك- يا رؤى كويس إنها جت في حاجة زي ده والا ساعتها الله وحده أعلم، كنت هتفاجئنا بأيه وهنتصرف إزاي؟!

- هنا: الله يرحمها، المهم يلا طيب عشان عمي عازمكم على العشا، قوموا الوقت اتأخر ونروح.

حازم: هتروحي معايا يعني زي كل يوم صح.-

- هنا: اه وإذا كان عاجبك.

وبعـد أن اجتمعوا الخمسة معًا مع مصطفى عدنان في مسرحه "المونـاليزا" وانتهوا من عشائهم، غادر مصطفى المسرح رفقة سائقه الخاص، حيث أبلغه حازم وفهد أنهم سيصلوا بهنا أولا لبيتها، ثم يذهبون إلى منازلهم، لكن تلقت إسراء نبأ مسها برعشة، حيـث كان عن أقرب قلب احتضنهـا على الأرض، بعدما فاتتها مـن وضعتها وفارقتها روحها في نفس الساعة.

- إسراء: ألو.

- فؤاد: ازيك يا إسراء عامله أيه يا حبيبتي؟

- إسراء: عمي فؤاد ازيك يا عمي عامل إنت أيه؟

- فؤاد: الحمد لله يا حبيبتي بقولك أيه إنتي في البيت؟!

- إسراء: لأ، ده أنا لسه في المسرح ما روحتش.

- فـؤاد عـلام: مسرح المونـاليزا، طيـب خليكي يا حبيبتي عنـدك، أنا بعتلك جابر السواق من بدري، وهقوله دلوقتي يجيلك على المسرح وهيوصلك خلال نص ساعة.

- إسراء: ليه يا عمي هو فيه أيه، هي تيتة أنورين فين؟!

- فؤاد: ما تقلقيش يا حبيبتي، والله تيتة أنورين كويسة وبخير.

- إسراء: طيب هي فين أنا عايزة أكلمها، تليفونها من الصبح كمان مقفول.

- فؤاد: طيب بقولك أيه، إنتي بتصدقي عمك ولا لأ؟

- إسراء: اه والله بس قول.

- فؤاد: أنا معاها اطمني، هي كانت محجوزة في المستشفى عشان تعبانة شوية بس.

- إسراء: أيه! بتقول تيتة مالها!

- فؤاد: إسراء اهدي هي كويسة ما تخافيش، إنتي بس خليكي لحد ما جابر يجيل...

"لم يكمل فؤاد حديثه معها إلا وأغلقت إسراء هاتفها من الصدمة، وجرت مسرعة لأصدقائها".

فكانت تلك المكالمة لن تقع عليها كالصاعقة أن لم تكن أنورين هي المُخَبَر عنها، فهي أمها التي عرفتها منذ أن رأتها عيناها، ولم ترَ نادية التي وضعتها، فبكت إسراء وتبدلت ملامحها في أقل من ثوانٍ، حتى أربكت كل من حولها.

- ليلى: أيه يا إسراء مالك بتعيطي ليه؟!

- إسراء: أنا لازم أسافر دلوقتي.

- فهد: تسافري إزاي دلوقتي، فجأة كده؟!

- إسراء: عشان خاطري سيبوني أنا لازم أمشي.

- حازم: أيه يا إسراء اهدي كده طيب وفهمينا في أيه، هسافر معاكي يا ستي بس اتكلمي.

- إسراء: تيتة تعبانة أوي ومحجوزة في المستشفى.

- هنا: تيتة انورين!

- ليلى: أيه ده بجد، لا لا طب إحنا هنسافر معاكي استني.

- فهد: إسراء مش هينفع تسافري لوحدك في الوقت ده، اهدي وهي هتبقى بخير إن شاء الله.

- حازم: استنوا أنا هحضر العربية وجايلكم.

- ليلى: أنا هكلم ماما وأقولها إني مسافرة معاكي.

- هنا: حازم أنا لازم أروح الأول طيب لتيته، عشان دلوقتي معاد الدوا ولازم أخليها تاخـده وكمـان أعرفها أني مسافرة، مـا بتردش وشكلها نايمـة ولازم تاخد دوا السكر فلازم أروحلها.

- حازم: فهد خد ليلى وإسراء عشان مش هتقدر تستنى.

- ليلى: تعالي يا إسراء اركبي معايا يا حبيبتي.

- حازم: روح بيهم وأنا هاجي وراك ومعايا هنا.

"فتأخذهـم إسـراء إلى مـكان مـا تطلعت إليـه نفس من قبـل، وإلى أرض لم يعاشرهـا إناسٌـا لمدة وطالـت، حيث لم يبـقَ أحدًا علـى مقربة من المرازيـق، وطالت جيرتـه معهـم، إلا فقط العشتار ومن فيه الذين يجاوروهـم لسنوات، وتعود بنت نادية مرة أخرى هي ومن معها لمجاورة أرض غُجار".

"لكل نبأ مسُتقر"

2008/11/24 1:00 منتصف الليل

"يصل حازم بهنا أسفل منزلها"

- حازم: هَنا اطلعي وعلى مهلك أنا مستنيكي اهو، بس كلمي الأول عمك قوليله.

- هنا: هكلمه وأقوله حاضر، هيرضى لما يعرف أني معاكم.

- حازم: طيب على مهلك أنا مستني هنا، اه وهاتيلك جاكيت البسيه عشان المطرة دي.

صعـدت هَنا حتى وصلت لشقتها حيث كانت تعيش هي وعمها مصطفى مع جدتها والـدة أبيها، التـي لم يكن لها سوى مصطفـى أكبر أبنائها، وأحمـد والد هَنا -رحمه الله- ورأفت أصغرهم.

لكـن لم تجد هنا أحـدًا بالمنزل، فتذكرت أن زوجة عمها رأفـت أوشكت على وضع مولودهـا الأول، وأبلغها رأفـت أنه قد يأتي لجدتها في أي وقـت، ويأخذها حتى تقضي الليلـة جانب زوجته، فاطمنت هنـا ولم تتصل لتخبر جدتها بسفرهـا، حتى لا تشغلها حيال ذلك، يكفي أنها ستخبر عمها مصطفى.

وسريعًـا ما عادت هنا تطفئ أنـوار المنزل مرة أخرى، وبينمـا تستعد لتغلق الباب حتـى تعود لحـازم، سمعت ما أخفـق قلبها وجعلها علـى غير حالتهـا الطبيعية، حيث سمعـت جارتهـا شيماء، التـي سكنت الطابق الـذي يعلوها، تطلق صرخـة اهتزت لها العمـارة بأكملها، حتـى تسمرت هنا مكانها، ومن ثم عادت شيمـاء تعيد صرخاتها في صوت مبحوح تبعثر له كيان هَنا، وزاد من خفقان قلبها.

لكنهـا استجمعت قواها لترى مـاذا حل بجارتها، التي دائمًـا كانت تؤنس وحدتها إذا باتـت وحدهـا في البيت، فصعدت هنا إليها وصارت كل خطوة تخطوها على الدرج مهتزة تعبر عما ساورها من حيرة وخوف، حتى ما كادت تصل الفتاة أمام باب شقتها،

فتجده مغلقًا لكن ليس على آخره، فتنادي هنا على شيماء من خلف الباب، لكن لا تجد سوى أنينها يرد وصدى نبراته في المكان.

وبعدمـا وصلت هنـا لباب شقتها بـدأت تسند يدها عليه لتفتحـه ببطئ، حتى إذا انفـرج عـن آخره سارت للداخـل، بعدما لمحت ضـوء خفيف في آخـر الصالة، منبعث مـن (آباجـورة) بجانب الأريكة، ومـا أطالت هَنا نظرها قليلًا مـرة أخرى إلا ووجدت شيماء ملقاه، وفي جنبها عدة طعنات جعلت دماءها تخرج من مجرى عروقها وتفترش الأرضـ، فشهقت هنا لهول منظرها، وجرت عليها دون تفكير، محاولة تقديم أي شيء لتساعدها به، وحاولت أن تمنع نزيفها بأي طريقة، ومن ثم تطلب الإسعاف لها، ولكن كان لسماعهـا صـوت من هو قادم لها من أعلى وفي طريقة إليها إثر الآخر، فقد أصبح عقلها تائهًا غير قادر على التفكير، لكن لرحمة خالقها بها التي ألهمتها في ثوانٍ معدودة أن تطفئ المصدر الوحيد، الذي يضيء الشقة ذلك الحين -الآباجورة- وتختبئ بإحدى أروقتهـا، فقادتها قدماها إلى المطبخ ونست هَنا هاتفهـا، الذي أخرجته لتضيء عتمة الظلام، الذي وجدت نفسها فيه بالصالة.

لكنه كان قد سبق الذين برقابهم دم الفتاة الملقاة على الأرض، وباتت روحها تودع جسدهـا، فكل ما كان يشغله الآن هَنا فقط، فبعـد أن بحث عنها بالأسفل ولم يجدها، أدرك أنها في تلك الشقة حيث كان لآثار أقدامها التي طبعها حذاؤها المُبتل على السلُم؛ الفضل في وصوله لها قبلهم.

وعندما هو بداخل الشقة أدرك أنه ما يصدر منه أي صوت إلا وسيجني على نفسه وعلـى هَنا أيضًا، حيـث ما يؤكد له أنهـا بالشقة معه هو رائحة برفانهـا "هامر" التي تميـزت به، فأخرج هاتفه وجعل ضوء شاشتـه الخافت مسلطًا على الأرض حتى قادته آثـار قدميهـا المبتلـة ثانية إلى حيث ما ذهبـت، حيث كانت بالمطبخ، ومـا أن وصل لها

وأحســت هي بالذي يمسك بها، كانت ستنطلق منها صرخاتها، لكنه لحقها وكتم فمها وطمأنها أنه أدركها قبل أي أحد آخر، وفور أن علمت هَنا أن حازم هو الذي صار معها الآن بكـت وارتعشت أساريرها، ونبض قلبها في الوقت ذاته بشئ من السكينة، ولكنهم أصبحوا الآن في حضرة اثنان بالخارج غير مرحب بهم أبدًا.

– هنا: حازم هو اللي بره دول هما اللي...

– حازم: شششششش حد شافك منهم؟!

– هنا: لا ملحقوش أنا حتى مالحقتش أكلم الإسعاف.

– حازم: هي شنطتك فين؟! بره.

– هنا: هي والتليفون، معرفتش أفكر في حاجة لما سمعت صوتهم، غير أني أستخبى وبس.

– حازم: بقولك أيه هو هنا في مراية كبيرة؟!

– هنا: اه آخر الصالة جنب الشباك، بس إنت بتسأل عليها ليه دلوقتي!

فعـاود وضع يـده مرة أخرى علـى فمها المرتعش؛ ليمنع بكاؤها الـذي لم تستطع كتمانه داخلها، حتى لا يسمعهم أحد وهمس بأذنها.

– حـازم: بقولـك أيـه أول ما أسيبـك اجري واقفلي بـاب الشقة وراكـي، وتنزلي عالعربيـة تاخديهـا وتطلعي على ناصيـة الشارع، وفي خلال خمـس دقايق لو ماجيتش وراكي امشي.

– هنا: أمشي وأسيبك هنا إزاي.

– حـازم: هنا اسمعي كلامي ماتخافيش هبقـى كويس، هجيب شنطتك وأجي بس يلا دلوقتي.

ومـا كان خادمهم في تلك الليلـة إلا –ديكور– ذلك المنزل الذي لم تكن المسافة بين مطبخـه والبـاب سوى بضع خطوات مـن جهة اليسار، فمـا وإن أسرعت هنا بالخروج

منه وأغلقته ورائها، هرول خلفها اثنان، واحد منهم ضخم الجثة، كانت حركته بطيئة شيئًا ما، والثاني تميز بخفته وسرعته، حيث لم تمضِ سوى لحظات إلا وكان عند الباب سيلحـق بهَنا، وفـور ما فتحه ليأتي بها ظهـر حازم بالصالة وأضاء نـور -الآباجورة- جالسًا على الأريكة بكل هدوء أمامهم.

ممـا أغضب الاثنان فعاود الآخر يحُكم إغلاق الباب ووقفوا أمامه، وفور ما أسرع خفيف الحركة نحوه ليهجم عليه، انطفئ الضوء مرة أخرى، ولما وصل حيث ما كان هو جالسًـا، لم يجده فجاهد حتى ينير ضوء -الآباجورة- مرة أخرى فوجدوه حينها واقفًا في أحـد الأركان، واضعًـا يداه خلف ظهـره، عائدًا لنفس الابتسامـة التي أظهرها لهم منـذ ثوانٍ واستفزتهم، فجرى عليه الضخم حينها وقفز نحوه، لكنه وجد نفسه مرتميًا في أحضـان المـرآه الكبرى التي سبـق وسأل هَنا عنها، وبفضل مـا تعلم حازم من حيل التصوير، كان قد جعل صورته بالمرآه وسط حيز مظلم، تظهره وكأنه هو حقيقة وليس انعكاس لـه، وفي تلك اللعبة انخدع الضخـم وألقى نفسه بأقوى ما عنـده نحو صورته ___حسبمـا كان يعتقد أنه سيمسك به___ لكنه ارتطم بالمرآة فحطمها، وقابلت رأسه الجدران فصارت مُهشمة أمام صلابتها ليقع أرضًا مغشًيا عليه، ووسط انشغال الآخر الـذي كان يحمـل -الآباجورة- بالبحث عنه غير مدرك كيـف حدث ذلك، قذفها عليه في الهـواء ثـم جرى على صديقه المُلقى على الأرض، ليرى ما به فيظهر له حازم ثانية، واقفًـا خلفه مباشـرة، وما كان يسع الثـاني أن يدير له وجهه، حتـى شل حازم حركته وأعجزها، فصار الآخر لا نفس به وسقط منتهيًا أمره مثل زميله الآخر.

****

- ليلى: يا فهد أنا خايفة على إسراء،

لفطرتهـا التي خُلقت عليهـا كانت "ليلى بنت حسني" بينهـم كأنها صديقتهم في

آن وفي الآونــة الأخــرى تقوم بدور أم وأخت كبرى، حيــث دائمًا ما كان حضورها معهم يشعــر هنا وإســراء كأن التي حضرت لهما نصيب من الحــب في قلبها لا يقارن بآخر، خاصــة أن ليلــى كانت أول من التقــت بإسراء منذ مرحلة الثانويــة، حيث رافقتها منذ ذلك الحين إلى أن انتهوا من دراستهم بالجامعة معًا، وفي تلك السنوات كانت ليلى من جعلهــا الله لإسراء كل شيء، وإذ كانت هنا تصغرهــم بعام أيضًا، فذلك لم يمنع ليلى مــن الحضور بين آن وآخــر، لتطمئن على هَنا وتسُير معها أمورها كما اعتادت أن تفعل مــع إسراء، التــي ما كانت هي الأخرى لتطمئــن على هَنا، ولا تعتــبر نفسها انتهت من سنوات الدراسة إلا أن أخذت هنا شهادتها ومنذ ذاك الحين، بدأوا يعملون معًا في أولى عروضهــم مــع رؤى، الذي ما أرادوا البدء في تنفيذه، وهَنا تدرس حتى لا تؤثر جامعتها أو عملها أحدهما على الآخر، وحينما علمت رؤى بذلك أيضًا وافقت وقامت بتأجيل كل شيء، حتى لا ينشغلوا بسواه.

– فهــد: مــا تقلقيش يــا ليلى، الــدوا ده كنت بحط منه لحــازم عشان ينــام، أيام الحادثة وموت رؤى.

– ليلى: أيه! بس حازم عمره ما خد منوم أو مهدئات.

– فهــد: عمره ما كان هيوافق ياخد حاجة في الفترة دي، والدكتور ساعتها حذرني أن في خطــر عليه، وكنت خايــف وقتها لايحصله حاجة، ما كنش قدامي حل غير كده أديهوله من غير ما يعرف.

– فهد: سيبيها نايمة عالأقل لحد ما نوصل، وساعتها نبقى نفوقها.

"فتسند ليلى رأسها للخلف، لتأتي هَنا على بالها لحظة ثم تغيب، لكنها لم تنتبه لمــا يمليــه عليها قلبهــا عن هَنا، حيــث كانت كل همومهــا ذلك الحــين أن تطمئن على إسراء التي ظلت في غيبتها".

مـا كان للحديث أن يسلك درب من دروبهم، حيث هَنا توقف عقلها وتفكيرها عند اللحظة التي رأت فيها شيماء في طابقها الأعلى رفقة اثنين، حلوا عليها وكانت دماءها فقـط مـا ابتغوه تلك الليلـة، فلا تستطيـع إلا أن تعيد حديثها التـي سردته معها ليالي سهرهـم معًـا، حيث لم تقضِ هَنا لياليها التي كانت وحيدة في منزلها، إلا وتحل شيماء عليهـا ليتحاكا الاثنان، حتى ينقضـي ليلهم الطويل، وتسترسـل تفكيرها وتعيده حتى تظهر دموعها بعينها وجسدها كما هو مستكين لا يتحرك، فقط من داخلها ظلت صورة جارتها ثابتة أمامها، حتى تذكرت إحدى الليالي كلمتها فيها شيماء عن مكتب المحاماة، التـي عملت به حيث أخبرتها عن تهديدات تلقتها المجموعة بأكملها تخُص قضية قتل، وعلـى إثرها قرروا أجمعين أن يجعلوا هـذه القضية نصب أعينهم، واستحدثت شيماء نسـخ مـن أوراق القضية التـي يعملون عليها، حيـث ذكَرت لها أنه حينمـا تمت سرقة المكتـب من بعد، كانـت هي سبقت من سرقـوه وأخذت نُسخ من كل شـيء تواجد فيه، قبـل أن يختفي أثره بعد حادثة السرقة، فتلومها هَنا مرة أخرى في بالها بعد أن سبقت وحذرتهـا من تلك الفعلة، وإنها ما كان عليهـا القيام بذلك حيث تلك الأوراق أصبحت حملها الثقيل حينها، وإن لم تتخلص منها إلا فلن تكون في أمان، حتى تم حقًا ما خافت منـه هَنا وحدث لشيماء ما كان الليلة، فتريح ظهرهـا وتسند رأسها للخلف، وتنظر له كأنهـا لا تعلـم كيف كان ليمر ذلك اليوم عليها لو لم تجـده معها، وتعيد نظرها للأمام ثانية في شرود ثم تغمض أعينها لتنام، حيث لا تقوى الآن إلا على فعل ذلك.

بينما حازم بجانبها فضل ألا تأتي لحظة تبدأ فيها هَنا الحديث عن تلك الجريمة، ومـا رأته منذ قليـل حيث وأنها في حالتها تلـك مستكينة في غفوتهـا، بجانبه رسمة له صورة "رؤى العين" في خياله، وهي غارقة في دمائها فجر ليلة الثامن من فبراير، منذ عامـين تلـك الليلة التي ودعته فيها، فعاودته هو الآخر ذكـرى هذه الليلة بأكملها، منذ بداية رحلتهم إلى لحظة فقد فيها أعز ما ملك.

رؤى العين

"على طريق مصر إسكندرية الصحراوي"

2006/2/8 - 3:30 فجرًا

إلى حين ألقَاكي، يوم أبْعَث.

كانـوا في درب عودتهم من رحلة الإسكندرية، التـي قضوها وكان طريقهم لا عليه أحـدًا سواهـم، حيث كانت السيارتان إحداهما جانب الأخـرى، حين وجدنا آخر كانوا يتسابقـان، وإذا كان طريق بهـذه الظُلمة في هذا الوقت لا يسـير عليه أحدًا بسرعتهم ويكتب له النجاة -إلا من رحم ربي- الذين كانوا يفعلوا ذلك هُم الستة، حيث بالسيارة الأولى كان حـازم برفقة زوجته، ومعهم إسراء وفي السيارة الأخرى هَنا وليلى مع فهد، الذي كان مُصِر إسكندرية الصحراوي سابقًا بينه وبين حازم.

وبأحـد المنعطفـات سبق فهـد حـازم بسيارته، فسـارت العربتـان إحداهما أمام الأخـرى، حتـى انتهت بهم تلك الحارة الضيقة، ومـا أن انفرج عليهم الطريق إلا وعاد حازم بجانبه مرة أخرى كما كان، وما قرر أحدًا فيهم أن يسابق الآخر مرة ثانية، لكن ظلت السرعة سيدة الموقف ذلك الحين، وبينما كانوا يسيرون على وتيرتهم تلك إلا ولمح فهـد تلك التي تحمـل صغيرها على يدها، وفي اليد الأخـرى ابنتها، التي حاولت تسرع خطوتهـا لتعـبر الطريق، فما لفهد حينها إلا ينعطف يمينًـا حسبما كان يعتقد أن ليس بجانبه أحدًا، لكنه فوجئ بالسيارة الأخرى التي بها الثلاثة بقيتهم، حتى إذ يفادي الأم وصغارهـا من المـوت في الوقت الذي لا يعلم أن على يمينه يسـير حازم بسيارته، حيث كان الآخريـن هم من يواجهـون الموت، وتلك العَملة التي بـات مصيرها مكتوبًا عليهم أجمعين، وبعدما انقلبت سيارة حازم بمن فيها انقلب أيضًا فهد بسيارته هو ومن معه، ولهم أجمعين نفس المصير.

وإلى مستشفـى فيكتوريـا حيثما تم نقلهم بدأت أخبارهـم تصل لأهاليهم، خاصة أنورين التي انفطر قلبها مجرد ما سمعت الخبر، فأتت على الفور لإسراء ومعها وردة، حيث كان عمها فؤاد علام خارج مصر تلك الليلة.

– أنورين: إسراء حصلها أيه، الولاد كويسين ولا لأ يا مصطفى؟!

– مصطفى: أنورين هانم اطمني كلهم كويسين، أدعي بس رؤى تخرج من العمليات على خير.

– شريفة "والدة ليلى": تعالي يا أنورين استريحي، ما تقلقيش كلهم بخير بس !!!!!.

– أنورين: بس أيه يا شريفة فيه أيه فهميني؟!

"يحـل الصمـت على شريفـة التي ألقت نظرها بعيدًا على حـازم وفهد، الذين جلسـوا بحالهـم الـذي لا يرُثى فيه حديث، فمـا استطاعت إلا أن تبكـي وتنظر لأسفل لتدفن رأسها بين كفيها"

– مصطفـى: ادعـي أن رؤى تخرج من العمليات بخير يا هـانم، رؤى الوحيدة اللي حالتها صعبة.

فجلست أنورين وظلت تتأمل وجوه من حولها، وانتظرت حتى تخرج الفتيات، حيث أصيبت إسراء بجرح كبير في رأسها، وليلى بكسر مضاعف في يدها، وكان نصيب هنا أن تنكسر ساقها.

وبمـرور أولى الساعـات ظهـرت الفتيـات أمامهـم، بعـد أن تمـت مداواتهم من إصاباتهـم، وسمح لهم بالخروج، فكانت أولى من سألوا عنها هي "رؤى داوود" بعد أن لاحظوا عدم وجودها بينهم.

– أنورين: حمدًا لله عالسلامة يا حبيبتي، تعالي طمنيني عليكي.

– إسراء: تيتة هي رؤى فين؟! سيبك مني أنا الحمد لله كويسة، رؤى فين يا أبلة شريفة؟!

– شريفة: ربنا هيخرجهالنا بالسلامة إن شاء الله يا حبيبتي.

وبصعوبة تمالك مصطفى نفسه أمام هَنا، التي جاءت على كرسي متحرك، فتلك هـي ابنته حيث ما اعتبرها يومًا بنت أخيه، فهـي قطعة من قلبه التي عاش من أجلها، التي كاد يشت عقله حينما سمع خبر حادثتهم.

– مصطفى: كده برضو يا حبيبتي تعملي فيا كده.

– هنا: غصب عننا والله، الطريق كان ضلمة، وفهد ما شافش حاجة جنبه، وفجأة ظهرت عيلة فا...

لم تستطع أن تكمل حديثها هي الأخرى، وبكت بعد أن رأت حالته تلك، وقلقة عليها فضمهـا إليه، وما كان قلبـه ليطمئن ويهدأ تمامًا إلا حين يطمئنـوا أجمعين على رؤى، التي بحثت هنا عنها بأعينها وسط المتواجدين ولم تجدها:

هنا: عمي رؤى فين، أنا مش شايفاها ليه؟!

مصطفى: رؤى في العمليات يا حبيبتي، ادعي ربنا عشان تقوملنا بالسلامة.

في واديها الآخر تركتهم ليلى وظلت مكانها بعيدة عنهم، حيث حدثها قلبها منذ أن دخلوا المستشفى أن مكروه أصاب أحدهم، وحينما لم تجد رؤى بينهم أدركت أنها التي كُتبت لها تلك الاضطرابات التي ساورت مشاعرها وعقلها.

وبعـد مرور ساعتين علـى دخولها غرفة العمليات كان يتواجـد على مسافة في أول الطرقـة حازم وفهد جالسـين لا يسمع لأنفاسهم صوت، وأمام بـاب العمليات مباشرة أنورين ومصطفى وشريفة مع إسراء، وهنا وبعدهم بخطوات ليست قليلة تواجدت ليلى شـاردة بعينها، كالتي أُسكِـرت بخمر وظل الوضع بهذا الحال إلى أن خرج الطبيب من خلف باب غرفة كانت محل أنظار الجميع.

– مصطفى: خير يا دكتور طمني بالله عليك.

- الطبيب: أستاذ مصطفى إحنا عملنا اللي نقدر عليه، والله بس رؤى !!!!!!!...

لم يكمل الطبيب كلامه إلا وانفطرت إسراء، وهنا في نفس اللحظة وانسابت دموع الاثنتين، وسري بكاؤهما وصرخاتهما أرجاء المستشفى بأكملها، وظلت ليلى محلها حيث كانت وأغمضت عينها، وحينما سمعت بكاؤهم لم تحرك ساكنًا، وتأكدت أن كل ما ساورها منذ أن أبعدت نفسها عنهم كان يقينًا، فكأن قلبها تلك اللحظة انشطر كأم سمعت خبر ابنتها، وباتت تقاوم إحساسها وتفكيرها ولم يُكتب لأي ما حاولت فعله أن يكتِم ما بها، فطغت صرختها عليهم أجمعين، ولم تستطع "شريفة" أمها أن تقوم إثر ما سمعته، ليتألم قلبها مرتين: الأولى على رؤى والثانية بسبب تلك الصرخة، التي خرجت من أعماق ابنتها.

استجمعت كل ما بها من قوى وجاهدت، حتى استطاعت أن تقف على قدميها، التي ثقلت وصارت تمشي بكرسيها المتحرك، الذي عاهدته منذ زمن لكن الآن تخلى عنها هذا العهد، وحينما رآها مصطفى ساعدها على القيام هو ووردة التي لم تكف هي الأخرى عن البكاء، وما إن استطاعت أنورين أن تقف بقدميها على الأرض إلا وتركت يد وردة ومصطفى، واتَّكأت تستند بالجدران وسارت إلى أن وصلت أمامهم، فكان الاثنان لا يُرجى لحالتهم شفيع، فأتت وردة وسحبت يد فهد، الذي كان طوعًا لكل من حوله، حتى وكأنه طفلًا لا يتعدى الثانية من عمره، وما أن ابتعدت به وردة إلا وتلقاه مصطفى بين أحضانه باكيًا هو الآخر، لكنه يجاهد محاولة في السيطرة عليهم وتهدئتهم.

كانت نظرتها له كأنها ترى حفيدتها يوم أبلغتها بعدم وجود أمها "نادية"، وإنها بين يد الرحمن منذ أن أخرجتها للدنيا، فكأن أنورين الآن لا تنظر لحازم الذي يبكي أمامها بحرقة مثل إسراء في اليوم الذي وعت فيه بموت أمها، وفعلت تمامًا مثله حين

أدركت معنى مفارقتها لها، وجلست على ركبتيها التي جاهدت في ثنيهما، وظهر عليها آلامِهـا بينما هو في عالمه الآخر، وحينمـا اعتدلت واستوت أمامه جذبته بين أحضانها، فصار وكأنه طفل وجد حضن أمه، ليطلق العنان لكل ما بداخله، وعادت هي بذاكرتها إلى نفـس اللحظـة التي باحـت إسراء بما في قلبها عـن فراق نادية لهـا، وبكت كحال حـازم الذي يكـرر الآن على أنورين مشهد عاشت نفس أحداثـه منذ عشرين عام على يد حفيدتها.

والآن رؤى غير متواجدة معه، ولم يبقَ له شيئًا منها، فكل ما يعاد تفكيره في خبرِها ينفطر، وأنورين لا تزال تضمه بين ذراعيها منجزعة هي الأخرى على رؤى وعلى حالته تلـك، وخاصة بعـد أن أبلغهم الطبيـب بوفاتها، لتذهب وهي في رحمِهـا جنينًا لم يبلغ شهره الثاني.

"قبل لقائهم مع الفجر"

8:30 2008/11/24 صباحًا

عودته من داخل دروب ذكراها.

في برهــة من الزمن كتلــك التي أخذته داخل دروب عقلــه وسرحت به في حواريه، جــاءت الأخرى التــي أخرجته مــن ذكرياته، ويوم الحادثــة ووفــاة رؤى ومعها ما كان برحمِهــا، ليعيــد نظره مرة أخرى لهَنــا التي غلبها النوم، ففضــل ألا يخرجها من تلك الغفوة إلا حين يصلوا، لكن ظلت صورتها بتلك نظرة خوف، التي رسمتها ملامحها هي أكثر ما يُشبهها له برؤى، وما كان ليعود حتى ينبش في ذكرى تلك الليلة أبدًا، إلا حينما رأى هَنا التي أكثر من شابهت زوجته في طباعها وهدوئها.

وبمــرور الوقت جاءتها أشعة الشمس فجعلت غفوتها غير مريحة على غير عادتها، التــي زارتها في أول طريقهــم، حيث كانت تلك التي يراودها الموت منذ ساعات، وكانت أقرب إليه من نفسها تائهة في ثبات عميق، كأن شيئًا لم يحدث أمامها.

فتنفتــح عينها وتنظر إليه ثم تدير نظراتها يمينًا للطريق، وتصمت في شرود حتى لم تمهلها دموعها كثيرًا، وانسابت من عينيها وهي لا حول لها.

ليتوقف حازم بجانب الطريق ويمد يده نحو رأسها ويربت عليها، حتى تطل بوجهها خــارج كفيها، فبدأت تهدأ وعــاد عقلها من شتاته، وتعود له هــو الآخر طبيعته التي لم يستطــع أحــد أن يفهمها مثلها هي وفهــد، وإن كان في الأصل لا أحــدًا منهم حتى الآن يدرك تمامًا ما يدور في رأسه.

فيصنع من طريقة كلامه التي كثيرًا ما أحبتها هي ثغرة يصل به إليها، مغيرًا ذلك الصمت، الذي بات يهواها منذ بدأ رحلتهم إلى عزبة العشتار:

- حــازم: لأ، بقى كده كتير، ده لو حد معدي بالصدفة شافنا يفتكر أنك مراتي ولا خطيبتي، وبدل ما كنت واخدك أفسحك قومت نكدت عليكي.

– هنا: هههههههههههههه (لم تتوقع أنه سيخرج منها ضحكتها بكل هذه التلقائية).

– حـازم: ركزي عشـان هنا المكان ده أخـري، وشوية وداخلين علـى الأقصر أهو، همشي إزاي؟!

– هنا: هواااا هو إنت عملت أيه لما خلتني أسيبك وأنزل.

– حازم: هكون عملت أيه يعني يا هنا، الحمد لله ربنا قدرني ألهيهم عنك وخلاص.

– هنا: طب وبعدين هعمل أيه في اللي حصل ده؟!

– حازم: هو كان حصل حاجة منك، مفيش حاجة فوق في الشقة تخصك خلاص، أنا جبت شنطتك واتاكدت من كل حاجة، حتى تليفونك اللي كان على الأرض.

– هنا: (تُجيبه بصمتها)

– حـازم: علـى فكرة عربيتي أنا اللـي كانت تحت العمارة مش عربيتك، وإنتي لما كلمتي عمك كمان معرفش أنك كنتي روحتي البيت يعني...

– هنـا: أيـه ده، أيه ده، هو إنت بتقـولي كده ليه، هو ممكن حـد يجيب سيرتنا في الجريمة دي؟!

– حـازم: ولا حـد شافنا أساسًا عشـان يجيب ولا حاجة، أنا بقولـك كده أطمنك، إنتي اللي قلقانة.

فيعاودها حزنها، وتعود دموعها الظهور عليها في صمت، ثم تنظر له وكأنها تسأله عنها وما حدث لها، فلا تعرف بما تسأله وتدرك أيضًا أنه لا إجابة عنده لما يدور بخلدها.

فيبتسـم لها نفس الابتسامـة، التي آخر مرة جاءته فيها كانـت أمام أولئك الذين كنـت المِـرآة هي المُخادع الأول لهم، وتركوا في مكانهم ليحملـوا وزرهم في التي ارتكبوا بها جريمتهم.

حازم: طب بقولك أيه.

"فترفع رأسها نحوه وتنظر له فتلمح ابتسامة عاهدتها دائمًا فيه، وأنه ما تأتي على وجهه أبدًا تلك الرسمة، إلا ويكون بعدها خبرًا لا تسمع مثله إلا منه هو فقط".

- هنا: أيه؟!

"بعد وصول فهد البر الغربي، توقف ليسأل رجل عجوز عن عزبة العشتار حيث القصر الذي يقصدوه"

- فهد: لو سمحت يا ريس نروح منين عزبة العشتار.

- العجوز: دي آخر عزبة في البر ده يابني، هتضطر تمشي لآخر الطريق اللي على شمالك ده.

- فهد: طب ما طالما آخر البر مفيش سكة تانية ممكن نمشي منها، ولا لأ.

- العجـوز: لا يابني أوعاك تفكر تدخل منها، دي آخرها بدر الصعيدي، ومن بعده حي المرازيق.

- ليلـى: اه يـا فهـد والنبي أنـا ناسية كمان، خليـك زي ما بيقـول عشان خاطري وبلاش السكة دي.

- فهـد: مين بـدر والمرازيق دول، الطريق ده مش باينله آخر أساسًـا وأيه الهدوء الغريب اللي فيه ده.

- العجـوز: هنـا يعتـبر آخر البلـد، عمر ما حد فينـا وعي عالمكان هنـا إلا وكانت المنطقة فاضية كـده، اسمع كلامي وفوت من السكة اللي قولتلك عليها أسلملك، وابعد عن حي المرازيق يابني.

"فينظـر لـه فهد في عجب وحيرة ثم يسير كما قال هـذا العجوز، وظل صامتًا حتى حدثته ليلى".

- ليلى: على فكرة الطريق ده إسراء عمرها ما خلتني امشي منه أنا كمان، دي حتى...

"وفي تلك اللحظة تعود إسراء من نومها، فيغير فهد مسار الحديث حتى يتكلموا مع إسراء".

- فهد: إحم، حمد الله على سلامتك يا رووئا (فيدركها فهد سريعًا فيغير الحديث تمامًا)
- ليلى: أيه يا حبيبتي ألف سلامة عليكي.
- اسراء: إحنا فين دلوقتي وأيه اللي نيمني كل ده؟!
- فهد: لأ، مفيش ده إنتي بس سندتي راسك فروحتي في النوم، ومرضيناش نصحيكي.
- ليلى: خلاص يا حبيبتي إحنا كلها عشر دقايق ونوصل

"ومن على بعد تلمح إسراء شيء غريب بالقصر".

- إسراء: أيه ده هو اللي هناك ده؟ بيفرشوا صوان!

****

- حازم: ها يا ستي "مرحبًا بكم في الأقصر" اهو، أكمل منين بقى.
- هنا: بص أنا جيت معاها كتير قبل كده، وكنا دايمًا بنكمل لآخر البلد من الطريق اللي هناك ده.
- حازم: طب وليه اللفة دي، ما نكمل كده على طول.
- هنـا: أيه! اه هـو ده برضو بيودي لآخر البلد بس من ناحيـة أرض اسمها غُجار، بسـ أنا عمري ما مشيت من السكة دي، ولا حتى إسراء كانت بتروح منها، تيتة أنورين كانت بتحرس علينا منها.
- حازم: ليه يعني تعالي تعالي، إحنا أساسًا هنوصل متأخر، والساعة كمان بقت ١١.

****

تحُدثِها نفسها.

لعل ما ترجوه إسراء الآن ألا يقتحم أحدًا عليها خيالها، فما وإن لمحت عينها صوان

العزاء حتى عاهدتها غيبة لم تحل عنها حتى الآن، وصارت بداخلها تتمنى ألا يخرجها أحـدًا منها، فما وإن علمت بوفاة أنورين إلا وغابت بوعيها عن كل ما حولها، كما كانت دومًا تفعل حينما كانت تتذكر والدتها.

– ليلى: فهد هو إنت متأكد أن اللي حصل لإسراء ده عادي، أنا هموت من القلق عليها.

"يجيبهـا في حزن هو الآخـر، كما هو حالها بعدما عرفوا أن جدة إسراء توفت منذ الفجر".

– فهـد: بصـي لمنظرك بعد مـا سمعتي الخبر، أكيـد على اللي إنـت عملتيه ده ما يجيش حاجة من اللي هي حاساه، سيبيها ياريـت تفضل نايمة أطول وقت، ماتقلقيش هتقوم كويسة بإذن الله.

"دموع عينها لم تغِب عن وجهها حتى الآن، فا ليلى مثلها، مثل تلك التي رقدت إثـر مـا فقدت، فأقـرب من لها تركتهـا، وظلـت وردة تواسيها من أجل إسـراء، بينما تكون هي من في أشد الحاجة لمن يحنو عليها هي، حيث عوضت الجدة وردة حنانًا غاب بعد مقتل عشمانة، ولكنه يُفارقها الآن مرة أخرى".

– وردة: عشـان خاطـري بطلي عيـاط، إسراء مطمنـة بوجودك معاهـا دلوقتي، استحملي شوية عشانها يا ليلى معلش وامسكي نفسك.

– ليلى: مش قادرة يا وردة والله غصب عني، هحاول بس هي تقوملي بخير الأول.

****

بينمـا كان جميع مـن في أرض غُجار مر عليهم زمن، لم تلـق فيه عينهم أحدًا من الأغـراب أو طرقت قدمًـا أخرى غريبة حيُهـم أو أراضيهم، سار هـو وهَنا في سكتهم لمعـاودة سلك دربًا لم يعرف وصاله أحدًا من أهل العشتار، منذ (٩٨٩١م) حين وُجدت وردة جثة أمها ملقاه على جانب المسجد، الذي يتواجد في أول الطريق، الذي لم يسكنه أحدًا غير أولئك الذين بقبورهم ولا يأنسهم إلا زيارة غجرية، وضعت سرها في إحدى تلك المقابر.

مقابر غُجار.

"سرا عفا عليه الزمان"

2008/11/24 11:30 ظهرا

إحدى لياليهم العشر.

"سلامًا على من عرفوا لدروبهم المسلك"

غجرية فرشت أرضها بساطًا لم يرها عليه أحدًا من قبل ولا من بعد، وفي مكانًا لم تعاهـده خطوة أخرى غير خطوتها إلى حيثما تـؤذن لسيرها أن يستكين، فتلك الليالي العشر، التي ينتهي بها كل عام، وبها أيضًا تنهي هي وجماعتها عزلتهم، التي عاهدوها طوال السنة عدا هذه الليالي، التي تمُحىَ عهودهم عنهم وتجعل لهم من أرض غيرهم مكانًـا لا يجادلهـم فيها أحدًا، إذا نزلوا فيها فتلك سنُتهم، التي خلت في أهل البر كله، ومـا كان أحـد منهم يستطيع معارضتهم بل والظهـور في أرض قريبة من مكان وضعوا غايتهـم به، فما يهوى الأمر والنهي غـير الغجر في هذه البلدة، وما جادلهم في أمرهم ونهيهم أحدًا من قبل إلا ويجاور الذين يسكنوا تلك القبور الآن.

– حازم: هو ليه المكان هنا عامل كده؟!

– هنا: حازم أبوس إيدك ارجع بينا بلاش نكمل، ده النهارده كمان ٤٢.

– حـازم: نعم! هـو أيه اللي نرجع عشان النهـارده ٤٢، أنا بسألـك ليه الطريق ده بالذات غريب كده وكله سُكات، وأيه كمية القبور دي، هو في هنا مدافن تانية غير اللي شفناها في أول البلد؟!

– هنا: اه دي مدافن غُجار.

– حـازم: اه أرضـ الغجـر اللي بتقولوا عليهـا، طب ليه نرجع، وأيـه حكاية عشان النهارده ٤٢ دي؟!

– هنـا: دي حاجـة تيتة أنورين حكتهالنا قبل كده، بتقـول كانوا متعودين من زمان وهمـا في بلدهـم آخر عشرة أيام مـن كل شهر نوفمبر أو ديسمـبر لازم يحصل حاجة غريبة، وبتقول بتسمع عن حكايات أن أهل الأرض دي ما بيخرجوش برا الحي بتاعهم، اللي هو حي المرازيق ده إلا العشرة أيام دول

"انشـر الحواديـت بين الناس وهما مـع الوقت هيصدقوهـا" همس حازم وهو يضحك محدثًا نفسه.

– هنا: أيه، أيه اللي بتقوله ده؟!

– حـازم: هههههههـه جملة قديمة كنـت بسمعها من ستي يعنـي "الخرافة يوم ما تتقال بين الناس بعديها بتتصدق أيًا كانت" وبعدين ممكن أقف خمس دقايق بقى، أنا تعبت من السواقة طول الليل.

– هنا: أيه هِنا؟! لا لأ، ودِيني الأول وبعدين نرتاح هنا.

– حازم: هاتي إيديك... هاتي.

"حـين تستحـوذ نبضـات قلبها على تفكيرهـا، ما تُظهـر إلا الطاعة لمن حولها خاصة وإن كان حازم".

– حازم: ها خايفة لسه؟!

– هنا: "فتباغتها سرعة رضاها لما يطلبه منها وترد عليه بتلقائية" لأ.

– حازم: طيب يلا يا ستي تعالي خليني، أقعد شوية في السكون ده بره العربية بقى.

"ما يكون لأحد مثل حازم أن يلاقي سَكِينتهُ في مكان كهذا، إلا ويطيل لحظاته به قدر إمكانه.

حينمـا عادت عيناه لهَنا ثانيـة وجدها واحدة أخرى، كأن التي سافرت معه تبدلت في ثوانٍ".

- حازم: في أيه يا هَنا مالك، هَنا!!!؟!

"محدثًـا إياهـا بعـد أن وجه نظره عليهـا، فوجدها على غـير حالتها، حالة لا يُرجى فيها شفاعة، حيث التقت عيناها بعين إحدى من سكنوا في أرض غُجار"

- حازم: واقفة عندك كده ليه يا هنا تعالي.

"خطوته تقترب مع حديثه نحوها حتى شاركها رؤيتها لتلك" مين دي؟!

غجرية على بساطها.

"تشـير لـه هنا محركـة يدها المثقلـة، حتى تلعثم سـير كلماتهـا حينما قامت الغجريـة مـن أمام مخضعهـا، حيث كان قـبرًا، مازالـت تواعده بنـت المرازيق، منذ أن دفنـت سرها فيه، ثم تابعت خطواتها نحوهم، وكانـت هَنَا لا حيال لها أن تستوعب مـا يُقره لها عقلها، وحـازم بأدلته عيناه نظرة تلك التي عاهـدت نفسها قبرًا تأتيه في لياليها العشر".

- الغجريـة: ما سأل عنا في يوم إلا الغريب، بس الغريب مش بيناتنا، الغريب تملي بيكون بينكم.

- حازم: ومين الغريب اللي سأل عنكوا؟!

- الغجرية: أهل النضارىَ والحيارى.

- حـازم: اه إنتـي غجرية؟! بس دي مشـ أرض الغجر بتهيـألي، أرض الغجر لسه بدري عليها.

- غُجـار عمرهـا ما انكشفـت على غريـب، وما هيكـون اللي فيها غريـب يوم ما تنكشف عليه.

- حازم: ليه! هي أيه غُجار دي وأيه حكايتها؟

- حكايـة مـا يعرفهاش اللي بعيد عنـا، لو عايز تعرفها روحلها بـس ياريت تفضل

معافـر وسط الغجر، لحـد ما تعاشر طبعهـم وإلا هيبقى حالك كيف اللـي إنت واقف وسطهم هنا.

- حازم: اه قصدك اللي في المقابر.

- هنا: "في صوت مبحوح بالكاد سمعه حازم" أبوس إيدك يلا نمشي من هنا

"وفي وسط حديث الغجرية مع حازم كانت عينها أتت لها بخبر هَنا، وما حدث لهـا بالليلـة الماضية، حيث خلعت هنـا معطفها وتركته بالسيـارة، فانكشفت آثار دماء -جارتهـا شيمـاء- باقية على كم قميصها، وركبتها تحت أعـين تلك الغجرية، التي لم تكشف عينُ أحد من قبلها تلك الدماء".

- راح تعاهد دم ما شافته في يوم عين، زي ما شافت عين المحروسة الليلة؟!

- هنـا: "تشهـق مذعورة حينمـا رأت ما حدثتها بـه بدريسا، ونظـرت لملابسها" هاااااااااا أيه ده؟!

"فتظهـر ابتسامـة بدريسا المعتادة، وتطمئن أن تلـك الدماء يعود أثرها لحدث غريب، فترمقها بباقي نظراتها المعروفة وتكمل حديثها لها".

- ما تخافيش، الدم ما يعاهد غير اللي يأمنله ويأمن صاحبه عليه، مين اللي آمنك على دمه يا صبية، غريب ولا قريب؟!

"حلـت كلمات الغجريـة عليهم وتبعها صمتًـا طال انتظاره، حتـى قطعته بدريسا وتحدثت ثانية عن الدم، الذي يكون أكثر أهل الأرض، علمًا بأحواله هي تلك الغجرية".

- الدم ده معداش عليه ليلة، ويبان عليكي أنك شايلة همه، مش شايلة ذنبه، فما تخافيش.

"فيطيل حازم نظرته لبدريسا في صمت، ثم يمد يده لهنا ليأخذها ويرحل بها من أمام الغجرية".

"وكان هذا أول لقاء بين أهل غُجار، وأولئك الذين كان مبتغاهم قصر العشتار،

لكنــه لاحـظ تغير لهجــة لســان التــي حادثته منــذ وهلــة، فنظر لهنــا بجانبــه وهما يسيران في نفس الطريق".

- حازم: هنا هي دي واحدة من اللي كنتي لسه بتحكيلي عنهم.

- "فلا يجيبه إلا سكوتها وهزت راسها له لتؤكد ما قال".

- أيــه مالك خايفة ليــه؟! دي تشوفه أحسن ما كنا نوصــل، والناس تسأل أيه اللي على هدومك ده، خدي البسي الجاكت تاني خلاص القصر أهو.

ووصلــت هنا لعزبة العشتار مرة أخرى والقصر، لكنها أتت من مكان ما تجرأ أهل القصر أنفسهم أن يسيروا يومًا منه.

- حازم: يلا يا هنا انزلي، وخليكي طبيعية ها.

- هنا: حاضر ربنا يستر، حسين يا حسيييين.

- حازم: بتنادي على مين.

- هنا: ده حسين اللي شغال هنا في القصر إنت نسيته؟!

- حازم: لا لا فاكرة اه، بس بتنادي عليه ليه.

- هنــا: عشان مشـ عايزة حد من أهل إســراء يعرفوا إننا جينا مــن ناحية أرض الغجر، والنبي يا حازم كفاية أني طاوعتك وجيت من الطريق ده، فبلاش حد يعرف بقى.

- حازم: برضو؟! طيب على راحتك.

"فتظهر وسط حديثهم الجديدة على أهل هذا القصر بمدة ليست قليلة، حيث بــدأت تعمل خادمة في القصر مُنــذ عامين، وأخذت مكان وردة التــي بعد وفاة والدها إبراهيــم تزوجت، وبإصرار أنورين أن لا تظل بالقصر بعد زواجها، اشترت لها الجدة منزلًا بالحي الشرقي من البلدة، لتعيش به مع زوجها

وبدأ على تلك الخادمة سمار ملحوظ، وزيٌ يشير بأنها ليست غريبة على تلك البلدة".

- الخادمة: إنتوا مين وأيه اللي جابكم من هنا؟!

- هنا: أنا هنا صاحبة إسراء، حضرتك اللي مين؟

- الخادمة: أنا جواهر.

- هنا: اه اللي جيتي مكان وردة، طب ممكن تفتحيلنا الباب.

- جواهر: السكة دي محدش بيخطيها يا بنتي، مكنش ينفع تمشوا من الطريق ده.

- هنا: معلش كنا مستعجلين، أنا بس قلقانة وعايزة أطمن على إسراء.

- جواهر: أهي جوه يا بنتي خشوا، والطريق ده تنسوه خالص، الأرض دي محدش سلم منها ولا من اللي فيها، وإنتوا في زهرة شبابكم لسه.

- حازم: بقولك أيه أنا عايز أسالك على حاجة!

"فنظـرت هنـا في قلق له فجأة، واتسعـت عينها كأنها ترى ما يحدثه عقله قبل البوح به".

- حازم: مين الناس اللي قصدك عليهم دول، وليه لهجتهم في الكلام مختلفة كده؟!

"تشتت جواهر على بغتة، وكان لما ظهر على وجهها ودار بخُلدها يعجز أي أحد على تفسيره، فوقف سير قدميها، وأطالت نظرتها لهم معًا ثم حدثتهم".

- جواهر: حد شافكم من المرازيق وإنتوا جايين؟!

- هنا: اه في واحدة شفناها ولهجتها وطريقة كلامها معانا كانت غريبة أوي؟!

"وبتغير مفاجئ وسريع في حدة عينها وحديثها، التفتت جواهر لهَنا وسألتها"

- جواهر: واحدة! واحدة أيه؟ فين عند المقابر؟!

"وكان لوقع ما قالته السمراء أثر مضاعف على هَنا؛ فزاد خوفها واشتدَّ خفقان قلبها ثم أجابتها".

- هنا: اه كنا هناك، هواااا هو إنتي تعرفيها؟!

"وفضـل حازم أن لا يجعل لنفسه مدخل آخر ليشاركهما حديثهم، فظل صامتًا يكمل سماعه لتلك المخُبرِه لهم عن أرض غُجار وأهلها".

أمـا جواهر فأجابتها بنظرة غريبة ردت بها علـى الاثنين ثم صمتت، لتمضي بهم لداخـل القصر، فـدار فكرها فيما قالته لهـا هَنا، وما رأته منذ ثـوان، فقالت محدثة روحها بصوت لم يسمعه غيرها، ولم يلمحها أحدًا منهم وهي تقول لنفسها "بدريسا".

الفصل الثالث

مِرسال نُص الليل

"قصر العشتار"

2008/11/24 - 11:00 ليلا

بداية الحكاية من غُجار.

انتهـى عزاء الجدة، وبدأ القصر يُغادره أولئك الذين جاءوا لتقديم عزائهم، ومن بعد أن مكث أهل العشتار جميعًا كلًا منهم في حالته التي لا يُرثى لها شفيع، حيث باتت إسـراء في غرفة آنورين، وتركت غرفتها لليلـى وهنا لتقيم هي في غرفة جدتها، وظلت منـذ وصولهـا في غفوة لم يجرؤ أحـد أن يخرجها منها، حتى لا يُبـاح من آلامها ما لن يقـدر أحدًا مداواته، وكان حـازم في الخارج تائهًا فيما دار صبـاح اليوم مع الغجرية، وظـل يدخل ويخـرج ليطمئن على إسراء، وهنـا التي كانت نائمة بغرفـة إسراء ومعها ليلى، ومن ثم يعود لعزلته بالخارج، ولكنه كان تحت ظل أعيُن جواهر الخادمة.

ووصلت وردة ليـلًا، متأخرة عن الدفن ومراسم العزاء، حيث ذهبت لتطمئن على أولادهـا الصغار خاصة ابنتهـا، ومن ثم تركتهم ثانية مع زوجها، وعادت القصر وكان أول مـا فعلته فور وصولها للعزبـة هو ذهابها لإسراء، لتؤنسهـا أن غابت عنها غفوتها حتى إذا استيقظت تكون معها.

أمـا جواهر التي لم يغب عن ذهنها ما حُكي لها اليوم، وعلمها بأن المرازيق وجدوا مـن آنسهم في لياليهم العشر، ظلت الخادمة من حين لآخر تلقي نظرها على حازم ثم تعـود للداخـل، إلى أن وقفت بعيدة عنه، ففسـر لها عقلها أنه يشاركهـا نفس ما يدور بخلدها، فذهبت له وبيدها آخر فنجان قهوة متبقي، بعد أن أعطت الباقين، ولم يبقَ سواه.

- جواهر: خد يا ولدي قهوتك.
- حازم: تسلم إيديكي.
- جواهر: لساك عم تفكر في اللي شفته النهارده صح؟!

- حازم: ها!

- جواهـر: مـا تحاولش يابني ما تحاولش، صحابك النهـارده مكنش شاغل بالهم غير البُكى على ست أنورين، وأنهم يطمنوا على إسراء، وإنت وهَنا حالكم غيرهم، كأن اللي شفتوه مفيش عين شافته ولا وعيت عليه.

"فينكث رأسه مدركًا أنها تعلم ما يدور بباله منذ أن لاقاها، ولم يهمس بكلمة أخرى".

- جواهر: بص يا ولدي، أنا عارفة اللي إنت شوفتها النهارده، وعارفة كويس تبقى أيه؟!

- حازم: (خطفته عيناه نحوها لينظر لها بجدية وهي تكمل حديثها)

- جواهـر: كانت بدريسا يابنـي، ودي تبقى ملعونة المرازيق، أنا من ساعة ما جيت مـن أسيـوط عشان أشتغل هنـا وأنا عمري مـا سمعت عنها غير بالشـر، وإن حد كان يتجرأ ويجيب سيرتها في البلد ولا يقرب من غُجار خصوصًا في يومين زي دول، مكنش بنعرف له سكة من بعدها.

- حازم: واشمعنى اليومين دول؟!

- جواهـر: عشـان دول لياليهم يابني، المرازيق آخر عشـر ليالٍ من كل سنة، سواء في الشهـر ده أو الشهـر اللي بعده سنـة بيعتبروا الأرض ملكهـم، بيخرجوا من بيوتهم ويطلعـوا بره غُجار، واللي نفسـه في حاجة بيعملها، سواء يصفي حساب أو يخطف حد أو غيره كتير، وياما سمعنا عنهم.

- حازم: الأرض ملكهم؟!

- جواهـر: أمـاا!ال؟! لو كان حديث بدريسـا اليوم معاك كأنها بتهـددك، ده لأنك قطعـت عليها ليلتها اللي بتبات فيها دايمًا قدام قبرهـا، أصلها زي ما قولتلك محدش منهم بيخرج بره غُجار إلا الأيام دي.

- حازم: (يصمت برهة متأملًا في حديثها ثم يسألها) قبرها؟!

– جواهــر: محدش يعرف أيــه اللي يكون بالقبر ده، في اللي يقولــوا إنها دافنة بيه كنــز، وفي اللي يقولوا إنه فيه أمها وغيره يقــول ويعيد، قولتلك الحكاوي عنهم في البلد دي مفيش أكتر منها.

– حازم: هي ليه كان كلامها غريب معايا؟!

– جواهــر: تقصد لهجتها؟ مــا كل اللي شافتهم بدريســا في العشر ليالي اللي زي دلوقــت، ما كان حديثها معاهم غير بلهجة الغجــر، يعني دول يابني عمر ما حد بيطلع مــن حديثهم واصل بعُقاد نافــع، سواء أن كان غريب ورجله ودتــه ناحيتهم بالغلط، أو زيك كده عينه عليهم وعلى أرضهم،

والغجــر يا ولدي محدش بيحط عينه عليهــم أبدًا، عشان تملي همــا اللي عينهم واصلة جوه كل دار وأي مكان في البلد.

"فيصمت متأملًا فيما سمعه، وينظر نحو الباب الخلفي، الذي به تنتهي أرض العشتــار، وتبــدأ منــه دروب أراضــي غُجــار، بينمــا جواهــر عيناهــا تتحــدث عن ما بخاطرها من خوف عليه مما يفكر به".

– جواهر: بلاش اللي بتفكر فيه ده، بدريسا محدش واصل شافها مرة، وحب يكرر المــرة دي تاني، واللي كان بيتجرأ ويعمل كده، ابقى اسأل عليه أستاذ فؤاد، وهو يقولك أيه اللي حصله؟!

"فيلمــح حازم فهــد آتيا من الداخل، فتهم جواهر للقيــام، وبينما هي طريقها لداخل القصر".

– جواهــر: خلصــ وخش إنت وصاحبك عقبال ما أجهزلكــم العشا، الليل هنا برد عن اللي عنديكم بياما، ومايتحملوش أهل البندر اللي زيكم.

"مرسال نص الليل"

2008/11/25 - 1:00 منتصف الليل

"ليله أخرى تعاود فيها المرازيق زيارة أرض العشتار"

- ليلى: هَنا يلا نطلع لإسراء شوية.

- هنا: طيب بعد إذن حضرتك.

- فـؤاد: اتفضلوا يا حبايبـي، وحاولوا تنزلوها عشان تـاكل، دي ما داقتش حاجة من الصبح.

- هنا: حاضر.

"تصعد الفتيات الدرج المؤدي لغرفة أنورين، التي جلست بها إسراء".

- ليلى: أيه ده إسراء فين يا وردة.

- وردة: في الحمام هتغير هدومها وبتغسل وشها.

- هنا: طب عم فؤاد بيقولنا ننزلها عشان لو هتاكل حاجة.

- إســراء: لأ، أنــا مش جعانــة ماليش نفس (خرجـت إليهم بعـد أن سمعت كامل الحديث الذي دار).

- وردة: لأ، يـا إسراء إزاي، عشان خاطر حبيبتك وردة يلا، إحنا كمان ما دقناش حاجة من الصبح، ولا عايزانا ما ناكلش خالص.

- إسراء: طيب حاضر، بس هو حازم وفهد فين؟

- هنا: تحت، زمان جواهر قالتلهم.

- وردة: يلا يا حبيبتي بقى.

****

- فؤاد: أنا مش عارف أقولكم أيه، على أنكوا ما سيبتوش إسراء لوحدها.

– فهد: أيه اللي حضرتك بتقوله ده بس، إسراء أختنا وأكتر،

"فتحل عليهم إسراء من غرفة جدتها، لتلاقيهم على سفرة الطعام".

– فؤاد: أهلًا أهلًا يا حبيبتي عامله أيه دلوقتي، يلا تعالي إحنا كنا مستنينك.

– جواهر: خلصوا أكلكم واللي تأمروا بيه نادوا عليا.

– فؤاد: قفلي الأبواب كويس يا جواهر، وشوفي أيه ناقص للأوضتين اللي فوق للبنات.

– ليلـى: لا لأ مالوش لازمة نتعبك معانا، إحنا محدش فينـا هيعرف ينام، خليهم لإسراء ووردة.

– جواهر: مالوش لازمة إزاي، حطي راسك إنت وسيبي النوم يجُرِك وياه.

"وبعـد أن بـدأ طقـس ليلهم يشـد برودته على المـكان، غلقت جواهـر الأبواب والنوافذ، وأوقدت المدافئ حتى انتهوا من عشائهم، وانتظر كلًا منهم مصير تلك الليلة".

– جواهر: يلا يا بنات اطلعوا ناموا بقى، وريحوا نفسكوا شوية.

– إسراء: وردة تعالي نامي جنبي (مازال لها من الخوف ما يلازمها طيلة ما بقيت في هذا القصر).

– وردة: جايه يا إسراء من قبل ما تقولي والله.

– جواهـر: أنا نضفت أوضة إسراء، وولعـت الدفاية ليكي يا ليلى إنتي وصاحبتك، إلا هي فين؟!

– ليلى: تلاقيها واقفة بره مع حازم وفهد.

– جواهر: هما خرجوا تاني؟!

– فؤاد: اندهيلهم يا جواهر ودخليهم، وأنا طالع أنام يلا تصبحوا على خير.

– جواهر: طب اطلعي إنتي يا ليلى، حصلي إسراء ووردة وهَنا أنا هبعتها وراكي.

****

وبالخارج حازم وفهد أمام البوابة الأمامية، وبداخل الحديقة تجلس هَنا بمفردها تعيـد على نفسهـا ما حدث لها أمس، وتفكر في مصيرهـا إذ لم يكن مصير تلك الليلة لينتهي كما كان مقدر:

– فهد: مين دي اللي شافتكم!

– حـازم: جواهـر بتقـولي دي واحدة مـن المرازيق، وكمـان لاحظـت دم على كُم القميص بتاع هَنا.

– فهد: شافت الدم؟! وشافته إزاي دي!

"وقبل أن يُكملا حديثهما سمعوا خطوات جواهر تقترب نحوهم".

– جواهر: برضو مصممين، طب براحتكم بلاش نوم، بس عالأقل بلاش تقفوا بره ودلوقت بالذات!

– فهد: ماشي يا ست جواهر، حاضر أخلص بس سيجارتي وندخل.

– جواهر: طيب يلا إنتي يا بنتي، الجو برد عليكي دلوقت، وإنتي مش حمل تعب تاني.

– هنا: هواااا هو حازم وفهد مش هيدخلوا ولا أيه؟!

– جواهـر: ما تخافيش يا هنا، هيخلصـوا حديثهم ويدخلوا ورانا، يلا اطلعي إنتي ورا ليلى.

– هنا: حاضر، تصبحي على خير.

****

وبعـد أن صعـدت هَنا الـدرج بـدأت خطوتهـا في أول الطرقة نحو غُرفـة إسراء، لتُجالس ليلى فيها، لكنها سمعت صرخة طافت أرجاء القصر بأكمله، يقظ لها كل من كان في غفوته قد بدأ، فعادت هَنا للخلف في بطئ يأنسه خوف وذعر سبق وأن ذاقتهما ليلة أمس، وفي ثوانٍ وجدت فهد بجانبها، وخرجت وردة متلهفة من الغرفة التي أمامها،

التـي تتواجد بهـا إسراء لترى ماذا حل بليلـى، وبدأ أهل العشتـار كلهم يجتمعون نحو غرفة الفتاة.

- وردة: ليلى يا ليلى، في أيه افتحي، فهد الحق الباب مش عايز يتفتح.

"فحـاول الآخـر بغـير تفكير في ضرب البـاب بكتفه، حتى وصلـت لهم جواهر وفؤاد خلفها".

- جواهر: محدش قفل الباب بالمفتاح يا فهد عشان تضربه بكتفك أو عالٍ.

"ومـا أن فتحـت جواهـر الباب بـكل يُسر علـى ليلى وجدوها مغشيًـا عليها في منتصـف الغرفـة، وكان المشهـد ليـس بغريب علـى وردة، التي تذكرت ليلـة مر عليها عشريـن عامًا، وما حدث في تلـك الغرفة لإسراء وصرختها التـي أعادت عليها ذكرى تلك الليلة الآن".

وفي برود غريب يحل عليها، تخرج إسراء متأخرة من غرفة جدتها المقابلة، وسارت لمكانهـا القديم في بطـئ لم تعرفه قدمها من قبل، حتى إذا دخلت عليهم وحدثتهم كأن لا شيء غريب يحدث:

- إسراء: أيه ده في أيه، مالها ليلى؟

- هنا: إنتي بتهزري ما سمعتيش صويتها يعني؟!

- إســراء: اللـي تكون ساكنـة جنب أرضـ زي غُجار بالملاعين اللـي فيها دول، ما تستغربيش عليها حاجة، ولا أيه رأيك يا جواهر، حد يكون جنبه المرازيق برضو ويبقى مطمن!

- فؤاد: سيبك من الكلام ده دلوقتي يا إسراء، خلينا الأول نطمن على صاحبتك.

- جواهر: هي برضو فتحت الشباك، ما أنا قولتلها بلاش، ده كمان البرد شديد.

- إســراء: امممم، تفتكري يا جواهر لو حد منهم فعـلًا هيفرق معاه شباك مقفول ولا مفتوح!

"فتسمعها جواهر في عجب لم يدركها من قبل، وظلت بعيدة عنها بعينها وتنظر من النافذة.

ووقـع حديث إسراء بنبرة صوتها الغريبـة بالحيرة على كل من بالعشتار، وجواهر تطُـل من الشباك، وتطيـل نظرتها حتى رأت حازم وفزعت حينمـا اكتشفت أنه يجري خلف من يذهب به لغُجار".

– جواهـر: من خاف سلم يا بنت الأصول، وعمر المرازيق ما كان حد يجر شكلهم، إلا وكانوا يعاودله الكَره، حتى وإن كان آخر يوم في عمره، ده أن كان مكتوب لصاحبكم عمر بعد الليلة دي.

– هنا: إنتي بتقولي على مين؟! حازم!

– جواهر: محدش فيكم ييجي ورايا.

– فؤاد: رايحة على فين يا جواهر.

– جواهر: أن كان عمر البنية يهمكم خليكم وياها، حازم بيجري ورا اللي بتسحبه لأرضها.

"فيـدرك فـؤاد ما تتحـدث عنه جواهر جيـدًا فلا ينطق لسانـه إلا باسم التي كتـب الله نجاتـه، حينما ألقـى بنفسـه في بيتها ذات ليلـة لم يغب ذكراهـا عنه قط، فيقتضب حاجبيه وتتغير ملامحه ويقول".

– فؤاد: بدريسا!

– جواهر: شمموا البنية حاجة تفوقها واقفلوا بابكم عليكم، وبلاش تخلوها تشرب أي حاجة.

"فتقف هنا مكتوفة الأيدي أمام سكوت إسراء، ومراقبتها لعمها فؤاد وكلًا من حولهـا، حيث تحولـت فجأة كغريبـة حلت عليهـم، وتبدلت إسـراء من داخلهـا وكأن البرود أكثر شيء تمكن منها تلك الليلة".

- فؤاد: وردة، انزلي هاتيلها حاجة تشربها.

- وردة: هي جواهر قالت بلاش أشربها حاجة دلوق...

- فؤاد: اسمعي كلامي ما تخافيش انزلي هاتي...

"وقبـل أن يكمـل فؤاد حديثـه ذهبت إسراء وأحضرت برفانهـا، وألقت به لهنا التـي جلست أرضًـا، وأسندت ليلى لفهد حتـى يلحقها ويخرجها مـن غيبتها، وذهبت إسـراء ووقفت بنافذة الغرفـة، التي دخل منها أحد الفجر منذ ثـوان، فأتى على بالها نفس ذكـرى الليلة، التي حـدث فيها نفس الأمـر لها، فتغيرت ملامـح وجهها بمجرد معاودة تلك الذكرى زيارة عقلها، وظلت شريدة بعينيها غير مبالية لمن حولها بالغرفة، أو بـأي شيء غير ذلك، فقط منظر أرض غُجـار أمام عينيها، فظلت الرؤية تلك ثابتة عليهـا وهـي بمكانها، حتى رسـم لها عقلها دروب أرض الفجـر كاملة في صورة لم ولن تمحيهـا إسـراء من ذاكرتها للأبد، حيـث ستظل رؤيتها لمسالك تلـك الأرض بدروبها مُعلقة في ذهنها للأبد ما دامت حية".

****

"رحمتها سبقت وصوله لكهف غُجار"

كانـت ميرين كعادتها التـي أجبرتها بدريسا عليها ما تسـير إلا ويكون طه -خادم الفجر- مرافقًا لها حتى تطمئن من عدم حدوث ما يُزعجها، وما كانت الفجرية تجعل أحـدًا يرُافق ميرين غير طه؛ لأنه كان أخرسـ لا يتكلم مع أحد، ولا يطيع شخصًا غير بدريسا ومن بعدها ميرين فقط.

وفي وقتهـا المتأخر التـي اعتادته، وأحبت المداومة على التجـول فيه وجدت ميرين غريبًـا في أرضهم، يجري تائهًـا تقوده أقدامه إلى مكان ما انتهى أحـد إليه إلا وأخذه المـوت، فكممـت ميرين طه الخدام على فجـأة ولم يمر غير ثوان إلا وقـع مغشيًا عليه، وذهبت هي لتلحق الذي يسير لدرب نهايته.

بينما يجري حازم وراء أحد أهل غُجار، الذي عرف أنه سبب صرخة ليلى، التي فور سماعـه لها وجه عيناه نحو الدرب الذي ينتهي لأرض الغجر، فرأى خيال شخصًا يعبر أرضـ العشتار الخلفية، فجرى وراءه وظل خلفه حتـى كاد ينتهي سيره إلى "الكهف"، الذي حُرم على أهل الأرض جميعًا أن يدخلوه، بل كان محرمًا على الغجر أنفسهم، فلا يدخله أحدًا منهم إلا بدريسا وتخرج منها بروحِها ثانية.

وكانت فعلتهـا التي حاولت إنقاذ ذلك الغريب، الذي دخل أرضهم هي أنها سبقته خلـف أحـد جدران منزل من منازلهـم، وما اقترب منها هو الآخـر إلا وقذفت بوجهه ترابًا من الأرض، فأخفت عنه الرؤية بالكامل، وكممت أنفه بيدها ليسقط مغشيًا عليه، حيث دائمًا كانت تخرج ميرين وهي واضعة في كفيها مخدر رائحته قوية، ما يستنشقه أحدًا إلا ويذهب لعالم آخر، وفور تأكدها من عدم رؤية أعين أحد لها ذهبت في سبيلها، وتركته ملقي أرضًا للذي جاءه وأخذه عائدا به لمنزله بأول غُجار.

أما جواهر فضلت أن يكون طريقها لغُجار من الجهة الأخرى، حيث تبعد عن مسار أرضهم من ناحية القصر، وذهبت إلى أولى منازلهم، حيث يسكن بدر الصعيدي الذي فوجئـت به أمامهـا، فأبطأت من سيرها نحوه وذهبت إليه، حيـث دائمًا ما كانت تأمل في لقائه.

- جواهر: أهلًا بالغريب على أرض الغجر وعلى أهل البلد كلهم.

- بدر: لو كنت غريب فعلًا على أرض الغجر كان زمانهم دفنوني فيها من زمان.

- جواهـر: لالا، الـكلام ده قبـل ما يخـرج المرازيق مـن جلدهـم، الغجر خلاص عوايدهـم القديمـة فاتتهم وفاتوها، ولو ما كنتش عوايدهـم دي غابت عنهم ما كنتش هلاقـي واحـد منهم بيجري مـن بعد عملتِـه في العشتار، اللي عمر ما حـد خرج منها هربان زي ما حصل دلوقتي.

– بدر: العشتار! هما رجعوا يدخلوا العزبة من تاني؟!

– جواهـــر: وما تعرفش! مش قولتلك طول عمرك كنت غريب عنهم، وهتفضل كده لآخر عمرك.

"فينظر لها بدر في صمت بينما تكمل هي حديثها ثم يرد عليها"

– بدر: المرازيق طول عمرهم في سر بينهم وبين بعض، وسر بين كل واحد ونفسه بس.

– جواهـــر: واللـــي بيسكـــن في الأرض دي وســـره طول عمره جواه هـــو بس بياخدوه ويتاووا جتته، وبتهيألي ده اللي عرفاه عنهم كويس من ساعة ما جيت.

"فيبتسم لها بدر وفي عينيه نظره غريبة ثم أخبرها"

– بدر: واللي مكتوبله إنه يعيش بسره ويموت بيه، عمره ما هيقدر يغير قدره أبدًا، سلام.

"فيتركهـــا بـــدر ويعـــود ثانية لمنزله، ولا يعـــرف كيف سينتهي بـــه الحال، بعدما طرقـــت ميريـــن منزلـــه منذ قليـــل، وهي تجـــري ليخـــرج وراءهـــا، متتبعًـــا أثرها حتى اختفـــت خلف أحد بيوت غُجـــار، فذهب خلفها حيثما أرقدت هي حـــازم وتركته له بين يديه، فما كان منه إلا العودة به لمنزله قبل أن يراه أحدًا".

والآن وبعـــد أن رحلـــت جواهر، دخل بدر لحازم في المنزل ليجـــده مستيقظًا وعيناه مفتوحتـــان، وينظر له نظرة غريبة حاول بها فتح مجال للحديث معه، بينما الصعيدي مندهشًا حينما رآه ليس مُغيَّبا.

– حازم: اسمك بدر؟

– بدر: إنت فوقت إزاي؟!

– حازم: أفوق أيه بس يا عم بدر هو أنا كنت نمت من أساسه؟!

– بدر: ده الدوا اللي بتستخدمه ميرين بينيم بلد؟!

–حـــازم: لمـــا حد يكممك وتشم ريحة غريبة باين أنـــه أغمى عليك بجد، أهو كتمت

نفســي بمزاجــي، وما شمتش حاجة عشان التمثلية تمشي للآخــر، يا إما الحدوتة كلها كانت تتقلب فوق دماغي.

– بــدر: لمــا إنت ناصح كــده أيه اللي دخلك أرضــ المرازيق، لا وكمــان رايح ناحية الحوش الغربي.

– حــازم: لــو كنت قريب من القصر زيي وسمعت الصرخــة اللي سمعتها فيه كنت هتعمل أيه؟

– بدر: ابعد عننا يابني إنت مش اد الملاعين اللي جوه دول، وابعد عن سكة الحوش ده خالص؟!

– حازم: وعشان كده إنت بيتك بره في أول أرضهم، مش جوه وسط الحي؟

– حازم: مش هترد ها، طب بلاش اشمعنا لما ميرين دي قررت تلحقني، ما فكرتش غير فيك؟!

– بدر:.....

– حازم: ما لو الكل المرازيق ملاعين فعلًا، ومايعرفوش غير الدم أكيد هتكون إنت كمان زيهم.

"يكمــل حازم حديثه بينما فضل بــدر أن يصمت، وتظاهر بأن لا يعيره اهتمام رغــم أنه لم يحــظ حديث حازم باهتماما مــن أحد كما يفعل بدر، الــذي يخفي حيلته خلــف سيجارته، التــي استدار ليشعلها ويبتعــد بوجهه قليلًا عن،ه بينمــا كان مستمعًا بإنصات لكل كلمة كان يقولها حازم".

– حازم: سرك غريب عن سرهم صح؟!

"هنا ترك بدر ما بيده واستدار مرة أخرى له متعجبا لما طرأ على سمعه، فيُغير من نظرته له".

- بدر: قولت أيه؟!

- حازم: جواهر كانت هي اللي بره بتكلمك، مع أني معرفتش أقوم وأحدد الصوت كويس.

"فغير بدر محور الحديث، بعد صمت حل عليهم للحظات".

- بـدر: أنـا هفكك وتقوم تمشـي دلوقتي، ترجع من الطريـق الزراعي، لو خرجت ومشيت من تاني في طريق القبور، مش هتلاقي اللي ييجي ويلحقك المرة دي.

"فيجيبه حازم مرة أخرى مكررًا اسمها متناسيًا لكل ما يقوله بدر".

- حازم: يبقى كانت هي جواهر فعلًا.

- بـدر: هتخـرج من هنـا ولما تروح القصـر، لف مـن ناحية الباب اللـي ورا، هي هتفتحلـك وهتعـرف تتصرف وتقـول إنت كنـت فين (يتحـدث الصعيـدي أيضًا عن الخادمة بعدما تأكد من كشف حازم لها).

"فيقـوم حـازم من على كرسيه بعد أن زالت عنه الأربطة، وسار بطريقه للباب ثو توقف وأخبره".

- حـازم: أنا هعمل بكلامـك وهبعد، بس لو حد منكم فعلًا عمل حاجة تاني وقرب للقصر هتكون إنت أول واحد رجلي تجيبني عنده، سلام.

****

كانت أول ما أخبرتهم به أنها التقت بحازم قبل دخوله أرض المرزايق، لكنه تركته لتعـود وتطمئـن على ليلى، بعد أن أكد لها حازم أنـه يحتاج لقليل من الوقت بمفرده ثم سيعود لهم، ولكن كانت كذبتها لم تعرف طريق قلب هَنا أو عقل إسراء أو فؤاد، وخاصة فهـد الذي لم يتوقع أن جواهر بتلك السذاجـة، لتصدق ما يقوله حازم له بأنه سيبتعد عـن أرض غُجـار، لكن كل منهم دفن آساريـره بداخله، وشاركوهـا كذبتها وتظاهروا جميعًـا بتصديقهـا، ثم ذهبت إسراء إلى غرفتها مرة أخـرى، وسحبت وردة من يدها

لينامـوا وكأن شيئًـا لم يحـدث، كما قالـت ليلى وهنا، بـأن هُم أيضًـا عليهم الذهاب ليستريحوا من عناء سفرهم وأخبرت عمها ليتركهم ويذهب لغرفته حتى يناموا.

"وفي غرفة الجدة كانت إسراء جالسة في شرود مع نفسها، وبجانبها ليلى التي خلقـت لهـا إسراء مجـالًا لحديث ما تمنتـه بنت عشمانة يومـا أن يأتي ميعـاده وتُعاد عليها أحداث تلك الليلة".

- إسراء: فاكرة يا وردة.

- وردة: فاكرة أيه يا إسراء.

- إسراء: فاكرة الصرخة دي آخر مرة سمعتيها إمتى؟!

"ليـدق قلـب وردة فجأة وتسرح في ذكرى ليلة أعادتها إسراء إليها مرة أخرى، ثـم يطيـل عقلها في أحـداث الثامن من يناير عـام (٩٨٩١م)، حتى عـادت بها نظرة إسراء مرة أخرى إلى يومنا هذا، فتُجيبها".

- وردة: اه يا حبيبتي فاكرة، الحمد لله إنها عدت وخلاص.

"فتبتسـم إسـراء وتحدثت بنبرة أول مرة تسمعهـا وردة منها، وترى فيها بنت نادية بكل تلك الغرابة".

- إسراء: بس اللي بييجي من ورا المرازيق عمره ما بيعدي.

"وبتلك الكلمات زادت إسراء من مخاوف وردة لها، كما أن وردة تعرفها جيدًا، وتـدرك أن تلـك ليست حالتها الطبيعية منذ أن عـادت للقصر، وخاصة بعد أن تغيرت أكثر بعد ما حدث لليلى منذ قليل".

وعنـد البـاب الخلفي من قصر العشتـار قامت جواهر بتركـه مفتوحًا، حتى يعود حـازم، وعزمت على الدخـول للقصر، ولكن فـور تحركها للداخل وجدتـه عند الباب يفتحـه ثم يقف لهـا متعجبًا، في حين وحين آخر غير مبالي بهـا، كأن لا وجود لها مما جعلها في حيرة لم تعرفها من قبل.

- جواهر: أيه اللي وداك هناك؟!

- حازم: وداني فين.

- جواهر: يعني إنت مش عارف أنا بتكلم عن أيه.

"فلاحظ عليها حازم تغير نبرتها ولهجتها أول ما تظاهر بجهله عن مقصد حديثها".

- حازم: هما كل الناس يعرفوا عن المرزايق نفس اللي بتسمعيه وتعرفيه كده.

- جواهر: فيه اللي بيعرفوا وبيسكتوا، وفيه اللي بيعرف عنهم ويعرف ينقل حديثهم.

- حازم: إنتي عيشتي مع أنورين هنا كام سنة؟!

- جواهر: سنتين.

- حازم: وبدر بيقول "هما رجعوا يدخلوها من تاني".

"فتعلم أنه فعلًا كان عند بدر، وكانت تعرف ذلك منذ حديثها مع الصعيدي، لكنها كانت تظن أنه سيكون بالداخل في غيبه لن يخرج منها قبل ساعات، فعرفت الآن بأنه علم عن ما دار بينهم".

- جواهر: أيه! إنت بتقول أيه؟

- حازم: ما تخافيش، أنا وعدت بدر أني مش هقرب ناحية أرض المرازيق تاني، إلا لو حد من الغجر هو اللي هيفكر يؤذي أي حد من اللي جوا دول.

- جواهر: وإنت فكرك أن في حد من المرازيق بيمشي كلمته على التاني،

"فيتجاهل حازم مرة أخرى ما قالته جواهر، ويكمل حديثه عن بدر والغجر، وهو يجعلها محل نظره، لم يطمئن أحد وهو يراه بها"

- حازم: مش هقرب من غُجار تاني، إلا لو كان رجوع دخولهم القصر كان هو سبب موت أنورين.

"فتندهش الجديدة على أهل هذا القصر من حديثه ونبرته، التي ألقى بها

كلماتـه عليهـا، ثـم تركهـا ومضـى في طريقـة للداخـل، ليكون حـازم ثاني مـن أتى العشتار، وتغيرت عليه حالته ليُشارك إسراء غرابتها التي باتت عليها، وتعجب لها كلًا من عرفها سواء أهلها أو من أتت بهم من مصر، ليجاوروا أرض غُجار".

وفور ما دخل حازم القصر ذهب ليرى فهد، ثم أرسل لإسراء التي نزلت من أعلى ومعها وردة وهَنا.

- إسراء: حمدلله على السلامة، أيه عجبتك البلد.

"فتعجبـت وردة وفهـد من حديثها، الذي لا صله عما حدث منذ قليل لليلى وله أيضًـا، لكنـه لم يبُـالِ عدم مبالاتها لكل مـا كان يحدث هُنا، حيـث كان سيسألهم عن ما هو أغرب لأحدا مثله أن يطلبه"

- حازم: بقولك أيه، إنتي لسه ما زورتيش جدتك صح، إحنا هنروح نزورها الصبح.

- إسراء: لا والصبح ليه، أنا مش هعرف أنام إلا أما أروحلها دلوقتي.

"فينـزل فـؤاد فور ما تنتهي إسراء من حديثهـا، بعدما سمعها تخرج ثانية من غرفتها".

- فـؤاد: تروحي فـين دلوقتي يا إسراء، الصبح ليه عنـين ومحدش هيعرف يوصل أي حته دلوقتي.

- فهد: ليه هي المدافن بتاعتكم فين؟!

- إسراء: بعيدة عن هنا شوية، بيننا وبين أرض المرازيق.

- هنا: روحوا إنتوا أنا مش هروح في حته وأسيب ليلى (حيث تركتها هَنا نائمة بالأعلى)

- إسراء: وردة، هتيجي معايا؟!

- وردة: حاضر يا إسراء زي ما تحبي.

- جواهر: صاحبكتم لسه مافاقتش من اللي كان حصلها، هو العمر عندكم بالساهل.

- فهد: عمر مين وقصدك أيه؟!

- إســراء: ما تقصدش حاجة يا فهـد، ماتخافيش يا جواهر الغجر ما يحلالهمش الكلام مع حد من العشتار إلا لو كان عايش، واللي هناك دول أموات محدش بيقربلهم ولا حتى هيفكر يروحلهم.

"وفـور مـا ألقت إسـراء بتلك الكلمـات الغريبة أمامهم حل صمتًـا غريبًا على الجميـع، خاصـة حـازم الـذي خرج مـن شـرود تفكيره فـور وقـع حديث كلمـة بنت العشتار على مسامعه".

- هنا: أنا طالعة لليلى وهنام، تصبحوا على خير.

- فؤاد: طب روحي معاهم يا جواهر وخلي بالك منهم لحد ما يرجعوا.

- إسراء: لا يا عمي أنا مش عايزة أتعبها، خليكي يا جواهر لا هَنا ولا ليلى يحتاجوا حاجة.

- جواهـر: سيبهـا يا أستاذ فؤاد على راحتها، وطالما هـي مأمنة على نفسها وعلى اللي هيبقوا معاها في المدفن واللي فيه، مفيش خوف عليهم.

"فينتبه حازم لحديث جواهر ثم يقوم في صمت ليذهب مع إسراء ووردة وفهد لمدفن الجدة".

- إسراااااء "صوتًا يأتيها من آخر مكان بالقصر"

وببـدء تحركها سمعـت إسراء من خاطبها مـن بعيد، حيث ينتهـى متسع القصر إلى طرقـة تنتهي للباب، ليستمع الجميع لنبرة صـوت ثقيلة نسبيًا، وصاحبها لم يظهر بعـد، وفور ما خرج من ظلمة الطرقة التي تنتهي إلى المدخل، جاء لها الذي تركها منذ عشرين عامًا، ولم ترَه عيناها من حينها.

"فلـم تشعـر إسراء بنفسها إلا وجرت عليـه كعادتها، التي فعلتها معه دائمًا في صغرها، لتعيد نظراتها له عن قرب، وتتملى منه ومن عودته ثانية لها ووجوده معها".

- إسراء: حسيييين!

- وردة: حبيبي حمدلله على سلامتك، إنت جيت إزاي ومين اللي عرفك.

"فـيرد عليهـا في نفس الثقل الذي قال به -إسرا- حيث جعله لا يستطيع إكمال حروفها اسمها".

- حسين: معرفتش إلا دلوقتي معلش.

- إسراء: إنت ليه كل ما كنت باجي هنا في الإجازة ما بشوفكش، وبيقلولي أنك مشيت!

"فيصمت حسين ويتأمل القصر جيدًا في صمت قطعه عليه فؤاد علام"

- فؤاد: تعالى يا حسين، أنا اللي كلمته يا وردة.

"وحينما ابتعد حسين عنهما ليذهب لفؤاد، تركت إسراء من بالقصر وخرجت وحدهـا تجلـس في الحديقـة الخلفية بالقصـر، ثم تبعتهـا وردة، وفور مـا جلست في مكانهـا المُفضل بالحديقة الخلفية صمتت للحظـات، ظهرت فيها علامات أسىً وحزن على وجهها، ثم دارت لوردة وسألتها".

- إسراء: عشان كده كل ما كنت باجي هنا كان هو بيمشي قبلها؟!

- وردة: وكنتي أول واحدة برضو بيسأل عنها أول ما تسيبي العزبة ويرجعلها هو تاني.

- إسراء: ليه، كان بيعمل كده ليه؟!

- وردة: في مرة قالي أن أحسن حاجة كان بيعملها وهو صغير، لعبه معاكي وكلامكم سوا، وبعد اللي حصل محبش يعرفك باللي جراله، وطلب من جدتك الله يرحمها كده.

- إسراء: وهو كان أيه اللي جراله، وأيه اللي كان أساسًا جرى للمكان ده بكل اللي فيه.

- وردة: من عشرين سنة بعد الليلة اللي اتفزعتي فيها وقومتي تصرخي، ومن بعد مـا أمي -الله يرحمها- اتقتلـت، أنورين ما كانش همها غير أنـك تبعدي عن الأقصر باللـي فيهـا، ومن ساعتها كان كل مرة تيجي فيها هنـا في أي إجازة، حسين يعرف من قبلها ويسافر لحد ما تمشي تاني.

"فتسيـل دموعهـا التي لم تجاهدها سبيلًا لتمنعهـا، فظهرت نبرة حزن انكسر بهـا صوتها، ولم تحـدد وردة إذا كان هذا ضعفًا أم شيئًا آخـر، حيث تمنت أن لا يكون ما يدور بداخلها ناحية إسراء صحيحا".

– إسراء: حسين لسانه تقل بسبب الضربه اللي خدها على راسه في اليوم ده صح؟!

– وردة: ايـوه، أنوريـن هانم بعدها خلت فؤاد يسافر هـو بيكي على مصر، وفضلنا ساعتها جنبه لحد ما ربنا شفاه بس الضربه أثرت أوي على مُخه، فلسانه تقل وكلامه بقى قليل.

"وتستمـع إسـراء لحديـث وردة في صمـت، بينمـا توجه عيناها صـوب شباك غرفتهـا مـن الأسفل، ثـم أعادت تلـك النظـرة الغريبـة الممزوجة بحـزن إلى ناحية وردة وخبرتها".

– إسـراء: الفزعة اللي حصلتلـي اليوم ده عمري ما بنساهـا، كل سنة يوم تمانية مـن يناير بحلم بكل اللي حصل الليلة دي، نفـس الصوت اللي كلمني وخلاني أترعب، وأنـا كنـت أصلًا ليلتها مكنتش نمت لسه، كان في دماغـي أن تيتة هتيجي تاخدني أنام في حضنهـا زي كل يـوم، لكن فجأة حسيت باللي دخل عليا في الأوضة، وأنا تحت الغطا مش قادرة حتى أرفع عينيا أشوف هو مين ولا هي مين، بس لسه صوتها معلق في وداني يا وردة.

"فترتبك وردة من حكي إسراء لها، ثم تصمت لفترة حتى قالت لها"

– وردة:إسراء أنا عايزة أقولك على حاجة.

"وقبـل أن يكتمـل الحكي بينهم جاءهم حسين وفهـد واستقروا في نفس موضع إسراء ووردة".

– حسين: المدافن! دلوقتي يا إسراء؟!

"فتنكث إسراء رأسها لأسفل، وتنظر لوردة ثم يصمتا معًا"

– فهـد: إسراء أنا خايف عليكي واللي حصل لليلـى من شوية ده مخليني متلخبط من كل حاجة هنا، عشان خاطري بلاش دلوقتي.

– حسين: الصبح يا إسراء النهار له عنين، وقت ما تحبي هنروح بس بلاش دلوقتي خالص.

"فتستمـع إسـراء لمـا يمليهـا عليه تفكيرها، ومـا كان لأحد أن يعـرف ما يدور برأسهـا، ثـم ترسل نظراتها لشبـاك غُرفة جدتهـا، لتجد هنا واقفـة في شرود تنظر لها في قلق وحزن غير مفهوم".

– وردة: بتفكري في أيه يا إسراء.

– إسراء: مين اللي كان عايش مع تيتة هنا قبل ما تموت غير جواهر وعمي فؤاد.

"وكأن إسـراء مـن حـين لآخر تُنبت في قلب وردة خوفًـا وقلقًا عليها من غرابة حديثها وأسئلتها".

– وردة: محدش كان معاهـا خالص يا حبيبتـي غيرهم، ومحدش كان بيجيلها غيري أنا وحسين كل شوية نطمن عليها ونمشي.

– إسراء: حسين عمره ما كان هيرضى يسيب تيتة لوحدها من بعد ما أنا وإنتي مشينا.

– وردة: مش عارفة والله، بس يمكن عشان عمك بعته يتابـع الأرض بتاعته اللي في المنيا.

"فتنصـت إسـراء وتعيد حديث وردة في نفسها، كأنهـا لم تسمع منه شيئًا غير ذكِر وردة لفؤاد".

– إسراء: عمي فؤاد.

"فتنظـر لهـا وردة وتربـت على يدها في رفـق لتقوم معها، وتصعـد بها لغرفة جدتها حتى تنام".

في الحديقــة الأمامية كان حازم منفردًا بنفسه، يعيد ما قالته جواهر له، ومتعجبًا مــن حديــث بدر الصعيدي له، وكيــف أنه يعلم أن جواهر سوف تكــون بانتظاره حينما يعــود للقصــر، بل وكيف كان لها أن تعلم كل هذا عــن المرازيق، حتى إذا نام جميع من بالعشتــار ولم يبق غيره جالسًا بالخــارج استولت عليه هو الآخر غفوة من تعب الليلتين الماضيتــين، فجاءته زوجتــه "رؤى العين" في منامه مرة أخرى، تحدثه كعادتها وتقضي معــه لياليه، التي يكون فيها وحيدًا لحاله، لكنهــا تلك المرة كانت متغيرة معه على غير العــادة، كأنها جاءتــه خائفة من شيء مــا لا تعلمه حتى الآن، وكان هــو دائمًا حاله ما يُصدق أن يلقاها في أي وقت إلا ويجعلها تشاركه لياليه، التي تمضي وما يمر عليه فيها، إلا تلــك المرة التي كان يبدو وكأنه يريد منها ألا تجعل من تلك الأرض وما حولها مكانًا يجب أن تراه فيه، فلا يريد منها أن تأتيه طيلة وجوده في مكان بالقرب من غُجار، كما يفســر لــه عقله الباطن، لكن كان ردها بنظرات معاتبة له على ما يلح فيه عليها، وعلى مــا تجُره قدمه هــو ومن حوله لما يُفكر، ولكنه في نفس الوقــت يعلم أنها لن ترضى بأي سوء يمسه أو يمس إحدى صديقات عُمرها، وبمرور الوقت الذي يجمعه بها، بدأت رؤى تختفــي عنه شيئًا فشيئًا، حيــث كانت حينها تُريد منه أن يخرج مــن تلك الغفوة، التي تجمعه بها كأنها تشعر بمن زاره، وبدأ يحوم حوله فخافت عليه مِنه.

وخــارج عالم رؤى وحــازم كان كلًا من بالعشتار نائمًا إلا جواهر، التي ظلت جاعلة حازم تحت أعيُنها، وما أن تأكدت أنه نام هو الآخر مثل بقية من بالعشتار حيث ما كان يجلســ، اقتربت منه ببطئ في نظــرة إشفاق وأسى عليه، ثم عــاودت غرفتها بالداخل وتركتــه مكانه، كأن محاولة رؤى تلك كانت لإخراجه من دروب سكونه، خشية منها أن يصيبه مكروه من تلك السمراء التي جاءته، لتقف أمامه لدقائق ثم عاودت أدراجها ثانية.

"مقابر العشتار"

2008/11/25 - 1:00 ظهرا

ذكر الراحلين.

وأمام مدفن الجدة نست إسراء من حولها في لحظة، تمنت فيها أن يعيدها الزمن للتـي عرفت من خلالها معنى الحياة، فإن لو لم يكتب لها نصيب في أن يجمعها قدرها بأمها نادية، فالله قد جعل لها أم أخرى في صورة جدتها، التي أحبتها أكثر من نفسها، ومـا أخرجها أحدًا من تلك الغفوة إلا هَنـا، التي خافت أن يصيب إسراء مكروه إذا ما طـال وجودها بتلك الأرضـ، لكن حسين ربت على كتفها لتتركها في غيبتها التي ذهبت فيها عنهم لتتواجد في ذكِر الراحلين.

- حسين: سيبيها يا هنا، سيبيها ماتخافيش عليها من حد وأنا موجود.

- هنا: أنا خايفة لا يغمى عليها تاني ولا تنهار، هي مش حمل تعب تاني

"وعلـى مسافـة أخرى غير بعيـدة كان يقف فؤاد مع فهد وحـازم بعدما انتهوا من قراءة الفاتحة".

- ليلى: رايح فين يا حسين.

- حسين: هقرأ الفاتحة لأبويا وأمي (حيث أصرت أنورين على دفنهما معًا وبمقابر العشتار)

- ليلى: إسراء هو عم إبراهيم اتدفن هنا برضو.

- إسراء: اه وكمان أبلة عشمانة الله يرحمها، تيتة صممت تدفن هنا عشان تزورها كل شوية بالمرة فكرتيني أما أروح أقرألهم الفاتحة هما كمان، وردة استني خُديني معاكي.

"وفور ما وصلت وردة هي وحسين للقبر الذي ترقد به أمها منذ عشرين عامًا، وأبيهمـا الـذي حل فيه منـذ شهرين فقط، فوجئـت وردة إثر وقوع عينهـا على المدفن في دهشـة، لم يلحظها عليها أحـدًا ممن كانوا بجانبها غير إسـراء التي أكملت قراءة الفاتحة، مفضله أن تظهر عدم مبالاتها عليها حتى الآن".

- إسراء: يلا يا وردة عشان نروح.

- حسين: يلا يا حبيبتي إحنا طولنا أوي.

"فتسير معهم وردة وهي تلقي بنظراتها بين الحين والآخر حيثما يرقد أبوها وأمها، إلى أن وصلوا لمُنتهى أرض المدافن، ليعودوا للقصر أجمعين"

وعلى غير لهجتها التي عرفها عمها عليها طوال حياتها، نظرت له إسراء وأخبرته بنبرة آخر ما كان يتمناه هو أن يرى بنت أخيه تتحدث معه بها.

- إسراء: اللّه يرحم الأموات والاحياء يا عمي زي ما رحم اللي عاشروا المرازيق وعرفوهم.

وبوصولهم لباب القصر دخلوا العشتار، وكانت جواهر جالسة بالحديقة، ووقفت برؤيتها لهم فمرت إسراء من جانبها، كأن لا وجود لها وصعدت لغرفتها وأغلقتها عليها، فأبلغتهم هنا أنها قالت لها ستذهب لتنام، ولا تريد لأحد أن يقطع نومها عليها، فدخل الجميع إلا فؤاد، الذي بقى بالخارج قليلًا معه جواهر ولا تزال جملة إسراء التي أخبرته لها منذ قليل في ذهنه لا تغيب.

- حازم: قوليلي يا وردة، هو ليه هناك الأرض الواسعة دي كلها معمولة لتلاتة مدافن بس.

- وردة: عشان الأرض دي كانت ملك ست نادية -اللّه يرحمها- ولما تعبت وهي حامل في إسراء كانت وصيتها أن الأرض دي ما تكونش لحد غير بنتها وبس لو ماتت، ولما كبرت إسراء شوية وفهمت الدنيا اللي حواليها وموت أُمُها وأنها موجودة هناك، رفضت أن أي حد يقرب من المكان ده فأنورين هانم عملت بكلمتها وعملتلها سور حوالين الأرض كلها، ولما إسراء سافرت مصر وعاشت هناك ست أنورين بَنِت مدفن تالت لأمي جنب الاتنين التانيين ومن بعدها اتدفن فيه أبويا.

- فهد: والاتنين التانيين دول بتوع مين.

– وردة: الاتنين اللي جنب بعض دول اللي في نص الحوش واحد مدفون فيه شكري بيـه –الله يرحمـه– أبـو نادية جوز سـت أنورين، واللـي اتدفنت فيه معـاه من يومين، والتاني اللي جنبه فيه ست نادية وأستاذ فهمي أبو إسراء، والأخير اللي على اليمين ده، زي ما إنت شوفت ست أنورين بنته عشان أبويا وأمي زي ما قولتلك.

– حازم: يعني الاتنين اللي عليهم...

– وردة: أقفال، مش قصدك كده، اه اللي عليهم أقفال بس بتوع أهل البيت ده.

– فهد: اشمعنى يا حازم، بتسأل ليه أيه العلاقة.

– حازم: وردة ممكن تحكيلي ست عشمانة –الله يرحمها– ماتت إزاي

"فتنظر له وردة في دهشة من سؤاله وتصمت".

– حازم: قصدي يعني هي كانت موتتها طبيعية ولا لأ.

"لتُجيبه وردة في نظرة كلها خوف ورعب إثر سماعها لسؤاله"

– وردة: لأ، اتقتلت.

"وقبل أن يبلغ الحديث أجله، حل عليهم من الخارج فؤاد، وتتبعه جواهر تحت أعُـين حـازم، الذي ظل ينظـر لها كأنـه يجيبها بالرفض لطلبها، الـذي أخبرته فيه بأن يبتعد عن أرض الغجر ومن بها".

****

وفي التاسعـة ليلًا كان كعادة فهد وحازم مجتمعـين معًا في ذلك الوقت بالحديقة، لكـن تلك المرة طلبًـا من ليلى أن تأتي لهـم، لتقص عليهم ما حدث لهـا أمس، وسبب صراخها وتكون بعيدة عن قصر العشتار.

– ليلـى: أول مـا طلعـت إمبـارح وسيبتكم خبطت علـى إسراء فـا وردة فتحت لي ودخلت لقيتها لسه نايمة، بس وردة قالتلي أخلي بالي ولو في أي حاجة حصلت أناديلها على طول.

"فيتابعها فهد في صمت ويبادلها حازم دفة حوارهما"

– حازم: حاجة حصلت؟! حاجة زي أيه.

– ليلى: مش عارفة والله يا حازم هي كانت بتتكلم على أيه بالظبط، أنا طول اليوم إمبارح ملخبطة، ومش فاهمة حاجة فا أخدت الكلمتين منها ومشيت عالأوضة على طول.

– فهد: وبعدين.

– ليلـى: أول مـا دخلـت الأوضة كانت كل حاجـة زي ما جواهـر ساياها، الدفاية والعـه والشبابيك مقفولة، بس في واحد أنا فتحتـه وسيبته قبل ما أدخل لإسراء عشان ريحـة الأوضة كانت لسه كاتمة برضو من قفلتها، بس وأنا بفتحه زقيته، قامت الدرف اتفتحت على طول كأنه كان متلصم.

– حازم: يعني إنتي سيبتي الدرف بس الدقيقتين دول، ودخلتي لإسراء ورجعتي تاني.

– ليلـى: اه، ولمـا رجعت دخلت الحمام أغـير هدومي، وأول ما طلعـت لقيت خيال واحد من ورا الستارة داخل عليا الأوضة، وأول ما صوتت حد تاني زقني من ورا ضهري وقعنـي فحسيـت أن نَفسي بيروح خالـص، فأُغمى عليا وماحستش بحاجة غير وإنتوا حواليا بعدها.

– فهـد: بس أنا حاولت أكسر الباب عليكي لقيتـه كأنه مقفول بمفتاح، جواهر بس اللي جت وفي لحظة فتحته عادي، ودخلنا عليكي ساعتها لقيناكي نايمة على الأرض.

– حـازم: جواااااهر تاني "قالها وكأنه يتحدث بينه وبين نفسه، ولم يسمعه أحدًا منهما".

– فهد: أيه يا حازم بتقول أيه.

– حازم: هو إنت جربت قبل كده تشرح جثة بره سيكشن الكلية؟

– فهد: نعم! قصدك على مين؟!

- حازم: قبر إبراهيم مفيش عليه قفل زي الباقيين، ووردة كمان بقت ملخبطة من ساعة ما جينا.

- فهد: إنت عايز تعمل أيه.

"وعلـى غفلة منهـم كانت إسراء آتيـه عليهم من بعيد، حيـث سمعت حديثهم بأكمله، فجاءت وكان ردها عليهم آخر شيء يتخيلوه من مثلها أن تطلبه".

- إسراء: أنا اللي عايزة يا فهد.

- ليلى: إسراء! عايزة أيه؟!

- إسراء: عايزة أعرف ستي كمان ماتت مقتولة زي عشمانة ولا لأ.

- حازم: هي هَنا فين؟

- إسراء: عايزة تقعد شوية لوحدها فوق.

- فهد: خليكي معايا يا إسراء، أيه اللي خلاكي تفكري في حاجة زي كده، عشمانة -الله يرحمهـا- بنتها بتقولي إنها ماتت أيـام ما كان المرازيق بيدخلوا هنا، تقريبًا من بيجي عشرين سنة، أيه اللي يخليكي تفكري فيهم دلوقتي.

- إسراء: عمري ما رجعت للقصر من بعد ما سيبته، وكانت كل حاجة غريبة عليا زي المرة دي.

"ومن بعيد تأتي عليهم هَنا مستمعة لكلمات إسراء، فجاء الرد منها هي"

- هنا: ده إنتي اللي اتغيرتي من ساعة ما جيتي هنا، خصوصًا واللي عملتيه إمبارح ساعة ما ليلى أغمى عليها في الأوضة.

"فتكتفـي إسـراء بسمـاع حديثها دون أن ترد بكلمة عليهـا، وكررت طلبها على فهد ثانية".

- إسراء: فهد ممكن تيجي معايا بعد أذان الفجر؟

– حازم: إسراء أنا مش عايز بس حد ياخد باله منكم وإنتوا...

– إســراء: محدش هيعــرف حاجة يا حازم، أنا بعد كل صلاة فجر كنت بروح لماما أزورهــا وأجي تــاني، دي حاجة مش جديــدة عليا ولا غريبة على اللــي في القصر هما عارفين كده من زمان.

– حــازم: أيوه بس المدفنين بتوعكــم مقفولين بأقفال، مفيش غير بتاع عم إبراهيم وست عشمانة بس اللي معمولين ردم بطين وميه.

"فتذكرت إسراء منظر وردة فور ما وقعت عينها على قبر أبيها، وخوفها الذي غافلهــا وظهــر عليهــا للحظات، فلم يكــن أحد قد لاحظــه عليها غير إســراء، فتوقف عقلهــا فجــأة عن ســيره في فكرة قــبر أنورين، وجاء لهــا ذهنها بمنظر قــبر إبراهيم فشاهدته أمامها كأنها ما زالت باقية أمامه منذ الصباح".

– إسراء: تاني كده!

– حازم: تاني أيه؟!

– إسراء: لا لا، مفيش خلاص ما كنتش فاهمة بس في الأول، بس ثواني أنا محدش كان بيروح معايا غير حسين وساعات وردة.

– حازم: وردة لو طلبت فهد يبقى معاكم بدل حسين بتهيألي محدش هيتكلم.

– هنا: روحي يا إسراء، حازم مش هيخلي حد ييجي وراكم أنا عارفة.

– حازم: تقدري تاخدي وردة وفهد معاكي النهارده الفجر، واطمني محدش هيعرف.

– هنــا: أنا هشــم شوية هوا بعد كده هطلع تصبحوا علــى خير، ومحدش يستناني اطلعوا إنتوا.

– ليلى: وأنا كمان لازم أطلع عشان الجو بقى برد أوي.

– حازم: فهد اطلع إنت كمان، أنا هقعد أستني هَنا لحد ما ترجع.

- إسراء: ليلى هي وردة لسه مع حسين؟
- ليلى: اه أنا سايباها معاه بس هناديلك عليها وأنا طالعة.
- إسراء: لا لا سيبيها أنا هطلع أشوف عمي الأول بعد كده أروحلها.
- ليلى: طيب تصبحي على خير.

لله مصير تلك الغجرية.

تصعد إسراء لغرفة جدتها فتتذكر التي كانت تعيش في هذا المكان، وتتذكر أيامها مـع تلك التي كانت أمًا لهـا، وانتقلت لعالمها الآخر، فيظهر علـى إسراء ضعفها، الذي مـا رآها فيـه أحدًا بهذا القصر منـذ وصولها له، فحالتها الغريبـة التي ظهرت عليها تلـك كانت بسبب اضطراب قلبهـا وخفقانه، بسبب رؤيتها لجواهـر، وهي تفتح الباب علـى ليلـى بطريقة أعادتها للخلف عشرين سنة مضت، منـذ أن كانت تأتي لها ميرين بالماضي، فعندما حـاول فهد كسر الباب على ليلى حينما أملأت القصر بصريخها لم يستطـع أن يفتحـه عليها، لكن حينما أتـت للباب سمراء فتحته بنفـس الطريقة، التي كانت ميرين بنت الغجر تفتح باب القصر قديمًا لإسراء، حتى تأخذها خارجة وتجلس معهـا، حينها أدركت بنـت العشتار أن المرازيق لا يتواجدون حـول القصر فقط، وإنما عرفـت إحداهن طريقها لداخله أيضًـا، وعاشت مع جدتها وعمها لما يزيد عن سنتين، وقد لا يحمد أثر تلك المدة إذا كانت جدتها هي من دفعت ثمن قضاء تلك الغجرية مُدة طويلـة بين جُدران العشتار، فماتت بعد أن عرفت شيئًا عن تلك الغجرية، التي أوصلها سبيلهـا لمكانًـا انتهى بها لداخل هـذا القصر، وتخفت فيه عن أهلـه، وإن كان ما ببال إســراء صحيحًا، فقد يكون وصول تلك الغجرية فعـلًا للعشتار ثمنه أن خرجت جدتها أنوريـن منه، وفارقتهـا روحها أيضًا وودعت القصر، تاركـة مصير من بداخله بين يد التي أخرجتها منه، وأسكنتها قبرًا ما برحت إسراء أن تأنس وحدة جدتها فيه، فزارته

هــذا الصباح، فللــه مصير من دفعت حياتها سبيلًا لإنقــاذ حفيدتها وابنة قلبها، ولله مصير تلك الغجرية بعد أن علمت إسراء حقيقة أصلها.

بينمــا كانــت إسراء تستعد للذهــاب لعمها فؤاد (حيث منذ وصولهــا وهو يريد أن يتحــدث معها، لكن وقتهم لم يكن ليسمح بعد) ذهبت لتغلــق نافذة الغرفة فرأت هَنا، وهي تسير خارج محيط القصر، لكنها على حالة غير طبيعتها حيث كانت كأنها تتخفى مــن أحد حتى لا يراها، وفجأة لمحت إسراء من بعيد خيال شيء قادم من أرض الغجر نحوها؛ فانجزع قلبها وتوقف عقلها لثوان عن التفكير، حتى لم تدر بنفسها إلا وتجري على غرفة عمها، حتى دخلتها فاستوقفها شيئًا لم ترَه منذ عشرين عام في نفس الليلة، التي عرفت بها معنى أن يأتي أحد من الغجر ويدخل أروقة العشتار.

وبخــارج القصر كان من قدر هَنــا أن حازم وفهد ووردة عادوا للداخل، وصار كلًا منهــم بغرفته، فصــارت هَنا تمشي بخطــوات تائهة تقودها، وهي لا تــدري نحو أرض غُجــار، بعدما غاب عنها ضوء القمر في مكان كثرت به الأشجار، وصارت رؤيتها للذي يتبــع أثرها صعبة، فتوقفــت في مكانها ونظرت حولها فلم تجد أثرًا لأي شيء، فاطمئن قلبهــا بعدما ظنت أن لا أحــدًا يتبعها، فبدأت تعود لطريقها مــرة أخرى نحو العشتار، وبينمــا تسير وتدير ظهرها لغُجــار عائدة للقصر، ظهر ثانية أحــد الغجر وبدأ يمشي خلفهــا، ويقــترب بخطواته نحوها في سير بطــيء يعرفه جيدًا كلًا مــن بأرض الغجر، ويســيرون به حتى لا يستعمل خطواتهم أحد، وبينمــا اقتربت هنا من العشتار، وعبرت بوابتــه أراد الغجــري أن ينتهــي سبيلهــا إلى هُنا، فتوقــف وأخرج خنجــرًا من جانبه، أمسكــه في يــده جيدًا، ونظر لها وهي متجهة لداخل القصــر، ثم ابتسم حيث أصبحت هــي الآن مبتغــاه، وحينما حاول أن يُكمــل نفس الطريق وراءها، ظهــرت له إسراء من علــى بُعــد، وكانت واقفة خلفــه فرآها قبل أن يديــر وجهه مرة أخرى لهَنــا، التي نسى

أمرهـا أمـام تلك النظرة الغريبة، التي رآها مرسومـة في أعين من تشبهت بهم، حيث كانـت إسراء تغطي وجهها -بخمار أسـود- فأخفت ملامحها ولم يبقَ من وجهها شيئًا ظاهرًا غير عينيها تمامًا، كمان كان يفعل الفجر حينما يخرج أحد منهم خارج حيُهم، فبـدأ الفجـري يترك هَنـا لسبيلها، وسار بهـدوء نحو إسراء مبتعدًا عـن القصر ومن فيـه، وما أن بدأ يقترب كثـيرًا منها قامت هي بسحب مُسدسًا من جانبها ووجهته على يسارهـا، فتوقف الفجري متعجبًا لها، وطالـت نظرته في عينها فلمح جُرأة لم يرَها في عين أحد غير الفجر، وفي الوقت ذاته يعلم جيدًا أنها ليست ممن يسكنون أرض غُجار، فعـاد لسيره ببطئ مرة أخرى نحوها، فمالـت هي رأسها جانبًا، وهي تنظر له وعينيها مبتسمة ثم أطلقت الزناد.

وبداخـل قصر العشتار كان فؤاد علام لا يهدأ لـه بال أو يستطيع أحد أن يقلل من ثورتـه إلا حـين يجد ما ضاع منه، حيث فور ما عاد فـؤاد لغرفته ونظر أمامه، ولم يجد على مكتبه سلاحه، الذي دومًا يحمله معه تشتت عقله، وصار يبحث في كل مكان، فثار بصوته مناديًا على جواهر التي أتت له.

- جواهر: أيه يا فؤاد في أيه؟!

- فؤاد: المسدس فين يا جواهر؟!

- جواهـر:... "لم يستطـع لسانهـا أن يرد بأي شـيء، وتذكر عقلهـا الوحيد التي دخلت المكتب".

- فؤاد: بتبصيلي كده ليه، بقولك المسدس الكاتم كانوا على المكتب رجعت لقيتهم اختفوا.

"فلـم تجِبـه جواهر وجرت على غرفـة إسراء، فلم تجد غـير وردة بها نائمة، فأغلقت الباب ثانية وجرت على الحديقة الخلفية، لكن استوقفها فؤاد عند الباب"

- فؤاد: خدي هنا إنتي بتجري كده ليه ورايحة على فين؟!

– جواهــر: فؤاد محدش دخـل أوضتك غير إسراء بنت أخـوك، ولما طلعتلها كمان مش في أوضتها.

"فاشتـدت ضربات قلبه وشعـر بخوف وقلق على إسراء، لم يشعر به عليها من قبل قط".

– فؤاد: أيه بتقولي مين! إسراء؟!

"أجابها وهو تغيب عنه ملامحها وبدأ يضيق تنفسه، وصار يفقد وعيه كلما فكر في إسـراء ومصيرهـا بعدما افترض أنهـا قد تكون بأرض الغجـر الآن، خاصة بعد أن تغـيرت منذ وصولها وصار فؤاد يُعامـل إسراء أخرى غير التي تربت أمام عينيه، فظل عقلـه يعيد عليه مشهد إسراء وهي بغُجار، حتى وقـع مغشيًا عليه، واجتمع حوله جميع من بالعشتار غافلين عن إسراء وأمرها.

فتستغيث جواهر بمن في القصر، وتناديهم حتى جاء لها كلًا من بالقصر.

– جواهر: حازم يا فهد الحقوني.

– فهد: فيه أيه؟! أيه ده فؤاد بيه مالك.

– حازم: ماله يا جواهر أيه اللي حصل.

– جواهر: اسندوه معايا ياولدي.

– ليلى: طيب يلا يلا نوديه مستشفى.

– هنا: أنا هطلع أجيب العربية.

– جواهر: لا لا يا بنتي مالهاش لازمة اسمعوا كلامي بس.

– حازم: أومال هنعمل أيه شكله لازم مستشفى.

– جواهر: صدقني يابني دي حالة، وبتجيله لما ينسى دواه واسأل صاحبك أهو.

– فهد: هو مريض سكر صح.

– جواهر: اه يا ولدي وبقاله مده ساهي عن دواه خالص من ساعة موت ست أنورين.

– فهد: طيب دخلوه معايا الأوضة ما تخافوش أنا معاه، لو هيحتاج مستشفى هنقله.

"وبعـد أن أدخلـوه غُرفته قـام فهد بفحصه، وكان جميع مـن بالقصر معه إلا وردة التي لا وجود لها".

– فهد: السكر عالي عليه أوي، هو في حاجة ضايقته واتعصب ولا أيه؟

– جواهر: ربك أعلم بحاله يابني، هو بقاله فترة كبيرة من ساعة تعب ست أنورين لحد موتها، وهو ناسي دواه خالص ولا بيقربله.

– فهد: طيب وردة فين؟! حسين لازم يجيبله الدوا ده دلوقتي وياخد منه.

– جواهر: هطلع أشوفه فين وأروح وياه.

– فهد: يلا يا ليلى إنتي وهنا طب، يلا نسيبه يرتاح.

– ليلى: إسراء فين، هي ما سمعتناش كل ده.

– هنا: اه صح هي ووردة راحوا فين؟!

"وبعد أن تركتهم جواهر خرجوا من غُرفة فؤاد، وتحدثوا بسيرة إسراء الغائبة عنهم".

– ليلى: فهد إنت وحازم شوفولي إسراء أبوس إيديكم، أنا مش ناقصة قلق عليها.

– حـازم: محدش فيكـوا كان المفروض يسأل عليها أساسًـا، عشان لو فعلًا راحت المقابـر زي ما قالت إمبارح محدش يروح وراها، وبعدين وردة كمان مش هنا واحتمال تكون معاها.

– ليلى: برضو؟! إنتوا أيه ما بتحرموش مش خايفين لا يحصلها زي ما حصلي من يومـين، وكنت هموت لولا ستر ربنا، طب هي مش خايفـة على نفسها لأحد منهم يطلع عليها ويؤذيها.

– هنـا: حـازم عشان خاطـري روح وراها، وبلاش اللي هي بتفكر فيـه ده والنبي خليها ترجع.

– فهـد: أنـا مش هينفع بأي حال من الأحوال أسيـب الراجل اللي جوه ده في حالته دي، عشـان لـو مافاقش خلال ساعة أو اتنـين بالكتير هيبقى في خطـورة عليه، ولازم هوديه مستشفى.

– حـازم: عمرها ما هتروح ناحيـة الغجر ووردة معاها بس هموت وأعرف أيه اللي في دماغها.

– هنـا: من ساعة ما ليلى أغُمى عليهـا في أوضتها، وأول ما دخلت علينا، وأنا اللي شوفتها كانت إسراء تانية خالص غير اللي طول عمري عرفاها.

– فهـد: طالما كانـت عايزة تتأكد أن جدتها فعلًا ماتت موتـة طبيعية مش اتقتلت، يبقى عمرها ما هتروح المدافن من غيري، كده إسراء مش في المدافن.

– حازم: ده اللي هيجنني، ولو مش هناك فعلًا هتكون راحت فين دلوقتي وليه.

– هنا: استنوا استنوا ده كده إسراء خرجت من بدري ولوحدها، وردة مش معاها كمان.

– ليلى: أيه إنتي بتقولي أيه إنتي كمان؟

– هنـا: أنـا لما كنت بره من شوية ورجعت، مالقيتش حد فيكم فقولت خلاص يبقى طلعتـوا وقبل ما أدخل الأوضة عندك، قولت أدخل أطمن عليها لقيت وردة بس اللي في الأوضة ونايمة.

"فيتوقف عقل حازم وفهد وينظرون لبعضهم في صمت، أما ليلى فانقبض قلبها خائفـة علـى إسراء مـن مصيرها، الـذي ترسمه بأيديهـا لنفسها وهـي لا تدري لأي مصير ستنتهي حياتها".

****

كانت نائمة بالغرفة التي تبات فيها مع إسراء وكان حالها لا يُرجى له شفيع، حيث لم تمـر بأيـام أصعب من هذه منـذ ليلة وفاة أمهـا وقتلها، حيث كانـت وردة نائمة في

غرفـة أنورين، ولكن دائمًـا كان قلق بالها ضيفًا عليها منذ عودتها للقصر ثانية وبينما هـي بسريرها، سمعت وردة على فجأة من يفتح عليها باب الغرفة، ثم سريعًا ما أغلقه ثانيـة، فخافت وقامت في ثـوان، ونظرت حولها بالغرفة فلم تجد أحـدًا معها، فسريعًا اتجهـت نحو باب الغرفة وفتحته ببطئ، فلمحـت جواهر وهي تجري نحو الدرج عائدة ثانيـة للأسفـل، فتعجبت وردة منهـا، وفي نفس الآن انتابها خـوف شديد حينما جرت علـى الغرفة المقابلـة، وفتحتها فوجدت بها هنـا وليلى نائمتان، وليسـت إسراء معهما كمـا ظنت، فعادت سريعًـا لغرفتها، وبدأت تبدل ملابسها ووضعـت نفسها في -عباءة سوداء- ويدور ببالها أن إسراء قد تكون ذهبت وحدها للمقابر، ولم تنتظرها هي وفهد ليذهبـوا معها، فعرفت أنهـا قد تكون غيرت رأيها عليهم، كمـا تغيرت هي على نفسها وعلـى حالهـا، وتعجب لها كل من بالقصر، وقبل أن تخرج مـن الغرفة سمعت جواهر، وهـي تستغيث بحازم وفهد، حتـى يلحقوا فؤاد الذي وقع مغشيًـا عليه، فانتظرت حتى خرجـت ليلى ووراءها هنا من غرفتهم، وتأكدت أنهـم أجمعين انشغلوا بفؤاد، فذهبت هي لسبيلًا آخر عنهم، مُختفيه عن القصر مثلها مثل حال إسراء.

بعـد أن كان واقفًا أمامها يتأمل حسنهـا ونظراتها التي ما نظرها أحد غير الغجر من قبل، عادت يده لجانبه مرة أخرى، ومعها خنجر كان مقدرًا له أن ينال من دم هَنا، الحسناء التي سكنت بالعشتار، وكانت على درب عودتها لداخله ثانية، ولكن كان لظهور حسنـاء أخرى خلفه لا يظهر منها غير عينيها، التي لمحته منذ ما كان يتبع أثر "هَنا"، التـي اختفت الآن عنها وعنه، وصار ضوء القمر لا يجمع تحت أشعته غير هذا الغجري وتلـك التي تشبهت بهـم، وحينما بدأ يسير نحوها ببطئ، كانت تـزداد أمامه نظراتها وميـل رأسهـا كأنها تغوي مـن أراد أن ينتهي به سبيله أمامها ليصـل لها، وكان مع كل خطـوة يقترب منها تنساب يده شيئًا فشيئًا جانبـه، وينسى أمر خنجره الذي حمله في

يـده، ونسـى أيضًا أمر حيرتـه، التي جاءته فور مـا رآها وعلم أنها ليسـت كمثل الذي يسكنـون بأرض غُجار، فهـي لا سبيل ولا صلة لها بالمرازيق، وهو الأمر الذي كان يعلمه جيدًا، وتنساه مع كل خطوة خطاها نحوها، واقتربت عينه من عين لم يفهم من نظرتها لـه شيء، وحينما بات قريبًا منها لا يفصله عنهـا سوى بضع خطوات، أخرجت إسراء مُسدسًـا زادت بسمتهـا فور مـا رآه هو، فوقف سيره نحوها ثم سـاد السكون موقفهم، بعدمـا أظهـرت سلاحها في يدهـا اليسرى، وحينما بـدأ ليعاود حركتـه ثانية نحوها، بعدمـا كان قـد توقف قليـلاً، ورأى أنها لا نية لهـا في قتله، شد يده علـى خنجره بقوة في وضـع مازالت يده فيه بجانبـه، ولم يرفعها خشية منها، وحينما كان لا يفصلها عنه شيئًـا مالت إسـراء برأسها، وتبسمت ورفعت يدها اليسـرى في بطئ جعله يقف ثانية، ويشاهـد ماذا سيحل عليه من التي يجهل عليها أي شـيء يستطع تفسيره، ولم يطمئن بداخله لفعلتها التي ستقدم عليها، حتى إذا جاءته لحظة حاول أن يغافلها فجأة ويهجم عليهـا، أطلقت إسـراء العنان للزناد، فخرجت رصاصتهـا في صمت كالذي كان يسود موقفهم، وكان مستقر تلك الرصاصة في مصدر الضوء الوحيد الموجود معهم بالمكان، حيث فور مـا استقرت الرصاصة بالكشاف الوحيد، الذي كان يُنير المكان، اختفى منه ضوئـه في ثـوانٍ، واختفت معه الحسناء التي كانت واقفـه أمامه منذ دقائق، بينما كان هو يحاول الإجهاز عليها، فمع ذهاب النور عن عينه ذهبت هي أيضًا، كأنها طيف ظهر لـه واختفـى، فسقط على الأرض إثر محاولة اندفاعه عليها، كأن لا شيئًا لم يكن أمامه في الأصـل، وانعدمت الرؤية من حوله، فقام من مكانه وذهب يجري نحو أرض الغجر، وعقلـه لا يستطيـع أن يُفسر شيئًـا عن التي ظهرت لـه واختفت ثانيـة، ولكن برجوعه لأرض المرازيق كان قد وصل إليها من ناحية الكهف، فرآها ثانية على بعد واقفة ومعها

خنجره، الذي سقط منه وهو يحاول السيطرة عليها، ثم صارت تمشي أمامه نحو باقي أرضهم، فأظهر هو ابتسامة على مصير تلك الحسناء وسار خلفها.

****

وبداخل قصر العشتار انتظرت وردة دخولهم بفؤاد لغرفته، فانتهزت فرصة انشغالهم وخرجت هي من الباب الخلفي للقصر، لتذهب لإسراء بالمقابر، لكن كانت الرؤية صعبة عليها على غير العادة أمام الحديقة الخلفية، حيث عندما خرجت من باب القصر الخلفي وجدت مصباح الإنارو مُنطفئًا، ولم يأنسها في ذلك الحين غير ضوء القمر، الذي رافقها طيلة طريق مقابر العشتار، التي وصلتها فلم تجد أثرًا لأحدا بها، فانجزع قلبها ثانية وخافت على إسراء من مصيرها، الذي ترسم نهايته بيديها وأيقنت وردة أن حديث إسراء كان صحيحًا، عندما حدثتها عن ليلة الثامن من يناير، وأنها لم تنسَ قط التي دخلت عليها غرفتها حينها، وأفزعتها في نومها وتركتها تصرخ وذهبت لسبيلها، فتمالكت وردة نفسها، وهيأت حالها حتى تذهب نحو أرض المرازيق ورائها.

****

- حازم: وردة مش موجودة هنا خالص، ولا حتى في المدافن كمان.

- فهد: أيه إنت متأكد؟!

- حازم: محدش في المدافن خالص، الدنيا أساسًا كلها مضلمة بره مش عارف ليه كمان.

"فتصمت ليلى وتلوم إسراء بينها وبين نفسها، فتزداد فجأة ضربات قلبها فتتأكد من أنها بخطر الآن، لن يقدر أحد على إخراجها منه غير رحمة ربها عليها، فتتحدث بينها وبين نفسها عن بنت نادية".

- ليلى: ليه كده يا إسراء.

"ثم تأتي هَنا إليهم من الأعلى حيث طلب منها حازم أن تتأكد من عدم وجود وردة".

– فهـد: أنا مش عايز أقولها بس عِندها وغرابتها اللي ظهرت عليها فجأة، دي من ساعة ما فكرت أن أنورين ممكن تكون ماتت مقتولة تخليني أتأكد إنها دلوقتي عند المرازيق.

– هنا: أيه هي إسراء مش في المقابر؟!

– فهد: لا يا هنا مش هناك.

– هنا: إنتوا عرفتوا منين، هو حد فيكم راح؟

"فيوجه فهد نظرته لحازم ثم ينظر للأسفل ويصمت".

– هنا: إنت اللي رحت يا حازم صح، روحت لوحدك كمان ها؟!

– حازم: هنا هفهمك، أنا خايف عليها لأحد يعمل فيها حاجة.

"فيثـير غضـب هَنا ليعلـو صوتها فجأة عليهـم، فتخرج كلماتهـا منها ترافقها دموعها خوفًا عليه".

– هنـا: يعنـي إنت قولتلي اطلعـي شوفي وردة فعلًا مش فـوق ولا لأ، عشان تسيبني وتروح وكمان ما أستنيتش حسين يرجع ويروح معاك.

– فهد: اهدي يا هَنا اهدي طب.

"فتقـوم ليلى مـن مكانها وتجذبها بين ذراعيها، فتهدأ ثـورة هَنا ويبدأ بكاؤها بعدمـا تذكرت ذلك، الـذي كان يُراقبها من الغُجر ومر أمام عينهـا تصور أنه بعد أن راحـت على هذا الغجري فرصته، التي له فيها فهربـت هي منه، فإنه قد يظل منتظرًا بالخـارج لأي شخصـ من العشتار، حتى يُنهي مصيره كمـا كان يُريد أن يفعل بها فلا تتمالك هَنا نفسها، كلما فكرت فيه وأيضا لاتزال إسراء لا تغيب عن بالها".

– حـازم: إنتـي مش خايفة علـى إسراء يعني وهي بره لوحدهـا والله أعلم دلوقتي هي فين.

– فهـد: وردة مش معاها يا هنا هـا، وإنتي اللي قولتيلنا كده بلسانك، محدش فينا عارفلهـا طريـق ولا حتى عارفين هنوصل لـوردة إزاي، كان لازم نتأكـد وأنا ما ينفعش أسيـب القصـر، فـكان لازم اللـي يروحلها حازم ومفيش فرصة أحسن مـن دلوقتي، وجواهر لسه بره مع حسين بيجيبوا دوا لفؤاد عشان محدش كان يشُك في حاجة.

"فتهدأ هنا من كلام فهد لها بعدما اتضح لها الأمر، فغاب عنها حزنها الذي أحدثـه لهـا حـازم، ولكنهـا مازالت في حيرتهـا من إسـراء، التـي لا شفيع لهـا فيما هـي فيه الآن، فلا تعرف هَنا مـا يدور في رأس بنت نادية، هي وحتى ليلى أقرب الناس لهـا، التـي ظلت على حالها منـذ أن غابت عنها إسراء، وباتت تُناجـي نفسها أكثر من مناجاتهـا مع من حولها، فنظرت في وجوه من حولها ولا سبيل لأي منهم إليها، فزادت آلامها وشعر قلبها فجأة بشئ غريب، فبعدت عنهم وحدثت نفسها".

– ليلى: يارب برَد قلبي عليها.

خرجت وردة من أرض المدافن، وعادت بنفسها لدرب لم تمشِ فيه منذ ليلة الثامن مـن يناير منـذ عشرين عامًا، فتلك الليلة التي بدأتها إسـراء بصرخاتها، واجتمع لها كل أهلهـا حولهـا، ومن ثـم الضربة التي تلقتهـا هي –وردة– حينمـا رأت خيالًا يجري في الحديقـة الخلفية، ومن بعدها خروج أمها نحو أرضـ المرازيق يتبعها حسين، الذي خرجـوا لـه فوجدوه مُغمى عليـه وسط دمائه، التـي نزفها من رأسـه، ولم يجدوا أثرًا لعشمانـة من بعدها، مما جعل وردة حينها هي الأخـرى تخرج لتتبع سير أمُها، وبينما ظلت تُعيد على نفسها أحداث تلك الليلة تذكرت أول مرة سمعت فيها حديث اثنين من المرازيـق، حينما وصلـت إلى شجرة كبيرة تخفت وراءها ذلـك الحين، ووقفت تنصت لمـا دار بين اثنين من أهل غُجار، وكان كل مـا استطاعت سماعه حينها، هو عهد أخذه الغجـري علـى امرأته، التي اقسمت له بعـدم تعرض أحدا منهم لمـن بالقصر في تلك

الليلـة بالـذات، حيث كان سماع هذا الحديث حينها مـن نصيب وردة، حيث كانت هي من وقفت خلف تلك الشجرة منذ عشرين عامًا في الليلة، التي خرجت فيها وراء أمها، ولكن حينها لم يساعدها القدر أكثر من ذلك فلم تستطع وقتها بنت عشمانة أن تُحدد ملامـح من تحدثوا من المرازيق معًا، فلا شيئًـا ساعدها ذلك الحين غير ضوء القمر، والصـوت الـذي حدد لها أن من يقف خلف تلك الشجرة هـم رجل وامرأة، ولكن غاب عنهـا أي ملمح من ملامح وجوههم، فأنصتت حينها وردة لكلام الغجرية، التي ذكرت عطية في وسط كلامها، حيث قالت لمن معها أنها تحدثت مع بدر الصعيدي عنه، فثارت شكـوك تلك الغجرية حوله، وأخبرت زوجها الذي كانت تراه وردة واقفًا من ظهره، أنه قـد يكون عطية فعلًا صاحب الضربتين، التي كانت نصيب الأولى منها لبنت عشمانة، التـي تقف مستمعة لهـا، والأُخرى لحسين أخيها، الذي صـار لا يتكلم بسبب ما وقع له فاستوقفت وردة نفسها ثانية عند اسم بدر الصعيدي، الذي يعرفه كل من بالبلد جيدًا، حيـث يسكن بـأول أرض المرازيق من ناحية البر وشارع مقابـر الغجر، ففيرت وجهتها عـن استكمال سيرهـا لداخل غُجار، وصـار مُبتغاها الآن للذي سمعـت عنه من لسان تلـك الغجريـة -بدر الصعيدي- هو غايتها وكل ما تتمنـاه، ولكن قبل ذهابها من أمام تلـك الشجرة، التي حمتها من شـر الغجر قديمًا وأخفتها عنهـم، تذكرت آثار دمائها التي قـد تركتها على الجذع حينها، حيث أسندت وردة وقتها يدها المجروحة إثر طعنة الخنجـر على جـذع الشجره، وكان هذا الجرح سببه حينما هجـم أحد المرازيق عليها بالحديقـة ليقتلها، تلقت الضربـة في يدها اليُمنى لتحمي نفسهـا من الموت، فخرجت الدمـاء من كف يدهـا فصرخت وسمعها الجميع، فبعدها بينمـا كانت هي واقفة وراء الشجـرة منصتـة لحديث الغجر، أسنـدت يدها عليها لفترة حتى تركـت دمائها أثارًا عليهـا، وحينما فتشت عنها الآن لم تجد لها أي أثر مما أدهشها وجعلها تتعجب، حيث

إســـرا

لم تعـرف وردة بفعلـة الغجري، الذي كانـت واقفة تستمع لحديثه، والـذي كان يعرف هويتها حينها ويعلم أنها واقفة بالقرب منهم، خلف جذع تلك الشجرة الضخم تحتمي بـه منهـم، حيث لا تعلم بنت عشمانـة أنها عندما غادرت مكانها فـورًا كان هو قد أتى ونظـر لتلك البقعـة، التي فيها أثر دمائها فقام بمسحها وأزالهـا تمامًا، وسار لطريقه عائـدًا لأهله بعدمـا أخفى أي أثر لهـا كان سيبقى للأبد بتلك الشجـرة، وبعدما أنهى عقـل وردة إعـادة سرد ذكرى تلـك الليلة كلها، ذهبت من هذا المـكان في حيرة تعلقت بذهنهـا، ولـن تفارقها أبدًا حتى تجد تفسيرًا فيما رأت الآن وثار حيرتها، فتناست أمر هـذه البقعة من الدماء، التي اختفت تمامًا وسارت نحو منزل بدر الصعيدي، الذي لم يجرؤ أحد من أهل البلد على الاقتراب منه أبدًا أو دخوله حتى.

الفصل الرابع

ذات الخمار والعراف

"ذات الخمار والعراف"

٦٢/١١/٨٠٠٢- ٣:٠٠ فجرًا

"عَرِفُوكِي قديسة ولم يعهدوا ذنوبك الخفية، وما خفي كان أعظم".

كان أقصـى مـا يتمناه الغجـري منذ قليـل، هو أن يتمكـن ولو للحظـات من تلك الحسنـاء، التي غافلته في خنجره وسحبته من يـده، وهو يهوى أرضًا بعدما سبقته هي بـرد فعلها حينما حاول الهجوم عليها، ولكن القـدر أكرمه بأكثر مما كان يتمنى حيث حصل عليها الآن داخل أراضيهم، بل ويسرت إسراء السبيل عليه حينما انتظرته، حتى تقع عينه عليها ثم قامت وبدأت تسير في أرض لا تعرفها، ولم يعرف الخوف سبيل لها، مـا دامت تسير في الناحية الغربية حيث يتواجد -كهف غُجار- التي تدرك جيدًا أنه لا أحدًا من المرازيق يجرؤ الاقتراب منه، أو دخول الأرض التي يتواجد بها، وأما الغجري في سبيـل وصولـه لها فهو على استعـداد أن ينسى أي مكان قد حُـرم عليه الذهاب له، حيـث زادت فرحتـه واطمئنانه أكثر حينمـا وجدها تسير ناحية الحوش الغربي، وفي خياله يدرك أنها لا تعلم إلى أي مكان تأخذها قدمها، ولكن في الحقيقة أن إسراء هي مـن كانت تسير بـه لداخل الأرض الغربية عن عمد، وحينمـا سارت داخلها ووقفت في منتصفهـا تنتظره وصوله هو الآخر، جاء عند مدخلهـا وشعر بخوف غريب حل عليه، وظـل يدور بعينه داخـل الأرض، التي لم يجرؤ أحد منهم علـى دخولها من قبل، ولكنه حينمـا نظـر لها ثانية رآها موجهة ظهرها له، وخلعت عـن وجهها الخمار، الذي كانت ترتديه وألقت به أرضًا، فأغوته بعملتها وجعلته يدخل الأرض وراءها، حتى يرى وجهها فيعرف هوية التي كانت أشبه بالغجر أكثر منهم أنفسهم، ولكنها أيضًا لم تخطو قدمها أرضهـم قط، فجرى إلى خمارهـا التي طرحته أرضًا، وأخـذه وأمسكه على شكل أداة حتـى يخنقهـا به، وبينما كانت لا تزال هي تسير أمامه جـرى خلفها، لكنه توقف فجأة

حينمـا رأى الحوش الغربي، كأن روحه خرجت من جسده، وصار خائفًا يحاول الرجوع ثانيـة من أمامه، وفجأة شعر بوخـزة في ذراعه اليسرى، وبات واقفًا لا يتحرك أو حتى ليقـدر على إنـزال عينه عن "كهف غُجار"، الذي وإن كان تجـرأ أحد منهم على رؤيته مجـرد من بعيـد، وجد هو نفسه الآن بالقرب له عن أي وقت مضى، وأحس بغيمة حلت بظلامهـا علـى المكان، فلم تعد عيناه قادرة على رؤيـة أي شيء حوله، ولا هو قادر على السـير بقدمـه في أي إتجاه، بعدما وجـد نفسه على غفلة واقفًا أمـام الحوش الغربي، وبينمـا ظـل ثابتًا في مكانه ولم يتواجد معه غير الظلام، وهو شعر بها وهي تتحرك من خلفـه فجاءت له وهو واقفًا كتمثال، وتحدثت مع الذي لا يرى غير الظلام، وكأن عينها هـي الأخرى اعتـادت ألا ترى الأشياء غير فيـه حيث سارت حولـه، كأن مازال بعينها النـور، وترى جيدًا كل شيء حولها، ثم توقفت علـى بخته في ظهره، واستمعت لرعشته وخوفـه وشعـرت ببرودة جسده، كأنه يموت ثم قالت له بنـبرة غريبة وباردة وهو واقفًا بين يديها، كأنها متعجبة مما فعله بنفسه حينما أتى أمام الكهف وتوقف:

– إسراء: اللي طول عمري أعرفه عنكم، أن محدش فيكم بيقدر يقرب من الحوش ده ولا يدخله.

– إسراء: هاااااا قالتها كإنها متعجبة لما كتبه لمصيره، الذي ينهيه بوجوده في تلك الأرض.

– إسراء: يا ترى بدريسا هتعمل معاك أيه يوم ما تعرف أنك جيت هنا؟

"فيديـر عينـه لليمين ناحية صوتها ولا يقدر على أن يتكلم بأي شئ، راجيًا من الله أن تصمت هي الأخرى حتى لا يسمعها من بالحوش".

– إســراء: هههههههه ما تخفشـ أنا هلحقك وأقول لها (كانت نبرات ضحكتها لا يفهم منها شيئًا).

"فتـزداد ضربـات قلبه، ويتمنى من مـولاه أن يُخرج روحه مـن جسده، وينهي عليـه تلـك اللحظة وهـي لا تبـالي لأي ما حولهـا، وكأنهـا لا تهتم لوجودهـا في أرض مثل تلك الأرض، فأكملت وتيرة حديثها بنفس برودة قلبها، وغرابة حالها اللذان صارا رفيقاها".

- إسراء: بس أنا عايزاك تقولها، مالهاش دعوة تاني باللي حرمتها من أمها مرتين ها هتقولها!

"فـلا يفهـم هـو الآخـر أي شيء تتكلـم هي عنـه، ولا يستطيع حتـى أن يُحدد ملامحهـا أو شكلهـا، فمـا كان منـه إلا أن يظـل ساكنًا في الظـلام مستمعًـا لصوتها وحالته لا يحسده أحدًا عليها".

- إســراء: اه وبالمـرة استنى خنجـرك كنت هتنســاه معايا، بس استنـى صح إنت هتقولها بجد عليا وهتوصلها كلامي ولا لأ؟!

"تتحـدث معه وهي تعلـم أنه لن يقدر على الكلام أو حتى الحركة، حيث كانت الوخـزة التي شعر بها بذراعه الأيسر، هو عقار حقنته بـه إسراء شل جسمه بالكامل، ولن يقدر على فعل أي شيء غير السكون في تلك اللحظات، لتأتي وتقف أمامه مباشرة، وهـو يشعر بحركتها فتخرج خنجره من جانبها، وتخـرج معها ابتسامتها بصوت وصل صداه لأذنه، فأكملت حديثها معه كأنه يجيبها وتجيبه".

- إسراء: بس قولي الأول، هو الخنجر ده إنت طلعته ليه، كنت عايز تقتل اللي ماشي وراهـا هـي بعينها -تقصد هنا- ولا كنت فاكر أن اللـي ماشية قدامك دي إسراء، بس ده إنت حتى ما تعرفنيش ومحدش فيكم يعرفني غيرها هي بس "تتحدث وفي بالها بدريسا".

"فتزيـد ضربات قلبه عمـا قبل، وعلم أن بنت نادية هي التي تقف أمامه الآن، وكاد يشـت عنـه عقلـه حينما تصـور أن اليوم الذي يكـون فيه أحد من أهـل العشتار

واقفًـا أمام الغجر بتلك الطريقة، قد أتى بـل وسيكتب به نهاية لأقدارهم، التي بدأتها إسراء وكان من نصيبها أن أول مصير ستكتبه له هو".

رسالة بدم العراف.

- إســراء: طالمـا خنجرك طلع من مكانه، عشان يشم ريحـة الدم، أنا مش هخليه يرجع برضو، لمكانه إلا وعليه دم فعلًا.

"فـزاد خوفـه ونظـرة عيناه لها في رعب، وهي تخرجه مـن جانبها وتمسكه في يدهـا ببطـئ، كانـت تخـرج معه روحـه من بـين براثـن جسـده، فضربتـه إسراء في منتصـف رجله من الخلـف فثنت ركبتيه، فجلس أمامها نصـف جلسة فأمسكت رأسه من الخلف بيدها، واليد الأخرى واقفة أمامه لتجعل آخر ما تراه عينه هو لمعان خنجره تحت ضوء القمر".

- إسراء: خلي اللي بعتتك عشان تقتلني تبقى تلحقك هي بقى.

"فسـارت بالخنجـر على وجهه فـأودت بعينه اليسرى، وشوهـت باقي ملامحه وهـو لا يقـوى علـى الصراخ، ولا يقـدر على الحركـة أو التخلص من التـي عرف على يديهـا لحظـات لم تمـر عليه من قبل، فـكان يشعـر كأن روحه تخرج منـه وهي واقفة أمامه، وتترك آثار رسالتها لباقي الغجر على وجهه، ثم سحبته من ملابسه نحو كهف غُجار وهو مرعوبًا، لما بات يحدث له وعقله توقف تمام، فعاد لم يقدر حتى على محاولة الصراخ أو إعطاء أي إشارة لجسده ليتحرك ويتخلص منها ومن نهايته، التي تكتبها له فلم يتصور يومًا أن القدر سيكتب له نهاية كهذه، وحينما وصلت به لأول الحوش الغربي كان الطريـق لداخله -داخل الكهف- يبـدأ بمنحدر قليل عن الأرض ينتهي إلى دروب، مـا أدركها أحدًا في يـوم، حيث وإن سلكها بشرًا لن يكون لـه مصير غير الموت، فصار يتلـوى ويحاول أن يبعث بأي إشارة أو صـوت لينجيه أحدًا من بين يديها، فصار يتمنى

منهـا أن تقتلـه ولا تتركه يفلت، وينتهي مطافه لداخل الكهـف، فصار موته الآن رحمة وخلاص يتمناها منها، بدلًا مما تفعله به الآن"

فوقفت إسراء أمام منحدر الكهف، وهي تنظر لداخله فأمستها رعشة، وخوفًا من منظـر ظلماته، ثم نظرت بعينها على الذي تمسكه من قميصه منتظرة أن تفلته، ليقع في المنحـدر، ثم أحست بصوت يأتي من حولها، فنظرت بعيدًا فرأت مصدر ضوء حول الأرضـ الغربيـة من الخارج، فتركته يهوى لنهايته داخـل كهف غُجار، واختفت هي في ثوان عن أرض الموتى، وغادرتها تاركة العراف بها.

وبالخارج تسير ميرين هي وطه في الوقت المتأخر كعادتها، التي تداوم عليها وكانت خطوتهـا تقـترب بها شيئًا فشيئًا نحو الأرض الغربيـة، وحينما لاحظ ذلك طه الخدام وأدرك المكان، الذي باتت ميرين تجاوره، أمسك بيدها وحاول أن يبتعد بها عن تلك الأرض:

– ميرين: أيه أيه مالك بس يا طه استنى.

"فيشـاور لهـا على يساره حيث يريد أن يخبرهـا أن تلك الأرض غريبة عنهم، وبهـا كهفًـا ملعونًا عليهم جميعًـا، فتبتسم له وتطيب خاطره حيـث تدرك كيف يخاف الأخرسـ عليهاً وفي نفس الوقت يخاف أن تغافله وتهرب منه، كما فعلت من قبل حينما كانت تنقذ حازم".

– ميريـن: طيب طيب ما أنا عارفـة وأنا بعيد عنها أهو اطمن، بعدين إحنا هنكمل آخـر السكـة دي، عشان عايـزة أخرج بره أرضـ المرازيق شوية، ها ممكـن تودينـي يا أستاذ طه؟

"فيبتسـم لها ويطيعهـا فلا يقدر على رفض طلب لها، فترد عليه ابتسامته هي الأخـرى، ثـم يسـير أمامها فتنظر لـه مشفقة عليه، لمـا صار به حيث تعـرف أنه كان قديمًـا، بإمكانـه التحدث جيدًا، وهـي لا تطمع في أكثر من سماع كلمـة منه الآن، لكن

للحادثـة التي تعرض لها قديمًا جعلتـه لا ينطق بكلمة، حيث حينما كان يخدم المرازيق وخاصـة بدريسـا مُنذ زمـن دخل في يوم لغرفتـه التي تقترب من بيـوت رشدي وعادل وأمـين، ثـم سمع الجميـع صرخة خرجت منه لثـوان فجروا عليه، ووجـدوه ملقي على الأرض، وبجانبه زجاجة كان يشرب منها، وحينما أمسكتها بدريسا اكتشفت أنها مادة حارقـة، أحرقت حلقة مـن الداخل، وأتلفـت أحباله الصوتية فصـار لا يُكلم أحدًا ولا أحـدًا يكلمـه، فأنزلت ميرين عينها مـن عليه، وحمدت ربها أن حياتـه لم تنتهِ في هذا اليوم، وقبل أن تُكمل سيرها رأت ميرين مُلثمة، كانت مُغادرة للأرض الغربية، فسارت نحوهـا بتمهل، فتوقف سير طه هو الآخر وتراجع بظهره وأمسك بيد ميرين حتى يأمن عليها، فتركت ميرين يده وتقدمت خطوتان للأمام، وباتت تنظر للتي توقف سيرها هي الأخرى بمكانها أمام مخرج أرض الغرب، فحينما وقعت عين المُلثمة على ميرين ثبتتها عليها وتبادل الاثنان نظرات، فأطالت إسراء وقفتها أمام ميرين وطه، فتقدمت نحوها ميرين في بطئ، وطه يسير خلفها بحرص، محاولًا ألا يُعطلها ثانية حتى لا تخدعه كما فعلت من قبل، وحينما كانت تقترب ميرين من إسراء شيئًا فشيئًا تمكنت في النهاية من هيئتها، حيث كانت ترى واحدة تشبهت بالغجر، وتلف حول وجهها خمارًا أسودًا، ولكن الغريب الذي تعجبت له ميرين، أن تلك المُلثمة أتت عليهم من الأرض الغربية، التي لم يعـرف دروبها غير بدريسا فقط، فتحاول ميرين الاقـتراب ثانية منها، لتجدها تخرج من جانبها مسدس وجهته نحوها، لتبعدها عنها فتوقفت ميرين، وعلى الفور جرى طه الخدام ووقف بينها وبين إسراء، جاعلًا ميرين في ظهره ليحميها من أي فِعلة قد تقدم عليهـا هذه الغريبة عليهـم، وحينما رأت إسراء فعلة طه الخـدام هذه أنزلت سلاحها من عليهم ووضعته بجانبها، ثم باتت تعود بظهرها للخلف، ولاتزال عينيها لا تنزل من على ميرين، وحينما اقتربت من مصدر الضوء، الذي ينير ما بينهم، رفعت يدها نحوه

وفور ما أزاحت عينها عن ميرين لتنظر جانبها حيث يكون مصباح الإنارة قريبًا منها، فوجئت إسراء بميرين تجري بسرعه نحوها، فأطلقت رصاصتها به، واختفت عنها هي وطه مع اختفاء الضوء، لكن ميرين تبعتها حيث لمحتها تجري، فذهبت وراءها على إثر سماعها لصوت خطواتها، فشقت إسراء طريقها لخارج حي الغجر، وحينما انتهت من طريق المقابر حيث بدأ يتواجد النور ثانية، لم تجد أثرًا خلفها لميرين، التي كانت تتبعها حيث كانت الأخرى دخلت بين المقابر فور وصول إسراء لذلك الطريق، فأودعت إسراء ثانيــة سلاحها بجانبها، وسارت بطريقهــا لتخرج من أرض المرازيق تمامًا، وفي نصف طريق المقابر خرجت عليها ميرين من خلف إحداهم، ووقفت بينها وبين باب خروجها مــن أرضهم، فظهر على وجــه إسراء نظرات لوم وغضب ممــا تفعله بنت الغجر، فما كان منهــا إلا أن تخــرج مسدسها ثانية من جانبها، وتلك المــرة أمسكت به في يد واليد الأخرى سحبت بها خزنة الطلقات، وألقت بها أمام قدم ميرين إشارة لها أنها لا تُريد أن تؤذيهــا، ثــم انتظرت لثوان أخــرى، وألقت أيضًــا المسدس وسحبــت يداها أمامها فكانتــا فارغتان، فأطالت ميرين النظر لعينِ كانت رسمتها غير غريبة عليها، ثم دارت ميريــن ببصرها في باقي المــكان حولها، فلم تجدا أثرًا لأي شخصــ، فنظرت للسلاح التــي ألقته الغريبــة أمامها، ثم ثنت ميريــن ركبتيها لتأتي به فضربــت إسراء الأرض بغبارهــا لتقذفه بعين ميرين، لكــن الأخرى سبقتها وألقت علــى وجهها الخمار، الذي دائمًــا مــا تضعه حول رقبتها، ليحمي عينهــا من الغبار الذي ثــار بوجهها، والذي كان وصــل قليل منه عليها فمنع الرؤية عنها لثوان، وحينما قامت ميرين مرة أخرى وأزالت خِمارهــا عنها، وجدت تلك الغريبــة قطعت مسافة طويلة أبعدتها عنها، وجعلتها أقرب لمخرجهــا من غُجار، ومن ثم فتشت ميرين عن مسدسهــا، فلم تجده هو الآخر فجرت وراءها، وهي تدرك أنها لا حيلة لها لتلحقها، وفي نفس الوقت لمحت ميرين حركة غريبة

علـى جانبها بين القبـور، فأخرجت من جانبهـا نصلًا ضئيلًا تخفيـه بجانبها، وسط آخريـن أمثالـه، والذين دائما تجلعهـم مسمومين، وألقت به عليهـا، فأسرع دربه نحو ظهـر إسراء، واستقر بها فتوقفـت إسراء فجأة، حينما شعـرت بآلامها تتكاثر عليها، وأخرجـت نصل ميرين من خلف كتفها، فخرج ومعه الكثـير من الدماء التي افترشت ظهرها، فخلعته ونظرت له في يدها التي تمسكه وتُغرِقها الدماء، فدرات بوجهها ثانية نحـو ميرين، التي كانت تبتعد عنها كثيرًا، فأزالـت إسراء خمارها عن وجهها، ووقفت أمامها من بعيد ففوجئت ميرين من فعلتها، كما زادت حيرتها أمام تلك الغريبة، فهي مازالـت تجهل وجهها، لكنها تعرف عيناها تلك جيـدًا، فأطالت إسراء النظر نحوها، وذهبـت بيدهـا اليمنى نحو كتفها الأيسر، وأعادتها أمامهـا ثانية فلم ترَ لونًا على كف يدهـا، غير حمرة الدمـاء، فظهرت ضحكة بسيطة منها، وأقبضـت يدها اليمنى على النصل، فأنزلت قطرات دمائها على تراب أرض غُجار، ثم عادت لتكمل سبيلها ثانية، وأعطت ظهرها لميرين، التي ظلت واقفة متعجبة لحالها، وصارت تُراقبها حتى غادرت إسراء أرض غجار تمامًا.

"عواء ذئب غُجار"

4:00 2008/11/26 فجرًا

عودة للكف الغربي.

تركت ميرين إسراء لقدرها، الذي لا يعلمه غير خالقها، وحينما جاءت لتعود ثانية لداخـل أراضيهـم، وجدت طـه يخرج عليها من بـين المقابر ينظر لهـا في لوم وغضب مـن فعلتهـا، ففوجئت به ولم تكن تعلم أنه هو الذي كان معهـا كل هذا الوقت ويراقبها فصمتـت، ونظرت له في حدة ثم عادت بخطواتهـا للخلف في بطئ وفجأة، وجرت على الأرضـ الغربية، فتبعها طه ليمنعها عـن فعلتها، ولكن رشاقة ميرين وخفتها ومهارتها لم يملكهـا أي أحـد من الغجر سواها، حتـى ولو اجتمعوا كلهم عليهـا، فحينما وصلت لداخل الأرض الغربية، وجدت ظلامًا بها لم ترَ عينها مثيلًا له بباقي أرض غُجار كلها، ثم وصل بعدها بدقائق طه، وحينما لم يجد لها أثرًا بالخارج، علم أنها أقحمت نفسها بالأرضـ الملعونة، فوقف على مدخلهـا حيث كان دائمًا، ما كان يقترب منه أو يأتي نحو الأرضـ كلها من قريب أو بعيـد، ولكن حينما تكون ميرين التي بداخلها لم يعِد التفكير ثانيـة في الأمر، فدخل وراءها ووجدها مُمسكـة بحطبة مشتعلة، آخرها النيران تضئ لهـا ما حولها قليـلًا من الظلمات، فسـار نحوها فلم تعيره اهتمـام، وباتت تشق باقي طريقهـا كأنها تبحث عـن شيء، وطه بجانبها لا يفارقها أبـدًا، وإن كان قد كتب لأحد أن يدخـل مثـل هذه الأرض ويجهل دروبها، فأنه لم يكتب له نجاة من بعدها، حيث كان قدر ميرين السيء يقودها نحو الحوش الغربي، وهي لا تعلم فسارت قدمها على مقربة منه، وباتت تأتي لمنحدره شيئًا فشيئًا، حتى كانت أولى خطواتها على المنحدر، فأنزلقت قدمها من عليـه، وأسقطت من يدها العصاه المشتعلة بالنيران، وقبل أن تكمل وقوعها لداخـل الكهف، لحق بها طـه وأمسك يدها ثم سحبها ثانية خـارج المنحدر، فما لحق

وأوقف ميرين مرة أخرى إلا وركزوا معًا بنظرهم على الحطبة المشتعلة، التي استقرت على وجه الملقى في منتصف المنحدر المائل الذي ينتهي لداخل سراديب الكهف، فأمسك طـه بيد ميرين، وبينما يبتعد هو بهـا أفلتت يدها من قبضته، وجرت على الجثة الملقاه أمامهـا، فما كان مـن طه إلا أن يجري خلفهـا، وما كان أمامه حـلًا إلا طاعتها، حتى ينتهـي سريعًا من وجودها بتلك الأرض، فأمسكـه معها وظل يجره للخارج، حتى وزنوا أنفسهم على المنحدر، وحينما أداروه على ظهره وجد كلاهما ما جعل قلب كلًا منهم في حالة رعب وخوف غريبة لم تمر عليهم من قبل، حيث فوجئوا ب"رشدي العراف" أحد المرازيق الذي يسكن المنزل المجاور لطه الخدام، وتعرفه ميرين جيدًا، فدق قلبها وقلب الخـدام، حينما تصـور كلًا منهما أن تلك فعلة غريبة، التي وقفـت أمامهم منذ قليل، وبينمـا كلًا منهما ينظر للآخر في صمت وعجـب مما لاقوه، سمعت ميرين صوت ذئبًا كان صـدى عواءه يسـري في ظلمات الليل، حتى يسمعه من يكـون على بعد من الأرض الغربيـة، أما الآن فلم تسمع آذان أحدهم نبرات صوته، عن قرب كتلك اللحظات التي أحسوا فيها أنه حولهم، وليس بداخل الكهف فتوقف تفكير ميرين تمامًا، وصارت طوعًا لطـه الذي أخذها من يدها، وجرى بها مغـادرًا الأرض الغربية، وحينما وصلت ميرين لمخـرج أرض الغرب أوقفها هي وطـه سماعهم صدى صوت عال لغراب، لم يكن غريبًا عليهـم أيضًـا سماع صوته في مثـل تلك الأوقات، فنظرت خلفهـا نحو الكهف، فوجدت خيالـه واقفًا في الظلام على التبه، التـي تحوي أسفلها سراديب الكهف الغربي، وظلت عـين طه الخدام عليه، حتى أمسكت ميريـن بيده، فربت على يدها ليُطمئنها وعاد بها إلى حي الغجر، فعادت معه ميرين في صمت، ولم يشغل بالها شيئًا غير تلك التي تركت في جسدهـا نصلًا من نصولهـا التي تحتمي بهم، فسار بها طـه حتى وصل بها لمدخل الحي الغجري، فوجد عادل وأمين يسيرون عائدين لمنزلهم، وألقوا عليه سلامهم الذي لم يرده أحد عليهم.

- عادل: إزيك يا طه عامل أيه.

- أمـين: هههههههههه وإنت فاكـر هيعرف يرد عليك من تاني، سيبك منه إزيك إنتي يا ميرين.

- عادل: بدريسا كانت بتدور عليكي يا ميرين، إنتي كنتي فين صح؟!

فتوقفـت ميرين لثوان ثم أكملت طريقها مع طه، كأنها لم تسمع منهم شيء، ولكن انشغل بالها بأمر عادل وأمين أولئك الذين باتوا يخرجون كل ليلة في تلك الأوقات المتأخرة.

- أمين: بدريسا مش فوق لو عايزاها هي راحت المقبرة بتاعتها، هي زمانها وصلت دلوقتي.

فيتوقـف سير ميرين تمامًا هي وطه، وتتعجـب تمامًا لكلام أمين، حيث عادت هي وطـه الآن من نفس الطريق، ولم يلتقي أيًا منهم معها، فنظرت لغُرفة بدريسا ثم جرت لخارج الحي عائدة لها.

"لا يُخفى عليها أثر"

2008/11/26 5:00 فجرًا

دم الغريبة الذي استباحته بنت الغجر.

كانـت تسير على درب لم تعتـاده قدم أحدًا أكثر منها، ولم يعرف تفاصيله غيرها، فكانـت الوحيـدة التـي تخرج وتدخـل لأي مكان في غُجـار كلها، ولا يـدرك أحدًا كيف ومـن أين تأتي وتذهب، ومن ثم أعادت نفسهـا للمدفن، الذي أحبت ملاقاته أكثر من ملاقاتهـا للأحياء، ولكـن في سيرها وجدت خطوات أقدام واسعـة المدى على الأرض، تُخبرها عن التي كانت تجري عليها، ولا تسير بطبيعتها، فلم تعهد تلك الأرض من قبل خطوات بعيدة المسافة تبوح عن من يجري ليهرب خارجًا من أرض المرازيق أبدًا، حيث لم يدخل أحدًا غُجار، وتمكن أن يخرج منها هاربًا إلا من سبقتهم رحمة ربهم، فتتبعت بدريسا تلك الخطوات التي سارت بها حتى أودعتها عند قطرات دمٍ وجدته على جانب

الطريـق، فتوقفـت عنده ونظرت لآخـر الدرب المـؤدي لنهاية أرضهـم، فثنت ركبتيها وجلسـت لتلمس يدها دمًا مازالت تشعـر بحرارته وسخونته، فشعرت بقلق وخوف على ميريـن، حيث كان تأخرها على غير المعتاد، فقامـت لتسرع بخطواتها حتى تعود وترى أين هي، لكن الأخرى وفرت عليها عناء بحثها عنها، فوجدتها بدريسا آتيه هي بنفسها إليها وحالتها غريبة، وحينما وصلت ميرين أمامها توقفت، حيث كانت تتواجد الغريبة، التـي أودعتها نصلًا مسمومًا في كتفها، فترك آثار دمائه على الأرض، التي باتت بينها وبين بدريسا الآن فصمتت ولم يستطع لسانها أن يُخرج كلمة منها:

- بدريسا: دم مين ده يا ميرين.

"ولم تكمـل حديثهـا حتى جاء طه، الذي كان يتتبـع إثر ميرين، حتى لا يتركها ثانية لحالها".

فتقـع عـين بدريسا عليه وتدري أن ثمة شيئًا غريبًا حـدث لها، فتعيد نظرتها ثانية علـى ميريـن، فتجد في يدهـا آثار لندوب وخدوش كانت لا تتواجد بهـا قبل أن تخرج الليلـة، فأمسكت يدها ونظـرت لباقي ذراعها، فلم تجد أثارًا أخرى غير تلك التي على كـف يدها، وكانت من آثار وقوعهـا على منحدر الكهف، الذي لحقهـا من السقوط به طـه، حيث حينما أمسك يدها غرزت أظافره في ذراعها عن غير عمد، فثارت مخاوف بدريسا حينما تخيلت أن أحدا استطاع أن يمس ابنة قلبها بسوء:

- بدريسا: أيه اللي في دراعك ده؟!
- ميرين: "تنظر لطه ولا تعرف كيف تتكلم وتفكر فيما ستخبر بدريسا".
- بدريسا: الدم اللي على الأرض ده دمك؟
- ميرين: لأ.
- بدريسا: أومال دم مين؟!

"فصمتـت ميريـن وتأملت حالها، الذي تبدل فـور أن رأتها بدريسا ما صار في ذراعهـا، فأخبرتها ميرين بآخـر شيء تتوقع سماعها منه، حيـث لم تكن ميرين تريد أن تُخبرهـا عن الغريبة التي كانت تقف أمامها، وتركت لهم ورائها جثة أحدًا منهم في الأرض الغربية، فأخفت ميرين خبرها عن بدريسا".

- ميرين: روحي الكهف.

"ففوجئـت بدريسا لسمـاع ميرين تأتي لهـا بسيرة الكهف، الـذي حرمت دخوله عليهـم وعلـى أهل الأرض جميعًـا إلا هي فقط، فتغـيرت نبرة صوتهـا وزادت نظرات عيناها حدة".

- بدريسا: إنتي أيه اللي وداكي هناك؟

"فتدخـل طـه حتى يزيـح عن ميرين حمل هـذه المحادثة، وتقـدم نحو بدريسا فأشـار بيـده للخلـف، حيـث يتواجـد أحدهم بين فـك ذئب أرضـ الغـرب، الذين لم يتحمل أحدًا في يوم سماع عوائه".

فسـارت أمامهـم حتى وقفت على مدخـل الأرض الغربية، فسبقـت عيناها دروب ومسالـك الأرض، فلم ترى عينهـا شيئًا غريبًا في باقي مساحتها المظلمة، التي اعتادت زيارتها وعرفتها على ظلماتها جيدًا، فأدركت بدريسا معنى قول ميرين بالكهف، حيث كانـت تقصـد السرداب الملعـون بعينه، وليس الأرضـ كما تصـورت بدريسا، فنظرت لميرين التي هزت رأسها لها لتجيبها، حيث علمت بالسؤال الذي يدور ببالها، فأوقفتهم بدريسـا بأول الأرض، حيث كانت ستأمر طه بأن يعود بميرين للحي، حتى تأمن عليها، لكن بدأ ضوء الشمس الغائم يأتي عليهم شيئًا فشيئًا، فخرجت أشعة بسيطة من خلف السحاب، جعلت الرؤية على ميرين وطه أفضل قليلًا، ثم ذهبت بدريسا لداخل الأرض مسرعـة نحو المنحدر، التي فور ما وصلته سمعت ميرين وطه صوت عواء الذئب، الذي

كان مستحيـلاً عليهـم أن يسمعوه من بعد أذان الفجر، فجـرت ميرين وتبعها طه نحو المنحـدر، الـذي أوضحه قليلًا ضوء النهار، فوجدوا بدريسـا جالسة على ركبتيها أمام رشـدي، الذي يفترش الأرض ممددًا جسده عليهـا، فنظرت بدريسـا لداخل الكهف طويـلاً تراقـب ظلماته، ولا تفهم ميرين من حالها شيئًا هـي أو طه، ثم أنزلت الكحيلة عينهـا ثانية من على الكهف، وأمسكت رقبة رشـدي وتحسست عروقها بيدها، ثم نحو قلبـه فوقفت فجأة أمامـه، ففزعت ميرين وطه، الذي باتـا لا يتحملا حدوث أي شيء غريـب ثانية، بعدما مروا بأسوأ لياليهم منـذ قليل، ثم نظرت بدريسا لميرين ولم تنزل عينها من عليها وتحدثت مع طه:

- بدريسا: طه، روح هات عطية وعزيز قولهم ييجوا أرض الغرب.

"فنظـر لهـا طـه متعجبًا لمـا أخبرته بدريسـا، فهو يعلـم أن المرازيق لم يعرف أحدهـم في يـوم طريقـة لداخل غـرب غُجـار، ولم يجرؤ علـى الاقتراب منهـا في أي وقت، فأنزلت بدريسا عينها من على ميرين ونظرت له وقالت:

- بدريسا: قولهم بدريسا مستنياكم هناك وهاتهم وتعالى.

ففـادر طه تاركًا ميرين مـع بدريسا، وذهب هو لملاقاة عطيـة وعزيز ليرجع بهما لأرض الغرب، أما ميرين فوقفت أمام الكهف مباشـرة لا يفصلها عنه سوى المنحدر، وكانـت نظراتهـا منه لا تنتهي، فظلـت تدور بعينها داخـل ظلماتـه، وبدريسا بجانبها تلمحهـا بعين والعـين الأخرى ترصد لها مـا حولهم، فكانت كلما تـرى بدريسا ميرين وهـي واقفة لا حركة لهـا أمام ذلك المكان الملعون تقلق وتساورها مخاوفها، حيث لمحت بعينهـا نظرة شر أول مـرة تراها في ميرين، فقامت بدريسا مـن أمام رشدي العراف المُغمـى عليـه أرضًا، حيـث أدركت برديسا أنـه لم يمت، وأن نبضه فقـط بات ضعيفًا، وشاركـت ميرين نظرتها للغُراب، الذي يقف يوميًا علـى عتبة عند مدخل الكهف يظل

بهـا منـذ قدوم الشمس حتى غيابها، فقامت وتركت الـذي لم يفارق الحياة بعد، حيث لم يكتـب حتـى الآن لأحد المرازيق أن يموت على يد من يسكنوا قصر العشتار، وبعد أن انتهـت بدريسا مـن العراف قامت لميريـن فوجدتها تسير خارجة مـن الأرض الغربية فـور وصول عطية وعزيز، حيث لم تكن في يوم تميل لهم أو تحب تواجدهم معها بمكان واحـد، فتركتها بدريسا على هواها، حيث لم تضغط يومًا على أحد الغجر، لتعرف منه شـيء، حيث كل ما تريـد الوصول له ومعرفته يتم لها بطريقتها، حيـث ببالها أنها إذا ضغطت على ميرين لن تبلغها حقيقة ما حدث تمامًا، فسكتت عنها لحين تأتي هي لها، وتخبرها من تلقاء نفسها، كما كانت دائمًا بدريسا تجبر من حولها، وظلت تتابعها حتى اختفـت ميرين عنها، ووصل لهـا من أرسلت لهم، وحينمـا رأى طه ميرين وهي تخرج تبعها وتركهم لبدريسا.

كهف الموت.

سار المرازيق في أرض لم يشتاقوا يومًا معرفة ما فيها أو دخولها، فحينما أخبرهم طـه بطلب بدريسا لهم، لم يأتِ في بالهم إلا شبح الموت، حينما تذكروا أنهم سيسيرون لأرضـ مـا دخلهـا أحدًا قبلهـم، وعرف طريـق الخروج منهـا ثانية، ولكـن وجود من سبقتهـم لهـا طمأنهم قليـلًا، حيث لا لأحدًا مـن الغجر كان ليرد علـى بدريسا طلبها أو يُأخـره عنها، فسـار طه وتبعه غجريان عُرفوا بالسوء ممـن حولهم، وأذاقوهم منه رعبًـا وخوفًا كمثل الذي حل بقلوبهـم الآن، فكان طول الطريق لمدخـل الأرض الغربية ليجعل المرازيق يشعرون بما يعرفه الناس عنهم فور ما تأتي سيرتهم، وعند أول المدخل وقـف عطية وعزيز كأنهم يقفون على بداية طريق نهايتهم، لكن تأخيرهم عن بدريسا جعلهم يكملوا سيرهم في تلك الأرض، التي طمأنهم وجود غجريتهم بها:

- عطية: أيه يا بدريسا، أول مرة تدخلي حد فينا أرض الغرب يعني.

- بدريسا: بص وراك.

"فينظر عطية وعزيز ليتفاجئ كلًا منهم برشدي، مُلقى به أرضًا على منحدر الكهف".

- بدريسا: هاته يا عزيز.

"فيقف عزيز متسمرًا أمام منظر الكهف، الذي فيه نهاية لكل من كتب له قدرة الدخول لتلك الأرض".

عطية: أيه اللي عمل في رشدي كده!

- بدريسا: "تنظر له في صمت لا يعرف منه عطية فيه ما يدور ببالها".

- عطيـة: يعني صوت الذئب اللـي كنا سامعينه طول الليل ممكن يكون عشان اللي جوا الكهف طلع و...

"فنظـرت له بدريسـا بعين جعلت صمته يسبق بقيـة كلامه، حتى جعلت عطية يشعـر مـن داخله بخـوف حقيقـي، أوله كان لمـا رآه في عينهـا وثانية لوجـوده في هذا المكان أمام سراديب الموت".

وأمـا عزيز يقترب وقدمه تملأها رعشة الذي يترقب نهايته، حيث يسير الآن على منحـدر إذا سقـط في آخـره لن يخرج منه ثانيـة فتمالك نفسه، وفور مـا رفع العراف وأسنـده على كتفه كان ليس مكتوبًا لهما أن يخرجا من منحدر الكهف أبدًا، حيث سمع الجميـع مـن بأرض غُجار بأكملها صوت الذئب يعوي ثانيـة على غير العادة في النهار، فـكان صـدى صوته هز من وقفـوا أجمعين بالأرضـ الغربية عدا بدريسـا، التي دارت وجهها بهدوء للكهف، وحينما جاءت تنظره ثانية وجدت عزيز ينقلب إثر سماعه لعواء ذئب غُجار، فوقع ومعه رشدي العراف للخلف، وانتهى مصيرهم بتقلب أجسادهم على المنحـدر، الذي اتجه به لنهايتهم تحت أعـين بدريسا، التي ما تغيرت لها عادة، وكانت تراقـب منظرهم بكل هدوء، وعلى وجهها استنكار لذلـك العواء، الذي ما سمعه أحدًا قط في ضوء النهار.

في الطريـق الذي ودعـت فيه روح عشمانة جسدها منذ عشريـن عامًا تواجد أحد الذيـن كانوا بالعشتار، حيث عاد لهذا الدرب ثانية لـيرى أحد الغجر، وهذا الدرب ما كان يسـير فيـه غير الغجـر، وحينما استطاع أحـدًا غيرهم أن يدخلـه، ويسير فيه لم يخـرج منـه ثانية، ففي الليلـة التي تجرأت عشمانـة وسارت بنفسها فيـه وجدها أحد الغجـر وقتلها، ثم نقـل جثمانهـا إلى أول الطريق، حيث ينتهي السكـون الذي ساد في معظـم طرق الغجر إلا المـكان الوحيد، الذي يسير فيه النـاس حيـث يكون بالقرب من مسجـد، وجدت وردة أمامه قديمًا جثمان أمها مُلقى عنده بجانب الطريق، حيث كانت تلك المرة الوحيدة والأخيرة، التي سار فيها من قبل من كانوا يسكنون القصر، أما الآن فيعـود ثانيـة أحدهم للتواجد في هذا المكان المشئوم على أهـل العشتار، فكانت فرصته في ابتعـادة عـن القصر، الذي شتـت ذهن كل من كانـوا به، وجلوسه بمفـرده فرصة أتـت لأحد شياطين المرازيق، ليوسوس له بالذهاب لمقابر العشتـار، ويفتح على أهلها قبورهـم، فصارت تلك الفكـرة تغويه شيئًا فشيئًا، حتى تمكـن شيطان عقله من إلقاء غشـاوة على عينيـه، وجعله لا يرى سبيلًا لمعاودة الكـره للمرازيق، إلا من خلال مدفن أنورين، حيث جعله يفكر جديًا في فتح القبر حتى يتأكد من نهايتها.

رؤى العين وشيطان غُجار.

ومـا يكون لحـازم أن يتواجد بمفرده إلا وأظهـرت رؤى نفسها لـه وآنست وحدته، ولكـن كان وجودهـا تلك المرة على غـير عادتها، فكانت حزينة لما صـار بحال زوجها، الـذي رأته ومعـه شيطان قادمًا لـه من غُجار يسير بـه نحو مقابر العشتـار، ليفتحها على أموات أهل إســراء صديقتها وصديقته، التي تعميها غيبتها هي الأخرى، وجعلتها تتغـير علـى نفسها تمامًا عكس ما كانـت فجاءته -رؤى العين- ولم ينطـق لسانها معه بـأي كلمة، كأنها تُعاقبه بعدم حديثها معه، ففهم هو الغاية من سكوتها عنه تلك المرة،

وكأنهـا تتعهد له بأنها ستعيـد وصال حديثهما معًا، حينما يعود من تلك الغفوة، ويبتعد بنفســه عن شيطان غُجار ويـترك المدافن لحالها، وببدء ميل الكفـة لصالح رؤى على حســاب شيطان غُجار، وبدأ حازم تعود له نفسه الطيبـة، وكانت نظرته لرؤى تُخبرها عـن تحقيق مُرادها وأملهـا، ولكن حينها أتى له شيطان عقله بخبر من داخل سراديب أفكاره، جعل حازم فجأة يتذكر كلام وردة معه، التي أبلغته ذات مرة عن ليلة مُلاقاتها لجثـة أمُها على هـذا الطريق، الذي قصده منـذ قليل وأجلس نفسه فيـه، فيعيد عليه الشيطـان ثانية بقية حديث وردة له بالكامل، وتلـى عليه من جديد المشهد، الذي جمع وردة بـه هـو وإسراء، فتذكر حازم قولها عن ليلة الحادثـة وسماعها لحديث المرازيق، فبـدأ شيطانـه بأول جملـة قالتها وردة له تلـك الليلة، التي أفصحت فيهـا أمام حازم وإســراء وهنـا وليلى، حيث كان فهد هو الغائب الوحيد عن الجلسة، التي تم البوح فيها بكل شيء:

– وردة: أبويـا بعد ما اختفى هو كمان عننـا وسابني مع ستي أنورين، اللي مكنتش قـادرة تسيبك يا إســراء من حضنها ساعتها، أنا بصيـت لمنظر حسين، قولت خلاص أخويا مات، ومقدريتش بنفسي إلا وأنا بجري بره الأوضة، وقولت لستي أنورين تبلغ حد مـن المستشفى، عشان يلحـق حسين اللي كان دمه مابطلش نزيـف لسه، ولقيت نفسي فجـأة بسحب عباءة سودة مـن بتوع أمي، وغطيت نفسي بيهـا ولفيت خمار أسود على راسي زيهم، وجري روحت أرض الغجر.

– حازم: أرض الغجر؟!

– وردة: اه أنا كنت متأكدة ساعتها أن أمي مش هتخرج من القصر بعد ما شافتني، أنا وأخويا هنموت إلا عشان تروحلهم.

– إسراء: وبعدين.

-وردة: وأنـا ماشيـة وقفت عند مدخل أرض المرازيـق، أول ما وصلت ساعتها كان جسمي بيترعش من الخوف، وقلبي ما بطلش دق لحد ما سمعت اتنين من الغجر هناك.

- حازم: أيه.

- إسراء: شافوكي؟!

"تحـول حال الاثنين فجأة بعدما أخبرتهم وردة بسماعها لحديث المرازيق، وفي تلـك اللحظـة دخلت هنا وليلى لغرفـة إسـراء، وكأن لا وجود لهم فباتـت إسراء تلقي بآذانها لحديث وردة، هي وحازم كأن أعينهم عميت عن هنا وليلى"

- إسراء: ما تردي عليا يا وردة شافوكي أو شفتيهم؟

"فتنظـر وردة لهنـا وليلى وتعيد عينها على إسـراء، الذي لم يتبدل حالها منذ سماعها ذلك الخبر من وردة التي أكملت لها".

- وردة: لا يا إسراء محدش من المرزايق شافني ساعتها، أنا بس اللي لمحتهم.

- هنا: المرازيق؟! إنتي شوفتي المرزايق؟

- إسراء: خليكي معايا كانوا شكلهم أيه الغجر اللي شفتيهم دول؟!

- وردة: إسـراء أنـا مـا شفتش وش حد من الغجـر ساعتها، كل اللـي لمحته واحد واقف بيتكلم مع واحة منهم، وكان واقف بضهره كمان وخيالهم بس اللي خلاني أحدد هيئتهم في الضلمة.

- حازم: كنتي فين ساعتها يا وردة.

- وردة: مستخبية ورا شجرة، عشان محدش منهم يحس بيا.

- إسراء: قالوا أيه؟!

- وردة:...

- إسراء: ما تردي عليا يا وردة كانوا بيقولوا أيه.

"لم تعلم وردة حينها أن ما ستقوله أمام إسراء الآن هو السبب الذي سيجعلها تذهـب إلى غُجـار فيما بعـد، وتنتقم من رشدي العـراف أمام الكهـف بتلك الطريقة ثم تتركه لبدريسا كما حدث".

– وردة: كان في عهد واخده عليها وتقريبًا كانت مراته.

– حازم: عهد! عهد أيه؟

– وردة: حلفتلـه أن محدش من المرازيق دخـل القصر ليلتها، عشـان كلهم كانوا مسافريـن، ومحدش في غُجار غيرها هي وعطية اللي شكت إنـه ممكن يكون هو اللي جيه ليلتها فعلًا ودخل هنا.

– حـازم: مش اللي ضرب أخوكي ده ممكن يكون هـو، هو اللي حاول يقتلك برضو بخنجر، بس الضربه خدتيها في إيدك.

– وردة: مشـ عارفـة بسـ لو على كلامها يبقـى فعلًا مفيش غـيره اه، واللي لمحته بيجري ورايا في الجنينة ساعتها، كان واحد متلثم بحاجة سودة وبيعرج وهو بيجري.

– حازم: عطية الأعرج؟! "صار هذا الاسم من حينها لا يفارق بال حازم منذ نطق وردة به".

– إسراء: بس ده كدب؟!

– وردة: نعم كدب أيه يا إسراء؟!

– إسـراء: اللـي سمعتيـه بقولـك ده كـدب، الليلـة دي اللـي دخلت عليـا الأوضة ووشوشتلـي في ودني وخلتني أصحى مرعوبة، كان صوت واحدة، يعني اللي كانت بتكلم الغجري دي، وإنتي سمعتيها كانت بتكدب عليه، وكانت مع عطية هنا في القصر هي كمان!

– حازم: تاني كده؟!

– إسراء: تاني أيه.

- حازم: بتقولي الغجرية اللي فزعتك من النوم، واختفت كانت في الأوضة دي برضو.

"فشهقت ليلى ودق قلبها إثر حديث حازم ونظرت لهنا".

- ليلى: يعني لما حد منهم هجم عليا هنا مكنتش أول مرة يدخلوا الأوضة دي؟!

- إسراء: وبعدين يا وردة؟!

- وردة: بس ما كنتش شايفة حاجة من الاتنين في الضلمة غير خيالهم بس، ولما حسوا أن في حد مستخبي ورا الشجرة، رجعت ببطئ واختفيت من المكان، خرجت وأنا مش عارفة ساعتها مين دول، حتى صوتهم كان مميز كأني أعرفه بس معرفتش، عشان نبرتهم غريبة فهربت من قدامهم.

- حازم: وبعدين.

- وردة: وبعدين قابلت !!!!!!

"توقفت فجأة وردة، ولحقت لسانها قبل أن تُبلغهم بخبر لقائها بفؤاد عم إسراء تلك الليلة، حيث لم ترضَ أن تحدثهم عن مقابلتها معه خارج أرض الغجر، ودخوله بها للحي حتى رأتهم بدريسا وذهاب فؤاد حينها بين منازل المرازيق، التي انتهت به لداخل بيت بدريسا، حتى يُخلي الطريق لوردة، ويجعلها تهرب سالمة خارج أرض غُجار، فعجز لسانها عن التحدث بما فعله فؤاد حينها، حيث كانت وردة لا تأمن لتفكير إسراء ودماغها، التي تبدلت حيث ثارت شكوك وردة، وخافت أن تواجه إسراء بأن عمها دخل بيت بدريسا وقتها بل وعاد لهم ثانية، ففضلت أن تخفي وردة ما بقلبها عنهم".

"فعادت إسراء لوتيرة غرابتها وحديثها ببطئ وبرود، عندما وجهت سؤالها لوردة، التي لم ترتَح بعدما وجدت إسراء تعود بنفسها لهذه الحالة ثانية"

- إسراء: ها قابلتي ميين؟!

- وردة: قابلت أبويا.

"فمالت إسراء برأسها ونظرت لها بغرابة، وهي تبتسم لها وتركتها تكمل باقي الحديـث، حيث شعـرت إسـراء أن وردة بدلت مسار حقيقة كلامهـا، وبدأت تخبرهم بما يمليه عليها خيالها".

– إسراء: أبوكي؟! عم إبراهيم راح أرض الغجر يا وردة؟!

– وردة: يوم زي ده لو كانت أنورين هانم نفسها هتخرج تدور عليكي لو كنتي ضيعتي زي أمي كده، كانت برضو مش هتروح غير للغجر يا إسراء.

– حازم: وبعدين يا وردة.

– وردة: مفيش، مشيت معاه وهو بيرجعني بالعافية للقصر، عشان لقاني جايه من ناحيـة المرازيـق، لكن وإحنا في الطريق لقيت جثة أمـي مرمية على طريق الترعة على جنب، كانت مرميه قدام المكان اللي فيه الجامع الناحية التانية،

فكانـت تلك آخـر جملة أعادها الشيطان على ذهن حـازم، الذي كان يجلس أمام المسجـد نفسـه مباشرة، فنظـر على يمينه حيثمـا رقدت عشمانة لتـودع روحها، فعاد حـازم ثانية مـن الدرب الذي يأتي من ناحية العشتار، الـذي كانت رؤى تأمل في جذبه نحـوه، وتنسيـه فكرة دخوله أرض المدافـن، لكنه أطاع شيطانه بعدمـا أعاد له حديث وردة معـه، وقـام من مكانه وظـل ينظر للطريق، الـذي يلعن كل من يسـير فيه، حتى يجعله راقدًا عليه لا روح به، ثم غادر المكان بأكمله وشيطانه منتصرًا على رؤى، وجعل محاولتها لإبعاد حازم عن فتح المقبرة أشبه بالمستحيل.

بداية الطريق لقبر أنورين.

وبداخـل غرفـة فؤاد عـلام الذي يرقـد بسريره إثـر مرضـه أتى لـه ضيفًا أخذ منـه ميدالية مفاتيحـه لدقائق، وأعادها ثانيـة له كما هي كاملة، وخـرج عائدًا لمكانه بالحديقـة، فجلس فيها وصنع ثلاثـة مفاتيح على يده، وعاد لقرينه الذي سيذهب معه

لمـن عاشت قديمًـا بهذا القصر، وكان رحيلهـا عن حفيدتها وتركها بـين يد الغجر ما يجعلـه يفعـل ذلك الآن، حيث لا يزال يعتقـد هو وإسراء أن يد المرازيـق طالت أنورين هانم بالفعل في آواخر عمرها، حتى انتهت حياتها على يدهم.

حازم: يلا قوم معايا.

فهد: أقوم معاك على فين.

حازم: هنروح المقابر.

فهـد: هنروح إزاي من غير وردة وإسراء، وكمان هنروح أنا وإنت نعمل أيه إذا كان القبر اللي مدفونة فيه أنورين عليه قفل، ومحدش هيعرف يجيب مفتاحه غير إسراء بس.

حازم: قصدك مفتاح من دول.

"فيلقي له حازم بمفاتيح صنعها بيده منذ دقائق".

– فهد: أيه المفاتيح الغريبة دي كلها! جبتها منين؟!

– حازم: كان في غطا علبة سمنة شفتها في المطبخ فأخدته، والمفاتيح كلها في أوضة فـؤاد اللـي في سابع نومه دلوقتي، فحددت المفاتيح اللي علـى حجم القفل هناك، وبس قطعتها من على الغطا بنفس سنينها بعد ما رسمتها عليه.

"فيبتسـم فهـد وينظـر سارحًا فيما ألقـى له حازم، وينظر لـه حيث يعرف ما يدور برأسه جيدًا"

– فهـد: إنـت عارف لوحد من أهـل البيت عرف حاجة زي كـده، أنا وإنت هنروح عالسجن عدل.

– حـازم: كلهـم مشغولـين بإسراء، يلا نلحـق عشان نيجي قبل ما حـد ياخد باله بالذات جواهر.

– فهد: جواهر مش راضية تطلع من دماغك ليه؟!

"فيتذكـر حـازم الليلـة التـي دخل فيهـا أرض الغجـر، وسمع حديثهـا مع بدر الصعيدي وهو بمنزله".

– حـازم: مشـ عـارف، بس يمكن مـن ساعة كلامها مـع بدر وإنهـا سابتني وهي مطمنـة أني هعـرف أرجع ده اللي قلقني أكـتر، فكرة إنها كانـت سابتني عند حد من المرازيق دي غريبة شوية.

– فهـد: هصـدق معاك أنهـا كانت فعلًا عارفـة أنك جوه عند بـدر ده، بس يمكن عشـان عارفة إنه غير بقيـة المرازيق، وحتى بيته مش زي باقـي بيوتهم في الحي نفسه جوه وسطهم.

"فيفكر حازم في كلام فهد، ثم يهز له رأسه مستنكرًا لحديثه".

– حازم: لأ، جواهر دي تعرف حاجة تانية عن المرازيق، أنا حاسس كده.

– فهد: طب هي هنا وليلى فين؟

– حازم: مفيش في دماغهم غير إسراء ورجوعها ليهم الأول.

– فهد: يعني إنت يا حازم مش خايف على إسراء.

"حينمـا أتت سيرة إسراء ثانية أمامـه، وجد نفسه واقفًا بمفرده، وحوله مكان مظلـم لا يتواجـد فيه غير رؤى، التي ظلـت تعاتبه نظراتها وملامحهـا الحزينة، التي لم يرَها على وجهها من قبل حتى في سنين حياتها معه، ثم رآها تبتعد عنه شيئًا فشيئًا ثـم رأت عينـه رؤى، وهي عائدة له ثانية ومُحضِرة أمامه طيـف إسراء، وهي نائمة في سكـون ثابـت لا حركة لها، كأن رؤى تخـبره بأن أي مكروه سيحدثه حـازم لإسراء من خـلال تلك الفعلة التي سيقدم عليها، فإن زوجته لن تسامحه طيلة عمره ثانية، إذا ما حدث لها شيء، ولن تأتيه ثانية أبدًا كما اعتادت".

– حـازم: أنـا عمري ما قلقت عليهـا طول عمري اد ما بقيت قلقـان، من ساعة ما

جابتني هنا خوفت أكتر، لما لقيتها بقت متغيرة علينا وبقت واحدة تانية غير اللي نعرفها.

– فهـد: وأنـا بقولك من قبل ما نمشي من هنا أنورين ماتت موتة طبيعية، وده اللي إسـراء عمرها ما هتقتنـع بيه، غير لما أتأكدلهـا تاني بنفسي، وأخليهـا تشوف بعينها عشان تصدق.

"فيصمت حازم كعادته تاركا لباقي حديثه المجال".

– فهـد: آخـر مرة جيت هنـا زيارة مع إسـراء كانت من سنة تقريبًـا لما كلنا جينا معاها، عشان تبلغ جدتها بنجاحها وتخرجها هي وليلى، اليوم ده لو تفتكر أنورين تعبت أوي، ولمـا كشفـت عليها فضلـت أني أروح بيهـا مستشفى، عشان أتأكـد من اللي كنت شاكك فيه.

– حازم: لما قالت إنها رايحة تجيب هدايا للبنات وخدتك إنت وفؤاد معاها؟!

– فهـد: ايوه وأنـا ساعتها اللي طلبت كده من فؤاد إننـا لازم نروح بيها مستشفى، عشـان عايـز أتأكد من اللي كنـت قلقان منه، ساعتهـا فؤاد بصلها كأنـه مش عارف هيقول لإسراء أيه، بس أنورين حست بأن المرض فعلًا موجود عندها، فمسحت دموعها واتصرفت، فقالت قدام إسراء إنها رايحة تجيبلها هدية نجاح كل سنة، زي ما متعودة تجيب ليها هي ورؤى وليلى وهنا.

– حازم: كانسر؟!

"فيهز فهد رأسه متممًا لكلامه"

– فهـد: ايوه في الرئـة، كانسر رئة لواحدة تمانين سنة، وعندهـا سُكر يبقى الموت رحمة من ربنا.

– حازم: إسراء لازم تعرف.

– فهد: مش هقولها غير لما أخليها تتأكد بعنيها أن موت جدتها ملوش أي صِلة بالغجر.

- حازم: بس عشمانة موتها كان ليه صلة بيهم.

- فهد: وإنت جاي بعد عشرين سنة تفتح في سيرة واحدة ماتت وشبعت موت.

- حازم: بدر الصعيدي!

- فهد: أيه ماله؟!

- حازم: وردة قالتلي أن أُمُها ماتت في طريق الغجر اللي برا، اللي بين المقابر بتاعة المرازيق والترعة، ساعتها لقت هي وإبراهيم جثتها مرمية على جنب في طريق الترعة.

- فهد: طب وأيه المشكلة في كده، ماله بدر الصعيدي دلوقتي؟

- حازم: بيت بدر وأنا خارج منه مشيت في نفس الطريق ده.

- فهد: أيه؟!

- حازم: بدر لو كان ساكن لسه في نفس البيت ده، هيكون عارف حاجة عن حادثة موتها دي.

- فهد: طب ليه ما تقولش أن اللي في بالي صح.

- حازم: يكون يعني هو اللي عمل كده، لا لا أنا لما دخلت أرض الغجر، وكنت بجري ورا واحـد من اللـي كانوا في القصر، هِنا لما سمعت صويت ليلـى واحدة منهم شافتني هناك في وسط أرضهم، وتقريبًا بعد ما جت عليا ووقعتني، جريت على بدر الصعيدي، بعـد ما رمـت على عيني تراب وعمتنـي خالص، وساعتها كممتنـي بحاجة غريبة كده خلتنـي أدوخ شوية، ومعرفتش أركز في أي حاجة، ولما صحيت لقيت نفسي في بيت بدر، وبيحذرني من الغجر والدخول ليهم، وكأنه مش واحد منهم، عشان كان بيكلمني وكأن من جواه بيقولي ياريتك ما وصلت للناس دي ولا شافوك.

- فهد: تعرف طريق ندخل منه لبيت بدر الصعيدي ده من غير ما حد يشوفنا؟!

"فينتبـه له حازم وينقطع حوارهم بصمت ظهر عليهم وتبادلوا نظراتهم، التي

كانـوا يكملوا دائمًا بقيـة كلامهم بها، فابتسم فهد وتبعتـه ابتسامة ظهرت من حازم، الـذي ألقى بعدها بالمفاتيـح، التي صنعها بعيدًا وقام معـه، واختفى الاثنان عن قصر العشتار ومحيطه.

فأتـت له رؤى العـين ثانية، كأن لم يكن شيئًا سيسعدها في هذه اللحظة غير رؤيتها لهـذه المفاتيح، وهي تختفي أثارها حيث ألقى بها حازم وأضاعها، فسعدت رؤى لضياع الـذي كان سيقـود زوجها لداخل المدفن، ويفتح عليه هو وإسـراء ومن بالعشتار جميعًا طريقًـا لن يتمكن أحد منهم أن يصدوا فيه سبيل الغجر عنهم، وبعدها كانت تلك أول مرة يعرف حازم قلبه طعمًا للفرح، حينما عادت له رؤى ثانية، وزالت من وجهها ملامح الآسى والحـزن، بعدما كانت محاولتها لإبعاد الأذى عن زوجها وصديقة عمرها مُكللة بالنجاح، فلا للقبر الآن تهديدًا عليه من اقتحام أحدًا لحرمته، أو نبش ما بداخله حيث نجحت رؤى مع فهد في جعل حازم ينسى السبيل لداخل أرض المدافن.

"عودتها للعشتار"

2008/11/26 6:00 صباحًا

رجوعها من عند الغجر.

بعدمـا خرجت إسراء من أرض المرازيق، نست ما صار بجسدها، وذهبت بنفسها إلى حيثمـا تتوارى أمها -نادية- فجلست أمامها وعيناها كانت لا تنزل من على قبرها الحين والآن الآخر تكون مع أنورين في مرقدها، حيث جلست تعيد على نفسها كل ذكرى مـرت عليها مع أمها، التي عرفتها من بعد فراق ناديـة لها، فجاءت لها ذكرياتها التي جمعتهـا بجدتها وأيامهـا معها، وصارت نادية وأنورين مرافقيهـا وسط الأموات، التي اجتمعت معهم بسراديب خيالها، ومن بعد أتت لها عشمانة أيضًا، التي ما بخلت عليها في يوم بنبع حنانها، حيث كانت تُعامل إسراء مثلها مثل وردة ابنتها، فكان لا فرق تشعر بـه بنت نادية إذا عاملتها عشمانة كابنتها الثانيـة، ومن بعدها تذكرت خوف إبراهيم عليهـا، وحرصـه دائمًا على بعدها عن أرض المرازيـق أو قربها من الدرب المؤدي لهم، فكتمـت إسـراء حزنها داخلها على أهلهـا، الذين راح زمنهم وانتهـت مصائرهم إلى التراب الآن، وجاء لبالها المرازيق، الذين على يديهم انتهى عهد أهل العشتار وانقضى سبيلهم، فقامت ونظرت ناحية أرض غُجار، وأمسكت بالنصل الذي سكن جسدها منذ قليل، وأخفته ثم سارت في طريقها عائدة لعزبة العشتار.

****

إنتي أخبَر الناس بحالها.

وبغرفة إسراء التي تركها أهل القصر لهنا وليلى حتى يقيموا بها، كانت هَنا جالسة علـى كرسي في جانب الغرفة، تعيد علـى نفسها كل ما حدث لها في تلك الأيام، منذ ما رأتـه في شقة شيماء، حتى وصولها لتلك البلد وما سمعته ورأته فيها، حيث مر عليها في

هذا الأسبوع ما لم تراه في حياتها كلها، وليلى تجلس في مكانها بالسرير لا رد فعل لها، لكن تزور عيناها هنا من آن لآخر، ثم تعود ثانية بعقلها لتفكر في إسراء الغائبة عنهم، وقلبهـا يشعرها بنفس ذات الإحساس، الذي أتاها حينما فقدوا رؤى، وما كان منها أن تشـرك هنا هم آخر على همِها، فظلت ساكنة بمكانها تتمنى، أيكون ما بخاطرها حول إسـراء مجرد أوهام؟ ستنتهـي منها مجرد ما تعود صديقة عمرها لهم، ولا مخرج لها مـن تلـك الحالة غير عودة بنت نادية سالمة لها، ولكن من جعلتهـا تنسى تلك السيرة لوقت قليل وخطفتها خارجها هي هنا، التي فوجئت بصوت بكائها وهي جالسة بمكانها في جانب الغرفة فقامت مسرعة لها:

– ليلى: هنا هنا مالك ردي عليا هنا يا حبيبتي في أيه؟!

– هنا: عمي اتصل بيا الصبح وقالي ما أروحش بيتنا هناك خالص الفترة دي.

– ليلى: أيه؟! ليه أيه اللي حصل؟

"فنسـت هنـا أن ليلـى تسألها لماذا يسـأل عمها مصطفى بهـذا وصارت تكمل وتـيرة حديثها، حيث ما صدقـت نفسها أنها ستبدأ بالبوح بما تحملـه داخلها، فبدأت تحكي دون الانتباه لأي شيء حولها"

– هنا: وعمال كل شوية يتأكد مني أني ما روحتش البيت فعلًا ليلتها، بس أنا كدبت عليه وقولتله إني ما رجعتش على البيت الأول وقتها، وسافرت معاكم الأقصر على طول.

– ليلى: يا بنتي واحدة واحدة عليا فهميني بتتكلمي طب عن أيه،

"فتسير هنا على درب الحديث وحدها، وصارت تحكي دون أن تسمع".

– هنا: فعلًا أنا لما كلمته كنت لسه في الطريق اليوم ده، ومعرفتوش أني لسه وصلت البيت.

ليلى: هنا!

– هنا: وكمان افتكرت أن ستي اليوم ده بايته عند عمي رأفت فمكلمتهاش هي كمان.

"فـزاد توتـر هنا عليها، وبدأت تنتفض وسط حديثهـا، وزاد خوف ليلى عليها، الـذي وصـل لحالة رعـب أصابتهـا، بعدما أصابـت ليلى التـي تتحدث أمامهـا كأنها تحكـي وآذانها مُقفلة عليهـا، فنهرتها ليلى حتى تخرجها من تلـك الحالة التي تملكت منها، فمسكت ذراعيهـا وجذبتها ناحيتها، لتسحبها من على كرسيها وأوقفتها أمامها وعلا صوتها على هنا التي لم تتأثر بما يحدث لها".

- ليلى: لا سيبك من شغل الجنان ده وبصيلي.

"لتصمت هنا وتنظر لليلى في تعجب ممزوج بخوف شديد ورعب، وتحدثت لها بصوت مبحوح"

- هنا: شيماء اتقتلت.

"فوقـع الخبر عليها كصاعقة ضربتها، فشلت حركة جسدها، فتركت ليلى هنا مـن يدهـا لتسقط ثانيـة على كرسيها، وظلت تنظـر لها ولا تنزل لهـا عينُا من عليها، وأصبح السكوت مخيما عليهم.

عادت ليلى تسنـد نفسها على السرير، حتى استطاعت أن تُحرك أطرافها المثقلة، لتجلس عليه وهَنا ساكنة في مكانها، كأنها لم تقل شيئًا، وصار هدوئهم لا يقُارنه سكون قبـور العشتـار كلها، كأن هَنا لم تكن قد تحدثت من الأساس الآن إلا لنفسها، ولم تفزع ليلى بذلك الخبر، حيث فور ما أخرجت ما بقلبها لليلى، عادت مُستكينة كعادتها ثانية تتحـدث لنفسها، وليلى ناظـرة إليها بأسى على حالتها بعدمـا أسمعتها هي خبر موت شيمـاء، التي كانت على بعد أيام من حفل زواجها، حيث كانت تحب هَنا وليلى وإسراء ورؤى كثيرًا، ودائمًا ما كانوا يزورونها بشقتها، فأغلقت ليلى منبع الذكريات، الذي كان يسحبها عقلها نحوه، وقامت لهَنا لتسرد عليها باقي الحكاية.

فوجدتهـا جالسة بمكانها وعيناهـا شاردتان خارج النافذة، وكأن ليلى لا وجود لها بجانبها، ولا كأنها كانت تتحدث معها من الأساس.

- ليلى: هنا!!!!!

هنا:... "تظل ساكنة لا رد فعل لها غائبة بعينها لما خارج النافذة".

"فتُقلِل ليلى من نبرة صوتها، وتُمسِك يدها لتطمئنها، وباتت تُربِت عليها حتى أخرجتها من عزلتها، فأزاحت هنا عينها من على النافذة، وأدارت رأسها نحو ليلى، وخرج كلامها بنبرة ضعيفة، بالكاد سمعتها ليلى، حيث ما تكلمت هنا أبدًا من قبل وكان حديثها بهذا الخوف والضعف مثل هذا".

- هنا: أنا كنت بموت اليوم ده.

- ليلى: يا حبيبتي اهدي، براحة يا هنا عليا، عشان أفهم أيه اللي حصل.

- هنا: أنا شفت اللي قتلوها بعنيا.

- ليلى: إنتي لما سبتينا وروحتي البيت الليلة دي طلعتيلها الشقة؟!

- هنا: "تهز لها رأسها مجيبة على كلامها، وظهرت عليها دموعها بكثرة"

"فجذبتها ليلى من يدها، واحتضنتها بشدة كأن الأخرى كانت تنتظر منذ زمن من تفعل معها هذا، حتى يعيد لها الشعور بالأمان الذي غاب عنها منذ الليلة التي فارقت فيها إحدى أعز صديقاتها".

- ليلى: طب اهدي طيب وقوليلي أيه اللي حصلها.

- هنا: بسبب القضية اللي ماسكاها في مكتب المحامي اللي شغالة معاه.

- ليلى: يعني هي كانت لسه ماسكة الزفتة دي وكدبت عليا.

- هنا: حلفتني ساعتها أني ماجيبش سيرة لا ليكي ولا لإسراء.

- ليلى: أيه اللي حصل ليلتها، حد منهم شافك.

- هنا: لأ.

- ليلى: طب وإنتي كنتي طلعتي عندها ليه أساسًا اليوم ده، إنتي قولتلي هتدي الدوا لتيتة وتنزلي على طول.

– هنا: كانت بايته عند عمي رأفت اليوم ده، عشان مراته إنتي عارفة على وش ولادة.

– ليلى: أيه برضو اللي طلعك فوق.

– هنا: سمعت صرختها فجأة.

– ليلى: أيه.

– هنا: كانت اتضربت بسكينة في جنبها، وصويتها سمعته وأنا خلاص نازلة عالسلم.

– ليلى:... "شهقت ليلى ووضعت يدها على فمها من هول تخيلها لما حدث لشيماء".

– هنـا: أنـا قولـت ساعتها يمكن وقعت ولا حاجـة حصلتلها، فقولـت أطلع أشوف مالهـا، وأول ما رجلـي جت عالسلم جسمي كله إتكهـرب، وسمعت صوت رجلين طالعة لفوق السطوح، وهي عماله تنازع من الوجع.

– ليلـى:... "كان مـا تسـرده هنا عليها فـوق ما يتوقعـه عقلها، فأسكتـت لها كل حواسها، وجعلت من آذانها فقط مسمعًا لما يُحكي عليها من هَنا".

– هنـا: وصلت قـدام شقتها لقيـت نور السلم مطفـي، والباب مفتـوح نص فتحة فزقيتـه لقيت الصالة عتمة، مفيش أي نـور كان واضح غير اللي جاي من آخرها بس، كان الأباجورة هادية.

– ليلى: إنتي دخلتيلها وهي مضروبة؟! "كلما زادت أخبار هَنا عن تلك الحادثة كان قلب ليلى لا يتحمل ما تستمعه منها، فيزيد من ضرباته ويزيد معه الخوف".

– هنا: صوتها وأنا واقفة بره كان عاملي رعب، معرفتش أمشي وأسيبها، فا طلعت التليفون وعليت إضاءته ومشيت بيه، لحد ما قربت من الأباجورة فلقيت شيماء مرمية وسايحة في دمها عالأرض، وأول ما وطيت عليها سمعت صوت اتنين نازلين تاني من فوق.

– ليلى: أيه.

– هنا: جريت أستخبى في المطبخ ونسيت كل حاجة جنب شيماء، شنطتي بكل اللي فيها.

– ليلى: والحاجات دي فين دلوقتي؟!

– هنا: اطمني ما أنا لاقيت حازم بعدها جنبي.

– ليلى: حازم؟

– هنـــا: من كرم ربنـــا أن تليفونه كان فاصل لسه، فمعرفش يتصل بيا لما اتأخرت عليه، فطلع يشوفني اتأخرت ليه، فملقنيش في الشقة.

– ليلى: وصلك إزاي.

– هنـــا: بيقولي كانـــت جزمتي من المطرة كلها طينة، فطبعـــت طينة عالسلم، لحد مـــا وصل لعندي، بس ساعتها سألنـــي على حاجة أنا مافهمتهاش وقتها، سأل عن لو في مراية في الصالة؟!

– ليلى: نعم مراية؟!

– هنـــا: اه والله بعد كـــده خلاني أسبقه، أنا عالسلم فنزلـــت خطوتين، وأنا سامعة صوت اللي بيقول للتاني، اجري عليها الحقها.

– ليلى: هاااااا.

– هنـــا: بس بعدها اللـــي جري ورايا ده فجأة وقف عالبـــاب، واستنى شوية وبعدها دخل تاني.

– ليلى: قفله وحازم جوه معاهم.

– هنـــا: أنـــا اتشليت ساعتها والله، أنا لا بقيت قـــادرة أتحرك أكمل نزول ولا قادرة أرجع تاني، فضلت واقفة متنحة عالباب ما بتحركش، لحد ما سمعت صوت كسر مراية جـــوه كده، وبعدها بدقيقة لقيت حازم خارج لي ومعاه الشنطة والتليفون، فسحبني من إيدي وسافرنا بعدها لهِنا.

"كان وســـط حديـــث هنـــا لليلـــى هذا غفلت هَنـــا عن ذكِر مقابلتهـــا هي وحازم لبدريسا بمقابر الغجر".

"فتغيـب ليلـى بعقلها عن هَنا وتتذكر ذات يوم كانوا يحضرون مع "رؤى العين" صديقتهـم وزوجتـه تصوير فيلـم، يخُرجه عبد الرحمـن داوود والـد رؤى قبل وفاته، حيـث كان حـازم حينها موجـود معه ضمن الطاقـم المساعد للإخـراج، وحينها طلب داوود مـن حـازم أن يقـوم هو بتنفيذ مشهـد تطَلب منـه أن يستخـدم إنعكاس صورة في المـرآة، لتبـدو كأنها على حقيقتهـا، فتذكرت ليلى تلك الأيام وظهـرت بسمتها على وجنتيها، بعدما أعادها عقلها لذكرى هذا اليوم، الذي كان لقدرهم فيه أن يتعلم حازم ما أنقذ حياته وحياة هَنا معه ويحفظ اللّه روحِهما.

****

لا سبيل أو وصال لمن يدخل أرض الغجر.

الآن تكـون قـد عادت هي وحسين بعـد أن طالت غيبتهم التـي كانت بسبب بحثهم في هـذا الوقت الحرِج لفؤاد عـن الدواء، الذي كتبه له فهـد، وحينما اطمئنت عليه لم يخطـر على بالها عدم وجود حازم وفهد، اللذان اختفـى أثرهما من بعد عودتها، فكل مـا كان يشغـل حيرتها الآن هي بنـت نادية، التي جعلت الخوف يصـل لقلبها أكثر من المـرة، التي لحقت بحازم وذهبت لـه عند المرازيق، لكن حازم حينهـا كان ضيفًا عند الـذي سيُمكنـه مـن أن يجعله يشق طريق عودته مـن غُجار ثانية، أمـا الآن فإسراء لا تستطيـع أن تُخرجهـا جواهر من بالهـا، حيث كانت السمراء أكثر أهـل القصر دراية بالمرازيـق، لما تسمعه عنهم من حكاوي أهـل البلد، وما رأته أيضًا على يديهم، فأيقنت تمامًا أن بنت أخو فؤاد ما خرجت واختفت عن أعينهم إلا لتذهب لأراضي الغجر، التي تعتقـد أنهم سبب مـوت جدتها، وهذا ما كانت تخشاه جواهـر، وتأكدت الخادمة أكثر مـن ما يـدور ببال إسراء، حينما دخلت عليهم بنت ناديـة بحالها المتغير في الليلة التي صرخـت فيها ليلى، فكان تبدُل حال إسراء وطريقـة حديثها عن المرازيق، هو ما جعل

جواهر متأكدة من قدومها على شيء أخفته عن جميع من بالقصر، ولكن لم تتمكن من إخفائـه عـن خاطر جواهر، التي انشغلت بفؤاد عنهـا، ولم تستطع أن تلحق بها وتترك فـؤاد خلفهـا بين الحياة والموت، ولكن الآن لا سبيل بين يـد الخادمة يصل بها لإسراء، فجلست بالحديقة الخلفية مُنتظرة عودت إسراء، وتأمل من الله أن يسد الطريق بينها وبين الفجر.

الفصل الخامس

الكـاهنــة

"خادمة القصر"

27/11/2008 - 7:00 صباحًا

عودة ذات الخمار.

بداخـل العشتار تجلس وحيدة مـع نفسها، ويتشتت عليهـا تفكيرها من حين لآخر بـين التي ألقت بنفسها للغجر وبين فؤاد، الذي تتردد عليه بغرفته لتطمئن على حالته، بعدما بدأ يسترد وعيه شيئًا فشيئًا، ولم يأتِ بسيرة إلا عن إسراء، التي لم تعد له حتى الآن، فلـم تشفع هلاوس لسان فؤاد، الذي لا ينطق إلا باسم إسراء في رجوعها له حتى الآن، فظلت الخادمة وحدها حتى غاب عنها وعيها، وأخذها من كل ما أحاط بها حتى أنهـا لم تـعِ لحسين الذي لم ينتظر أكثر من هذا، وخـرج من الباب الخلفي حيث بداية الطريـق لغُجار، وذهب مفتشًا عن التي لا أثـر لها، فظلت جواهر في غيبتها تلك لوهلة لم يخرجها منها غير دخول ذات الخمار عليها، فتوقف قلب جواهر عن نبضاته وعميت عيناهـا عـن كل نور حولها، ولم تعد ترى غير صاحبة الدماء وهي آتيه من عند الغجر، فقامـت في فـزع ورعب لم يعرفه قلبهـا من قبل، كأن التي مسها الغجـر بسوء هي أعز ما ملكت:

- جواهـر: إسراء! (لم تـدرك حينها قول أي شيء لها أو سؤالها أين كانت أو ماذا حل بها).

"فخلعـت إسـراء الخمار من علـى وجهها، ووقفت أمامها تسنـد نفسها في ألم شديـد زاد من أوجـاع جسدها المصـاب، الذي صار يلقـي بعرقه ومائـه على جبينها من شدة إعياؤها".

- إسـراء: اه إسراء، إسراء اللي اتقتل لهـا أمها زمان، يوم ما ولدتها ويوم ما ربنا عوضها بأم تانية خدوها منها هي كمان، عارفة ليه؟! عشان المرازيق محبوش يسيبوها

في حالهـا، استكـتروا على طفلـة لسه مولودة إنهـا تشوف أمها، ويوم مـا ربنا عوضها بواحدة غيرها قاموا خلصوا عليها.

- جواهر: إسراء اللي في كتفك ده لازم يتلحق تعالي قبل ما يكون في حاجة تاني بجسمك.

- إسراء: عارفة أنا طلعت بره القصر إزاي.

"فتنظر لها جواهر في حيرة وألم بداخلها لحالتها التي تراها عليها، وفي نفس الوقت لن تتركها إسراء حتى تلحقها، وتخرج ما قد بدأ يسري بجسدها"

- إســراء: زمــان كان في واحدة اسمها ميريــن كانت بتيجي تاخـدني بره القصر وأقعد ألعب معاها.

- جواهــر: لم يفجـؤ الخادمة بما تقوله إسراء حيث تعـرف أصل كل شيء تتحدث عنه بنت نادية.

- إسراء: كانت ميرين دي بتيجي ودايمًا تلاقي باب القصر مقفول، بس طالما هي بنت الغجر فمفيش حاجة بتقف قدامها فكان الباب بيتفتح معاها في لحظة.

"فتتعجـب جواهــر من حديثها وتبدأ تلميحات إســراء تظهر على وجه الخادمة بعلامات استغراب"

- إسراء: الباب اتفتح إزاي على ليلى وهي مغمى عليها يا جواهر؟!

"فصمتـت جواهر وتغيرت نظراتهـا المشفقة لإسراء، حيـث أدركت خبر حديثها وتذكرت ما فعلته يوم صراخ ليلى، حينما هجم عليها اثنين من المرازيق بغرفة إسراء، وبعدمـا حاول فهـد كسر الباب لدخولهم لها أتت جواهر وبكل سهولة فتحت الباب كما كانت ميرين تفعل من قبل أمام إسراء".

- جواهــر: إســراء تعــالي عشان خاطـري بلاش تعانـدي، لو كنتـي عندهم فعلًا سيبيني ألحقك.

"فتضع إسراء يدها على كتفها وتعيدها أمام عينها، فتبتسم لما تراه بكفها حيث لا يـزال الدم عليه حرارة مرتفعـة كحرارة جسدها الملتهب، ولا يـزال جرحها لا يكتم دماؤه بعد، فأكملت حديثها بكل هدوء وغرابه، كأن لا شيء بها ولا إعياء يظهر عليها".

– إسراء: اللي عورتني كده وسابتني للموت هي البنت اللي لسه بحكيلك عنها.

"فتغـيرت ملامـح جواهر في لحظة، ونظرت لها كأنها لا تصدق ما تخبرها به، فعلا صوت جواهر فجأة عليها، لما بدأت تراه من ضعف ورعشة تهز جسدها كله".

– جواهر: إسرااااااء سيبك من الجنان ده وتعالي!

"فأخرجـت إسـراء مسدس فؤاد من جانبهـا وأظهرته في وجه جواهر، وأكملت حديثها معها ويدها تهتز في هزل وضعف، حيث ذهبت قواها مع سيلان دمها".

– إســراء: وإنتي بتفتحي الباب على ليلى رجعتي قدامي إسراء الصغيرة من تاني، خلتيني أشوف ميرين زمان وهي بتفتحلي باب القصر بنفس الطريقة اللي دخلتي بيها الأوضة على ليلى.

"فتقف جواهر أمامها لا حيلة في يديها تجاه ما تفعله إسراء غير ظهور ملامح ندم وضيق على وجهها لما باتت تفعله بنت نادية"

– إسراء: عايزة تلحقيني من أيه يا جواهر ها؟!

– جواهـر: "لا رد منها ولا حديث غـير فقط علامات ندم وحزن على إسراء، التي تعُاندها على حساب روحها، التي ستودعها عما قليل إذ لم تلحقها جواهر"

– إسراء: عايزة تتأكدي أني كنت عند الغجر بس، ولا دخلتهم ورايا الأرض الغريبة كمان؟!

– جواهـر: أيييييه! إنتـي دخلتي عند الكهف! (في ذلة لسـان ذكرت جواهر اسم المـكان الذي حُرِم عليهم جميعًا فذِكرها لكهف غُجار الذي تواجدت إسراء بين ظلماته ليلا كان خوفًا عليها).

"وفي عجـب شديـد حـل على الخادمة إثـر سماعها لأخبار تلـك الليلة، تأكدت إســراء مـن حقيقة الغجرية، وما كانـت عليه من قبل مجيئها لعزبـة العشتار، فدفعت جواهر ثمن تسُرعها بذكر الكهف".

– إسراء: أنا قولت أرض الغرب بس، عرفتي أن فيها كهف منين؟!

– جواهـر: (فصمتـت جواهر حيث كان سرعة رد فعلها بعـد سماعها سيرة أرض الموت كان لشدة خوفها على إسراء، لذهابها لتلك الأرض التي كانت ستدفع روحها ثمنًا لدخولهـا، فبدأ الضعف يصل من جسد إســراء لقلبها، وانكسرت شوكتها التي ظهرت بهـا منذ عودتها للقصر، فاكملـت حديثها وكان بكاؤها غالبًـا عليها بعدما أيقنت من أصل جواهر، وربطت بين وجودها وموت جدتها أنورين".

– إسراء: ليييه! ليه أنورين يا جواهر؟! دي الحاجة الوحيدة اللي كان بيطمني وجودها.

– جواهـر: تعـالي عشان خاطرها طـب وأنا هحكيلك كل حاجـة بس وريني كتفك فيه أيه الأول.

– إسراء: خايفة عليا؟! المرازيق ما بيخافوش على غيرهم ولا حتى على نفسهم.

– جواهـر: (بدأت ملامحها تتغير مـع عناد إسراء ومع بدايـة حديثها عن الغجر فأظهرت لها وجهًا لم يختلف كثيرًا عن التي شهدته إسراء من وجوه المرازيق بغُجار)

– إسراء: شوفتي ما استحملتيش كلمة عليهم إزاي اهو، ووشك فجأة اتقلب؟!

– جواهر: وإنتي مش هتعودي تتحملي أي حاجة تاني تحصلك أو تيجي عليكي.

"فتتحدث لها إسراء بضحكة استنكار أظهرتها قبل كلامها".

– إســراء: اللي خلاني أتحمل موت أمي مرتين –تقصد نادية ومن بعدها أنورين– قادر يخليني أعيش لحد ما أعرف مين فيكم اللي في إيده دمهم.

– جواهر: دمهم محدش من الغجر عرفله طريق قبل كده، وإذا كان قتلي هيريحك وفاكرة أنك بكده هتصفي حساب اللي راحوا تبقي غلطانة.

– إســراء: لــو كان في كلام قبل كده سمعته عن الغجــر وما صدقتوش، هيبقى اللي كنت بسمعه بس عن ميرين.

– جواهر: ميرين! ميرين اللي مسيحة دمك، ميرين اللي كل سلاح ونصل بدريسا بتشيله معاها بيكون فيه سم من كل شكل ولون، ميرين بنت المرازيق بتصدقي عليها كده؟!

– إســراء: ميريــن مكنتش شايفة وشــي ولا تعرفني، وأنا اللــي شوطت التراب في عنيها الأول، عشان كنت عايزة أختفي من قدامها من غير ما أؤذيها.

"زادت إسراء بتلك الكلمات حيرة جواهر، وتعجبت أكثر لحالها الذي لم يُكتب له تفسير".

– جواهر: يعني إنتي عايزة تموتي على إيديها.

– إسراء: مش هتفرق مين هيموت على إيد مين، طالما اللي قتلوا أمي وستي هيموتوا.

"بتلك الكلمات تعود جواهر لسابق عهدها مع إسراء، وتحدثها بلطف حتى يلين قلبها وتهدأ ثورتها، لتتمكن من إخراج سم بنت المالكية من جسدها".

– جواهــر: والله العظيــم كل اللي عايزة تعرفيه عنهــم هقولهولك بس تعالي، سم المالكية عامل زي الكهف اللي شفتيه اللي بيوصله بيموت.

– إسراء: مين المالكية دول؟!

– جواهــر: دول كانــوا أهلي يا إسراء، أنا مش مــن المرازيق زي ما إنتي فاكرة كلنا اه غجــر بــس عالأقل المرازيق بــكل اللي تعرفيه عنهم دول ما يجوشــ حاجة جنب زين المالكي واللي معاه.

– إسراء: هما اللي قتلوا أمي؟!

– جواهر: لا محدش مننا قرب لا من أمك ولا من ست أنورين.

"فنظرت لها إسراء وضحكت على حديثها ثم أمسكت بالمسدس وعمرته ووجهته نحو جواهر".

إســـرا

- إســراء: المرزايق أو المالكية زي ما بتقولي، فمحدش منهم رجله بتوصل لمكان إلا ومات حد فيه.

- جواهر: إسراء!

- إســراء: كلامــك عن الغجر كأنك منهــم ومرواحك ورا حــازم أرضكم وتسيبيه عندهــم وترجعــي بعد كل ده، وعايزة تفهميني أن موت ستــي ملكيش يد فيه! عارفة أنا كان نفسي أسيبك هناك جنب اللي اترمى قدام الكهف، بس نصيبك بقى أنك تنتهي هنا.

فتوقف عقل جواهر ثانية وأتت بالمرازيق كلهم في خيالها، فلم تتصور أن منهم من تستطع إسراء أن تتمكن منه، وما أعادها من تصوراتها هي نظرة إسراء لها وهي تعمر سلاح فؤاد لتطلقه عليها.

فتركــت إسراء يدها من على الزنــاد، الذي أخرج رصاصته نحو جواهر واستقرت حيث ما كُتب لها".

وفي غرفته كانت بنت أخيه لا تغيب عن وعيه ولو للحظات، فمنذ رجوعه من غيبته التــي حلت عليه بعد ما علم من جواهــر أن بنت أخيه سرقت سلاحه وذهبت به لأرض الغجــر، لم يتحمــل منها سماع أكثر من ذلك، وذهب لعــالم آخر لا يسمع فيه سوءًا عن إسراء، وبمرور الوقت بدأت تغيب عنه غفوته حتى صار يدرك ما حوله، لكن ظل جسده هامــدًا غير قادر على الحركة، بينما كان فؤاد جالسًا بسريره سمع على فجأة جواهر، التــي علا صوتها عليها وهي تقول: "إسراء سيبك مــن الجنان ده وتعالي" فعادت إليه روحه ثانية مع اضطراب عقله وقلبه في آن واحد، فبسماعه لجواهر وهي تحدث إسراء اطمئــن قلبه بعض الشيء لثــوانٍ، وفور إدراكه لكلام الخادمــة التي حذرت إسراء من جنونهــا الــذي أظهرته لكل من كان يعيش معها بالقصــر، صار فؤاد يسمع فقط صوت جواهــر العالي حيــث كان وحده من تواجد مــع إسراء وجواهــر في العشتار، حيث قبل

مغـادرة فهـد وحازم لمنزل بدر الصعيدي، جعلوا ليلى وهنـا يغيبوا أيضًا عن غرفتهم، ويذهبوا بعيدًا لخارج القصر حتى لا يحدُث لهم أمرًا من جانب الغجر، فلم يكن أحدا معهـم بالقصـر، أما وردة فكانت على حالها منذ غيبة إسـراء فغابت هي الأخرى، ولا يعـرف لسبيلها وصال حتى الآن، وحينمـا عاد حسين وجواهر من الخارج بأدوية فؤاد، لم يستطع أن يجلس في القصر وهو يعلم أن إسراء لا تزال خارجة فقادته أقدامه بعيدًا عـن العشتار حتى يبحث عنها، وهُنا كان القصر خاليًا على الخادمة، وصاحبة الخمار التـي كانـت به تتشبه بالغجر ومعهم عمها، الذي أدركهم بعد عذاب حيث كان مُثقلا لا يتحرك إلا بصعوبة، فبدأ حديثهم يصل له مع بداية اقترابه منهم، فسمع كلام جواهر عن المالكية وسم ميرين ابنتهم، الذي بدأ يسير بعروق بنت أخيه فكاد يسقط ثانية إثر صعوبـة سماعه لهذا الخبر، فأكمـل طريقة وهو يسند على الحائط، وحينما وصل لهم كان سمـع من جواهر اعترافهـا لإسراء بأنها من المالكية ففوجـئ من حديث جواهر، وأخبارها التي ترسلها على إسراء وحينما انتهى سيرهُ إليهم ووصل أمامهم كانت آخر كلمات تقولها بنت أخيه في حضوره معهم واقفًا بينهم:

- إســراء: كلامـك عن الغجر كأنك منهـم ومرواحك ورا حـازم أرضكم وتسيبيه عندهـم وترجعي بعـد كل ده، وعايزة تفهميني أن موت ستـي مالكيش يد فيه؟! عارفة كان نفسي أسيبك هناك جنب اللي اترمى قدام الكهف بس نصيبك تنتهي هنا (حيث كانت تلك آخر كلمة سبقت الرُصاصة).

****

ذكرى خوف الثامن من يناير.

بعـد انتهـاء طريقهما لمنزل الصعيـدي، وصلت وردة قبل أن يفكـر حازم وفهد في الأساس للمجئ لُهنا، فـكان وصولها مباشرة جاء بعد مغـادرة بدريسا طريق المقابر،

بعد أن كانت رأت دم غريب على جانب الطريق، وذهابها للأرض الغربية كمان سألتها ميريـن، فكان وصول وردة لهذا المكان سببًا في تكرار خوف ليلة الثامن من يناير عليها ثانيـة، حيـث آخر مرة وصلـت هُنا وجدت جثـة أمِها مُلقـاه بجانب الشـارع، أما الآن فحينما جاءت لمنزل بدر الصعيدي دفعها قدرها لرؤية آثار دم على الطريق، فخرجت روحهـا مـن جسدها حينما أتـى على بالها خاطـر أن يكون هذا الـدم لإسراء، فكانت رحمـة ربهـا عليها أن تكون هذه السـيرة هي مجرد أفكار في رأسهـا، حيث لم تكن قد تأكـدت أنـه لإسراء فعلًا، فتوقفت أمامه قليلًا وهي تحـاول إبعاد أي وساوس تدفع بها لداخـل غُجار أكثر من ذلـك، فانحنيت بقدمها ثانية واقتربت أكثر من الدماء، التي لا تعلم لها صاحب، ثم أدارت عينها ثانية لداخل أرض الغجر فلم تأتِ رؤياها غير بطريق طويـل أكثرته المقابـر، وبينما كانت جالسـة سمعت صوت عواء الذئـب، الذي اعتادوا عليـه جميع من بالبلـدة، لكن كان خوفها الآن هو سماعها له مـن بعد شروق الشمس، فـلا لغُجـار صوتًا يسمعه أحدًا بالنهار، حيث ما لأولئك غـير الليل، الذين يبوحون فيه بأسرارهـم، فقامـت وبدأت تسير بظهرهـا للخلف، وعيناها تتردد بـين مكان الدماء ومدخـل الطريق للأرض الغجريـة، فصارت تمشي حتى لمحت من هم قادمون نحوها، فأخفت نفسها عن الأنظار.

وعلـى ذكِر من سكنوا بالعشتار خـرج اثنان من القصر، وبدأوا طريقهم نحو أولى منازل أرض غُجار:

- فهد: حازم إنت متأكد إننا هنطلع بحاجة من اللي إحنا رايحينله ده؟

- حازم: هكدب عليك لو قولتلك أن في حد من المرزايق بعد اللي شفناه نقدر نأمن له ونصدقه، بس برضو ده الوحيد اللي قدامنا ممكن نستفيد منه بحاجة.

- فهد: وإنت فاكر إنه هيرضى يقول حاجة عنهم!

– حازم: كلامه مع جواهر وقع منه حاجات كتير، ممكن يتكلم.

"فوصـل كلاهمـا أمام بداية الطريق، الذي ينتهي لداخـل غُجار، فأشار حازم لفهـد على منـزل الصعيدي الموجـود بأول الـدرب، فتوقف سير حازم فجـأة وأمسك فهد من يده".

– حازم: أنا داخل له لوحدي.

– فهد: حازم!

– حـازم: مفيش حازم، إنت فاهم كويـس إحنا داخلين أرض مين، ومش هينفع أنا وإنت نبقى متجمعين في مكان واحد طول ما إحنا جوا.

– فهد: وبعدين.

– حـازم: تعالى معايـا هنلف من ورا البيت تستناني، ولـو حصلي أي حاجة خش، محدش بيبقى موجود في البيت غيره.

– فهـد: (ينظـر فهد له في تعجـب واستغراب لمـا يطُلبه منه، ولكنـه أطاعه حيث كان يسبقـه حازم من قبل بالدخول لهـذه الأرض ومعرفة أحوالها) طيب زي ما تحب، هنمشي منين.

– حازم: تعالى معايا من هن...

"أتت عيناه على ما لم تشتهيه نفسه يومًا، فكانت دماء ذات الخمار هذا اليوم محـلًا لجميع من مروا بهذا الطريق، فتوقف حـازم وتلجلج لسانه عن الحديث، وتبعه الطبيـب الذي جرى على الفور نحو الدماء، فلمسها بيده ونظر لحازم ولم يتمنى أحدًا منهـم أن يكون ما يجمع تفكيرهم معًا له أساس مـن الصِحة، فقام فهد وبعثر التراب حول آثار الدماء وحازم يتبعه سكوته حيث كان ببال الاثنين أنه إذا وقعت عيناهم على تلك القطرات تمنوا أن لا يكون سبقتهم عين أحدًا لها قبلهم".

– حازم: فهد!

– فهـد: لا لا ده تقريبـا حد متعـور (يعرف عن ماذا يسأل حـازم فأجابه وهو غير مطمئن هو الآخر).

– حـازم: (يعيـد نظرته له في خفوت حيـث لم يهدأ باله أو سكينتـه من بعد رؤيته لتلك الدماء).

– فهد: لو حد اتقتل مش هتبقى كمية بسيطة زي دي، أدخل إنت لبدر وأنا هحصلك.

– حـازم: لـف من ناحية المقابـر ورا هتلاقي البيت فيه شبـاك صغير هتسمع منه كل حاجة.

– فهد: طيب خش وخلي بالك من نفسك.

فـترك فهـد حازم يدخل وحده لمنـزل الصعيدي وخرج هو الآخر مـن غُجار كلها، حيث كان فهد وهو في طريقة لهُنا مع حازم لمحت عيناه آثار لقطرات دماء على الطريق خارج غُجار، فعاد ثانية من حيث أتوا وبدء الدرب من أوله، فسار يتبع قطرات دم ذات الخمار المتُفرقة على مسافات مختلفة على الطريق، فتبعها هو لا يعلم هوية صاحبتها، حتـى سـارت به تلك الآثار وفجـأة أوصلته إلى مكان قريب من أرضـ مدافن العشتار، وكان آخـر أثر لمحه على بُعد من غُجار ومقابر أهـل إسراء ومن بعدها اختفى أثر تلك الدمـاء، حيث بمجرد اقتراب إسراء من العزبة أخفـت آثار دمائها ورائها وهي تسير، فتوقـف سير فهد بزوال الدماء التـي أعادته للقرب من عزبة العشتـار ومقابر أهلها، فدخـل فهـد المقابر فلم يجـد أحدًا بها فعـاد ثانية لأرض الغجر، حتـى لا يترك حازم وحيدًا بينهم.

****

عن المرازيق.

أخرجـت وردة نفسهـا من أرضـ غُجار حتى تعـود ثانية للقصـر، فكانت وهي في طريقهـا للعشتـار تائهة في تلك الدمـاء، التي رأتها عند الغجـر، فأكملت سيرها وهي بذهنهـا أنها ذاهبة للقصـر، حتى تبُلغ فؤاد عما رأته منذ قليـل، حيث وإن كان هناك أحـدًا بالقصر يمكنه فعل شيء سوف يكون عم إسراء، الذي دخل بيت بدريسا قديمًا، وسـار بـين دروب الحي الغجري، ورسم لـوردة طريق خروجها مـن عندهم تلك الليلة المشئومـة عليها وعلى من بالعشتار جميعًا. فوصلت للبـاب الخلفي للقصر حيث كانت واقفة إسراء خلفه وأمامها جواهر، فتوقفت وردة خلف سور القصر، لتريح قلبها الذي اطمن بعض الشيء حينما سمعت صوت إسراء، لكن تلك اللحظات المُطمئنة لم تدُم طويلًا.

فكان ما تتلوه إسراء على جواهر من تهديدات وحديث عن الغجر قد جعل الخادمة تبوح لها بسرًا لم تأتِ بسيرته أمام أحد من قبل، ولكن جواهر حينها لم تكن تُلقيه على مسامع إسراء وحدها، حيث ثبتت وردة مكانها بالخارج مُختبأة، وتابعت حوار الغجرية مع بنت نادية حتى سمعت آخر شيء توقعت أن يكون أحد داخل دروب العشتار على صلة به:

– إســراء: مـين المالكية دول؟! (حيث وصلت وردة قبـل أن تُطلق إسراء رصاصتها وسمعت جواهر).

– جواهـر: دول كانـوا أهلي يا إسراء، أنا مش مـن المرازيق زي ما إنتي فاكرة كلنا اه غجـر بـس عالأقل المرازيق بـكل اللي تعرفيه عنهم دول ما يجوشـ حاجة جنب زين المالكي واللي معاه.

– إسراء: هما اللي قتلوا أمي.

– جواهر: لا محدش مننا قرب لا من أمك ولا من ست أنورين.

وفـور مـا سمعت آذان وردة ثانية عن المالكية تمنت مـن الله أن ينُهي حياتها، التي

تحولت عليها بكابوس حيث ما سمعت وردة لكلمة جواهر بأن المالكية هم أهلها إلا وكأن روحهـا ودعتها، فلم يستطـع عقلها أن يجعل آذانها تستمـع لباقي الحديث، حيث أخذ روحهـا منها وعاد بهـا لليلة الثامن من ينايـر، حينما كانت تقف خـارج غرُفة أنورين مستمعـة لحديث أمها مع الجدة، التي أجبرت عشمانة على البوح لها بأخبار المرازيق، بعدمـا وجدت إسراء متعلقة بميرين ابنتهم كثيرًا، فكان ذلك دافع الجدة وعشمانة في نفـس الوقت حتى يحُافظا علـى إسراء، ففتحت عشمانة قلبهـا لأنورين وأخبرتها بكل شيء عن المرازيق، وأن أصلهم من "المالكية" فجاء عقل وردة بتفاصيل تلك الليلة كلها، وذلك الحوار الذي دار في وقت قليل قبل عثورهم على جثمانها وهي مقتوله، فكانت أول ما تذكرته وردة من حديث أمها مع أنورين الذي دار معظمه عن المالكية هو:

– أنوريـن: عشمانة، إسراء دلوقتي بقت أغلى حاجة في حياتي بعد ما نادية ماتت، عشـان خاطري عرفيني إنتي ليه بتخافي من المرازيـق، وأيه اللي تعرفيه عنهم خلاكي تحذرينـي منهـم أوي كده، خوفـك ده قلقني وقلـق إبراهيم كمان ومحدش فينا حب يضغـط عليكي عشـان تتكلمي، لكن دي إسراء يا عشمانة أنـا إمبارح شدتها من قدام البنت اللي اسمها ميرين دي ودخلتها بالعافية، أنا خايفة لا في مرة إسراء تروح معاها لأرض الغجر.

– عشمانـة: حاضر ياست هـانم حاضر، المرازيق دول طينـة تانية دول الشياطين اللي عمري ما شفت حد زيهم، بدريسا دي هي واللي معاها كانوا سبب كل حاجة غريبة تحصـل هنا في البلد، من يـوم قتل عم عواد وخطف أطفال البلـد يوم ولادتهم، ولحد مـوت أمي –الله يرحمها– وسحرهم ودجلهم اللي بقوا معروفين بيه وكمان !!!!!!!!!... في حـد هنا أعرفه علـى صله بيهم وبيروحلهم في الجهة الغربيـة كل شوية، ولما عرفوا هددوني بوردة وحسين ولادي.

- أنورين: أيه! حد مين؟

- عشمانة: فؤاد بيه يا ستي.

- أنورين: فؤاد! يا نهار أسود!

- عشمانة: أيوه فؤاد، أنا شوفته كذا مرة وهو جاي من ناحية أرض الغجر، وكمان قبـل موت أمي كل شوية كنـت بحس كأنها بتقولي ما تجيشـ تزوريني، وابعدي عن أي مكان قريب من المالكية.

- أنورين: المالكية؟!

- عشمانـة: لمـا الأرضـ اللي ورا المقابر دي جيـه وسكن فيها الغجـر أمي ساعتها قالتلي لولا أن اللي راحوا ناحيتكم دول مرازيقهم أنا ما كنتش سيبتك يوم واحد تقعدي في القصر ده تاني

- أنورين: مرازيقهم، مرازيق مين؟!

عشمانـة: تقصد مرازيـق المالكية يعني، أصـل بقى يتقال عليهـم المرازيق عشان رزقهـم ما كانشـ بيجيلهم غير من ورا "زيـن المالكي" وخدمتهم ليـه، عشان كده من وقتها بقوا معروفين بالمرازيق.

- أنورين: إزاي يا عشمانة، قصدك أيه؟!

- عشمانـة: المالكيـة دول هما الملاعـين بجد، مش اللي موجوديـن في الأرض اللي جنبنـا زي ما الناس شايفين لا، رغم اللي المرازيق فيه وبيعملوه في الناس، فمفيش حد فيهم زي المالكية.

- أنورين: أيه المالكية دول وليه جابوا المرازيق هنا؟!

عشمانـة: كان في الأول أي حاجة بيعملها حد مـن المالكية سواء سِحر أو قتل أو أي حاجـة تخطر عالبال كان المرازيـق هما اللي بينفذوها، ولما خلاصـ المالكية بطلوا كل

حاجة جابـوا المرازيق للأرض دي وحرموهم يخرجوا منهـا قط، عشان محدش فيهم يتعرف ولا يتكشف منهم سر للناس.

- أنورين: عشان كده بتقولي آخر عشرة أيام من كل سنة نمشي من هنا وننزل مصر.

- عشمانـة: زين كان خلاص ربـى جوا المرازيق القتل والـدم وعشان كده سابلهم مـن كل سنة عشرة أيام يخرجوا فيها بره غُجار يعملوا ما بدالهم، واللي كانت بتنفذله العهد ده بدريسا.

- أنورين: المالكية هما اللي قتلوا أمك يا عشمانة صح...

لم تكمل أنورين كلامها إلا وحل صريخ إسراء على كلًا من بالقصر، فهبت عشمانة مسرعـة لتفتح الباب وتجري لغرفة إسراء، فوجدت أمامهـا مباشرة فؤاد علام واقفًا ببـاب أنورين، فخرجت روحها منها فور رؤيتهـا له كأن الدم بدأ يغادر جسدها ببطئ، ولم ينجيهـا من تلك النظـرات غير صراخ إسراء، الذي سحبها مـن أمام فؤاد، الذي ظل يراقبها بعينه حتى دخلت لإسراء فأعاد نظرته لأنورين التي شاركت عشمانة نفس شعورهـا بالخـوف والقلق، خاصة وبعد مـا سمعته عنه من عشمانـة، فأنزل عينه من عليهـا واتجه نحـو غرفة إسراء، لكنها حاولـت تسند نفسها لتقوم مـن على سريرها، فكانت على وشك السقوط فعاد لها وأسندها حتى جلست على كرسيها، وقادها لغرفة إسـراء في صمـت ولم يتحدث لها بـأي شيء، حيث كان حديث عينـاه لها ولعشمانة في هذا الوقت كافيًا.

- إسرااااااء استني.

كان ارتفـاع صوت فؤاد فجأة هو ما أخرج وردة مـن نوبة ذكريات عقلها، وأعادها حيـث ما كانت، فأخذت ثوان لتدرك ماذا يحدث وأين تتواجد، فنظرت حولها ووجدت نفسها جالسة خارج سور القصر، وآخر ما كانت تفعله هو سماعها صوت إسراء، ومن

بعدها حديث جواهر عن المالكية، فقامت وقلبها يدق بعد سماع صوت فؤاد وهو يصرخ لإسراء، وتلت الصرخة سماعها صوت خفيف لرصاصة خرجت من يد إسراء، فشهقت وردة من ما سمعته حيث لم تفهم ماذا يحدث داخل سور العشتار.

"وعد بنت المالكية"

2008/11/27 7:30 صباحًا

غيبتها التي لن تفارقها.

خرجت إحدى رصاصات سلاح فؤاد بن علام من يد إسراء إلى حيث ما كان مُقدرا لها، ولكن لم تكن للغجرية نصيبًا من تلك الرصاصة، التي خرجت تشق مسارها تحت أعـين إسـراء وجواهر، التي ظلت مكانهـا واقفة في هدوء لم يُحرك لهـا ساكنًا، وفؤاد الـذي خرجت روحه مـن قلبه مع خروج تلك الرصاصة، حيـث كان قد وصل أمام ابنة أخيـه في نهايـة المطاف، حيث فات آوان أن يمنع يدها من الإطلاق، ولم يكن بيده شيء بكـون إسراء هي من تركـت يدها من على الزناد لتُطلق العنـان لرصاصة خرجت من سلاح عمها، وسكنت فوق مستوى رأس جواهر بقليل، بعدما رفعت إسراء مستوى يدها على آخر لحظة لتؤجل مصير الخادمة وتُبعد مسار العيار عنها".

– لو مكتوبلك تموتي على إيد حد يا جواهر، برضو هتكوني من نصيبي أنا

خرجـت تلك الكلمات مـن إسراء في يقين تام، كأنها تخـبر الخادمة بتأخير نهاية مصيرهـا على يدها، ومن ثـم أتت وردة سريعًا التي لم تصدق نفسها بعد سماع صوت إسـراء، وهـي تبُلغ الغجرية تلك الكلمـات فدخلت عليهم بنت عشمانـة، ووجدت فؤاد وجواهـر وبأعينهـم شرًا ما رأت مثلـه يومًا، ثم تحولت رؤيتها علـى إسراء، فدق قلبها حينما رأت كف يدها تغطيه الدماء، وكانت إسراء أدارت ظهرها للخادمة ولعمها، حتى تـرى من آتيًا عليها، فتعجبت وردة لحالها ولما كانـت ترتديه، فعادت بنت نادية بعينها

لجواهــر وفؤاد فتبسمت وألقت بالمسدس أمامهم وفي لحظتها غاب الوعي تمامًا عنها فسقطـت ولمحت وردة جرحهـا، الذي سكن بكتفها لمدة ساعـات، فشهقت لهول منظر الدمـاء، التي تغطي ظهرها، فجـرت إليها وتبعتها جواهر وفـؤاد فحملوها وعادوا بها لداخل القصر:

- جواهر: وردة هاتيلي حسين بسرعة شوفيه فين.

- وردة: أنا مش هسيبها.

- جواهر: يا وردة ساعديني ألحقها قبل ما تروح مني.

- وردة: قولتلـك أنا مش هسيبها، اللي عايـزاه روحي هاتيه إنتي، أنا مش هسيبها تحت إديكي تاني ولو للحظة واحدة بعد اللي عرفته عنك.

"فنظرت لها جواهر في لوم وغضب حيث لم تعد أيًا منهما تطمئن للأخرى أبدًا".

- جواهر: طب دخليها معايا أوضة عمها الأول تعالي.

"فعـادت هي ووردة بإسراء للداخل وأسكنوها غرفة عمها، حيث كانت بالطابق السُفلـي وأقرب الغُـرف لهم، وفور ما وضعـوه بالسرير جرت جواهـر لغرفتها تحضر منها ما أتت به من أرض غُجار".

- فؤاد: بسرعه يا جواهر.

- جواهر: أيوه أيوه اهو.

- فؤاد: ياااارب.

- جواهر: اسنديلي ظهرها يا وردة هاتي كتفها قدامي.

- فؤاد: أنا واقفلكم بره عالباب طب أي حاجة ناديلي ها.

"فيخـرج فـؤاد تاركا مصير ابنة أخيه بين يد الغجرية، التي لم يكن بيده شيئًا حيالها غير ترك إسراء لها وقدرها بين يديها".

- جواهر: ده مش سم!

- وردة: أيه؟!

- جواهر: ده مش سم، إسراء مش مسمومة ده مُخدر بس!

- وردة: جواهـر أقسملـك باللّه لو إسـراء حصلها حاجة وطلـع في جسمها حاجة تانية، ما هيكفيني فيكي الدنيا بحالها لا إنتي ولا اللي أذوها.

"فتبتسم جواهر من حديث وردة معها ولهجتها التي هددتها بها وهي مستمرة في شفاء إسراء".

- جواهر: وإنتي فاكرة لو حصلها حاجة إنتي بس اللي مش هتسيبيني؟!

- وردة: (تنظـر لهـا في وتصمـت حيث لـن تستكين أو تطمئن لجواهـر حتى تعود إسراء من غيبتها).

- جواهر: هاتي السرنجة اللي جنبك يا وردة.

"فتعطيهـا وردة مـا طلبـت فأملأتها بعقار غريب دائمًا مـا كانت يتواجد معها وحقنت به وريد إسراء".

- جواهر: اسنديها معايا يلا نطلعها أوضتها، على بالليل هتكون صحيت.

"وفـور مـا اقتربت جواهر مـن إسراء أمسكـت وردة يدها وظـل صمتها غالبًا عليهـا، وعيناهـا فقـط هي مـن كانت تُكلـم الغجريـة، التي لم تـرد على أفعـال بنت عشمانـة حتـى الآن، حيـث تدرك ماذا حـل بها بعدمـا رأت إسراء وما بهـا من إعياء فأمسكت بيد وردة وأنزلتها من عليها وتغيرت ملامح وجهها".

- جواهـر: إن كنت أنا غلط واللـي في جسمها كان سم بجد، فا مش هيعود ليه أثر مـن تـاني برضو بعد الحقنة اللـي خدتها، وإن كانت متخدرة بس فعـلاً زي ما قولتلك فـا عالمغربية هتلاقيها قامت وبقت زين، أمـا لو كنتي فكراني بكدب عليكي وبعمل كده عشان أؤذيها، فكان زمانك إنتي كمان محصلاها من غير ما تدري وراقدة جنبها.

– وردة: (فتتغـير نظرتهـا لشـيء من القلق قليـلًا أصاب قلبها مـن لهجة جواهر لهـا، وباتت بنت عشمانة تنظر لإسراء وهي راقدة لا دراية لأحدًا بحالها وقدرها الذي يجهله كلًا من بالقصر إلا تلك الغجرية).

– جواهـر: اطمنـي يا وردة، أن كان في نيتي شر بجد لإسراء فهيكون في مكان بعيد عن عمها وعن القصر ده، يلا شيليها معايا نطلعها أوضتها.

– وردة: (طاعتهـا في صمـت ولم تنبـذ بكلمة لترد بها علـى كلام جواهر، وحملت إسـراء معهـا حتى رقدت بنت ناديـة على سريرها في غرفتها، ومـن ثم تركوها لتكمل غيبتها الطويلة وحدها).

وغـادرت جواهـر الغرفة فور مـا أوضعت إسراء علـى سريرها وتركتهـا مع وردة التـي لم يطـل وجودها بتلك الغرفة أيضًا، حيث جلسـت بجانبها للحظات جعلتها فيها تحـت عينيهـا لفترة قليلة كانت كافيـة لإعادة صورة إسراء أمامهـا، وهي صغيرة قبل أن تنـام، وبخاصـة تذكرت تلـك الليلة التي قامت فيها بنت ناديـة مفزوعة من نومها، وملأ صريخها أرجاء العشتار كله، فقامت وردة وظلت واقفة عند الباب، وإسراء تحت أعينهـا لا تغيب رؤياها عنها، ثم نظرت للباب الآخـر بالغرفة وهنا لم تتمكن أن يطول وجودهـا أكثر من ذلك في هذا المـكان، فغاردته وخرجت وأغلقت الباب ورائها وأخذت مفاتيحه معها وتركت إسراء وحدها لغيبتها في الداخل.

"إثنان من حي غُجار"

8:00 2008/11/27 صباحًا

زيارة لقبر بدريسا.

– حازم: إنت روحت فين؟!

– فهد: من ثلاثة أيام لما جينا هنا كنت همشي أنا وليلى من الطريق ده، فوقفت على

أولـه وكلمني واحد بلهجة غريبة أوي، قـالي أبعد عن المرازيق والسكة دي، عشان فيها بدر الصعيدي وخلاني ساعتها ألف من الناحية التانية عشان أعرف أوصل للقصر.

- حازم: واهو بدر مش جوه أساسًا.

- فهد: أيه أومال فين؟!

- حازم: الله أعلم!

- فهد: يمكن يكون في الحي جوه عندهم.

- حازم: بتهيألي لا، اللي زي بدر ده تقريبًا كده متحرم عليه دخول حي المرازيق.

- فهد: إن كانت أرض الغجر متحرمة عليه مكنوش هيخلوه عايش لحد دلوقتي أساسًا.

"نظر حازم للمنزل وتذكر الحديث الذي سمعه بين جواهر وبدر، حينما تواجد بهذا المكان لأول مرة".

- جواهر: أهلًا بالغريب على أرض الغجر وعلى أهل البلد كلهم.

- بدر: لو كنت غريب فعلًا على أرض الغجر كان زمانهم دفنوني فيها من زمان.

- جواهـر: لالا، الـكلام ده قبـل ما يخـرج المرازيق مـن جلدهـم، الغجر خلاص عوايدهـم القديمـة فاتتهم وفاتوها، ولو ما كنتش عوايدهـم دي غابت عنهم ما كنتش هلاقي واحد منهم بيجري من بعد عملتِه في العشتار.

- بدر: العشتار! هما رجعوا يدخلوها من تاني؟!

"كان هـذا الحديـث الذي دار بين جواهر وبدر وهو بالداخل مُقيد، حيث يُعيده الآن حازم على نفسه".

فيتحـدث فهـد ثانية بعدما وجد حازم تائهًا بنظراته علـى منزل بدر، فشتت عليه تفكيره وتكلم معه:

- فهد: أيه بتفكر تستناه جوه ولا أيه؟!

– حازم: المرازيق طول عمرهم في سر بينهم وبين بعض، وسر بين كل واحد ونفسه بس.

– فهد: نعم! "لم يفهم فهد شيئًا من ذكر حازم لكلام بدر الذي سمعه ليلة ما كان عنده".

– حـازم: سمعتهـا من بدر وهو بيكلم جواهر، سـر بينهم وبين وبعض وسر بين كل واحد ونفسه!

فيتأمـل فهد حديث بدر للخادمـة الذي مر على مسامع حازم وصـار يعيده أمامه ثانية الآن:

– فهد: وإنت تفتكر أن في سر للمرازيق مخبيينه على الصعيدي ده؟

– حـازم: لو مفيش كان ساعتها هيبقى عـارف بدخولهم القصـر ليلتها، بس هو مكنش يعرف.

– فهد: جواهر ردت قالتله أيه؟!

فيعـود حازم ثانية لداخل دروب عقله فيتذكـر على الفور كلام جواهر عن الغجر، حيث لم يتعلق شيئًا في ذهنه تلك الفترة غير حديثها عنهم:

– جواهـر: لالا، الـكلام ده قبـل ما يخـرج المرازيق مـن جلدهـم، الغجر خلاص عوايدهـم القديمة فاتتهم وفاتوها، ولو ما كانتش عوايدهم دي غابت عنهم ما كنتش هلاقـي واحـد منهم بيجري مـن بعد عملتِـه في العشتار، اللي عمر ما حـد خرج منها هربان زي ما حصل دلوقتي.

– بدر: العشتار! هما رجعوا يدخلوها من تاني؟!

– جواهـر: ما تعرفش! مش قولتلك طول عمـرك كنت غريب عنهم وهتفضل لآخر عمرك كده.

وحينها بدأ حازم يردد كلام جواهر، لكن فهد قاطعه حينما وقعت على آذانه جملة اضطرب لها كيان الطبيب من الداخل:

- فهد: استنى، إنت قولت أيه؟!

- حازم: أيه يابني مالك اتخضيت فجأة كده ليه!

- فهد: عمر ما حد خرج منها هربان زي ما حصل دلوقتي.

- حازم: "حينما رددها فهد أمامه ثانية كان كأنه أول مرة يسمعها في حياته، حيث كانت تمر من أمام عقله مرور الكرام، ولم يلتفت لتلك التفاصيل الصغيرة قدر ما كان يهتم بما يحدث داخل غُجار".

- فهـد: حـازم! جواهر يا إما كانـت عايشة جوه وسط النـاس دي، وبعدها راحت القصـر يا إما كانت بتقـول الكلمتين دول قدام بدر، وخلاص عشـان عايزة تعرف أيه السر اللي مخبية عليها.

فيتذكـر حازم ثانية جملـة جواهر التي قالتها لبدر "مش قولتلك طول عمرك كنت غريب عنهم وهتفضل لآخر عمرك كده".

- حازم: جواهر كده في الحالتين هتبقى عارفة المرازيق كويس.

- فهد: وإنت عرفت منين؟!

حازم: قالتله ساعتها طول عمرك كنت غريب عنهم وهتفضل لآخر عمرك كده.

فهد: أول مرة شوفت جواهر دي أمتى وهي كانت عايشة فين قبل ما راحت العزبة هناك؟!

فيعود حازم لذكرياته ثانية، فيرى جواهر أول مرة حينما وصل ومعه هَنا يوم وفاة أنورين:

- الخادمة: إنتوا مين وأيه اللي جابكم من هنا؟!

- هنا: أنا هنا صاحبة إسراء، ممكن تفتحيلنا الباب؟

- جواهر: السكة دي محدش بيخطيها يا بنتي، ما كانش ينفع تمشوا من الطريق ده.

- جواهـر: أهـي جوه يا بنتي خشوا، والطريق ده تنسوه خالص الأرض دي محدش سلم منها ولا من اللي فيها، وإنتوا في زهرة شبابكم لسه.

– حازم: بقولك أيه أنا عايز أسالك على حاجة!

(نظرت هنا في قلق لحازم فجأة واتسعت عينها كأنها ترى ما يتحدث به عقله قبل البوح به).

– حازم: مين الناس اللي قصدك عنهم دول، وليه لهجتهم في الكلام مختلفة كده؟!

كانـت كلما تأتي تلك الذكريات على حازم تتغير ملامح وجهه إلى ضيق وحيرة في آن واحد.

– حـازم: فاكر لمـا قولتلك أن في واحدة فتحتلنا الباب الصبـح لما وصلت أنا وهَنا من طريق المقابر.

– فهـد: اه ليـه، هي اتكلمت معاك في حاجة تانية ساعتها غير مجيئك من الطريق ده ولا أيه؟!

– حـازم: هي حالها اتلغبط بس لما هَنا جابتلها سـيرة الست اللي شفناها الصبح قدام المقابر دي.

– فهد: طب هي قالتلك كانت عايشة فين قبل ما تيجي هِنا؟!

فينظر حازم له ويصمت قليلًا ثم يتذكر أول مرة جمعها القدر بها حينما كان الليل ملُقيًا بظلامه على البلد تلك الليلة، وكان حازم بالخارج في الحديقة حينها ولم ينفطر تفكيره تلك الأوقات عن التي رآها بالصباح أمام قبرها هو وهَنا، وظل حينها يعيد هذا المشهد على نفسه، حتى جاءت له الخادمة التي لم تخُرجه من بالها طوال ذلك اليوم:

– جواهر: خد يا ولدي قهوتك.

– حازم: تسلم إيديكي.

– جواهر: لساك عم تفكر في اللي شفته النهارده صح؟!

– جواهـر: ما تحاولش يابني ما تحاولش، صُحابك النهارده ما كنش شاغل بالهم

غـير البُكا على ست أنورين، وإنهم يطمنوا على إســراء وإنت وهَنا حالكم غيرهم كأن اللي شفتوه مفيش عين شافته ولا وعيت عليه.

– جواهر: بص يا ولدي، أنا عارفة اللي إنت شوفتها النهارده، وعارفة كويس تبقى أيه!

(فيتذكر حازم كيف خطفته عيناه نحوها ليُنظر إليها بجدية وهي تتحدث له عن بدريسا).

– جواهر: كانت بدريسا يابني ودي تبقى ملعونة المرازيق، أنا من ساعة ما جيت من أسيــوط عشان أشتغل هنا، وأنــا عمري ما سمعت عنها غير بالشر، وإن حد كان يتجرأ ويجيــب سيرتهــا في البلــد ولا يقرب من غُجــار خصوصًا في يومــين زي دول، ماكناش بنعرفله سكة من بعدها.

فيتردد على ذهن حزام ذكرها لأسيوط، التي قالها فهد أمامه ولم ينتظر سماعها منه:

– فهد: أسيوط؟!

– حــازم: اه أسيــوط، كلامها معايا ساعتها كان قبل اللي حصــل لليلى ده، ووقتها مكناش نعرف عنها حاجة أو حتى كان ممكن نشك فيها، كمان قالت كده وسط كلامها وكان ساعتها....

وقبل أن يكمل حازم حواره مع فهد لمح بدر الصعيدي خارجًا من حي الغجر متجهًا لمنزلــه، لكنــه لم يكن وحيد نفسه على الدرب المؤدي لمنزلــه، حيث رأى حازم اثنين من داخل الحي يتبعان بدر خِلسة، وفور ما رآهم حازم أمسك فهد من كتفه وأخذه وانبطح معــه أسفــل، حتى أشار حازم لفهد أن يتبعه وهو منخفــض هكذا، فتبعه فهد ولا يدري ماذا يحدث، وحينما وصلوا خلف صف شجر كثيف، كان بالقرب من منزل الصعيدي، وتحدث حازم لفهد وأبلغه بما رآه ولم يدرِ أحدًا منهما بما سينتهي عليهم هذا الموقف، فظل كلًا منهم بموضعه، ولم يتحركوا وتناجا الاثنان معًا في خفوت:

– حازم: الاتنان اللي جايين وراه دول وبيتسحبوا مش مرتاح لهم.

- فهد: إنت قولتلي آخر مرة جيت هنا أيه اللي حصلك؟!
- حازم: واحدة من الغجر رمت على عيني تراب وحاولت بعدها تكممني.
- فهد: كويس.
- حازم: هو أيه اللي كويس.
- فهد: كويس إنها مش مع الاتنين دول.
- حازم: ولو كانت معاهم كانت هتفرق معاك في أيه.
- فهد: ما كنتش هعمل كده.
- حازم: ما كنتش هتعمل ايه!

ولم يكمل حازم كلمته إلا وكان بدر قد وصل لباب منزله وحينها أسرع عليه واحدًا مـن الذين كانوا يتبعـون سبيله فور ما غادر الحي عندهـم، وحينما بدأ يتجه نحو بدر رآه فهـد فقام من جانب حازم، وجرى على جانب الطريق خلف الشجر، فلم يراه أحد حتى أخرج نفسه من وسط تلك الأشجار، بعدما أخفته عن أنظار اثنين من حي غُجار، وصار الآن يقف خلف الذين يريدون دم الصعيدي، فجرى فهد من الخلف نحو القريب له، ونادى على الصعيدي ليتولى هو أمر نفسه مع الذي بات خلفه مباشرة، وحازم ثابتًا بمكانه لا يتحرك ولا يزال هدوئه وسكينته على حالهما لم يقل منهما شيء".

- فهد: ياااا بدر!

فـأدار الصعيدي وجهه ليرى مُناديه، فوجد الذي يقـف بظهره مباشرة ولم يلحق فعل أي شيء وتلقى على رأسه ضربة أسكنته مكانه، وبالخلف كان فهد قد أمسك ذراع الآخـر، الـذي أتى أيضًا من غُجار فثناه إلى ظهره وأخذ مـن يده (قبضة حديدية كان يمسكهـا) فنزعها الطبيـب منه ودفعه للأمام ثـم وجد فهد نفسه وحيـدا أمام اثنين مُلثمـين من الغجر لا يظهر منهم سوى أعينهم فقط، فتمسك فهد جيدًا بالقبضة التي

أخذهـا منهم وصار يعود للخلف في حذر، وعينـاه عليهم ستأتي له بخبرهم، إذا بدأوا هجومهـم عليه، وظلـوا هكذا حتى سمعوا أجمعين صوت بـاب منزل بدر ينفتح ببطئ، فنظر ناحيته فهد وأدار الملثمان عيناهما نحو المنزل، فصارت رؤيتهم ثابتة على الباب الـذي ينفتـح شيئًا فشيئًا، ولا يظهـر ورائه أحدًا حتى إذا أصبـح منفرجًا عن آخره لم يظهر لهم من ورائه، وكأن المنزل يُخفي عنهم شيئًا، وباتت عيناهم تدور داخله لا تأتي رؤياها بخبر الباب الذي انفتح فجأة عليهم.

****

عودة لزمن المالكية.

نزلـت وردة من عند إسـراء بعدما تركتهـا وحدها بين جـدران غرفتها، وجلست بالحديقـة تفكـر فيما سمعت من جواهـر عن أصلها، فتذكرت حديـث أمها لها قديمًا عـن المالكيـة وما رأته أمها عشمانة نفسِها منهم، قبل أن تُغادر إلى عالمها الآخر، والآن تأكـدت وردة أنه لو كان بالمرازيـق من هم شياطين فعلًا، فإنهـم أصبحوا على حالهم هذا بسبب أبناء زين المالكي، الذي جعلوا منهم سبيلاً لشرهم الذي يصل للناس حتى أنسى المرازيق سابق ذكرهم، وجعلهم بين الناس لا يُحمد لهم أثرًا ولا يُتبع لهم سبيلًا، والآن اكتشفت بنت عشمانة أن واحدة من المالكية هؤلاء عاشت بينهم لمدة عامان، فلا تعـرف هل كانت علـى عهد المالكية أم إنها كانت واحدة منهـم، وعرفت طريقها بعيدًا عن سبيلهم، وظلت وردة تعيد تفكيرها على نفسها، وجواهر من حين لآخر تنظر عليها مـن الداخل في غفلة منها، فـلا تعلم بنت عشمانة أن الغجرية تلمحها كل مُدة ثم تعود ثانيـة، وكان هـذا حال وردة منذ ترديد اسـم المالكية على مسامعهـا، وصارت جالسة بمكانهـا حتى أتى لها من الخارج اثنتان غاب عنهمـا الكثير في هذا المكان، ومر عنهم كل ماحدث منذ قليل مرورًا لم يعرفا عنه شيء:

– ليلى: وردة، ورددده إنتي نايمة!

– وردة: ليلى إنتي كنتي فين؟! (نظرت لها وردة وكان ما بحالها يظهر عليها وعلى كلامها).

– ليلى: كنت بره أنا وهَنا، مال صوتك؟! (لاحظت ليلى تغير حالها ونبرة صوتها).

فنظـرت وردة حولهـا كأنها تكتشـف أين كانت جالسـة، فرأت نفسهـا بالحديقة الخلفية، فذعرت فجأة وتغير حالها للأسوأ ونظرت لليلى:

– وردة: هاااا! إنتوا جايين من ناحية الغجر؟!

– ليلـى: لا لا والله اهـدي مالك، إحنا جينا من الناحيـة التانية ما قدامك أهو أنا جايه من جوه القصر.

– وردة: (فتعود المسكينة ثانية لهدوئها) معلش يا ليلى ماخدتش بالي.

– ليلى: مالك يا وردة في أيه؟!

"لم ترضـى وردة بإخبارهـا عمـا حدث، ففيرت الحديـث وسألت عن من طال غيابهم عن القصر".

– وردة:لالا ده شوية تعب بس، هو حازم وفهد راحوا فين؟!

فضلـت ليلى ألا تأتي لها بسيرة الآن عما اتفقـوا عليه، حيث كان حال وردة غريب ومتوتر، فأخفت ليلى عنها خبر ذهاب فهد وحازم لأرض المدافن، كما كانوا قد أخبروا ليلـى وهنا، وظلت وردة على حالها لا تعلم أين هم الآن، فأظهرت ليلى جهلها بأي خبر عنهم وأخبرتها بعدم علمها:

– ليلـى: مشـ شيفاهم في أي حتـة، ده حتى أرضـ المدافن مشـ هيروحولها غير وإسراء معاهم.

"ولاحظـت وردة عـدم وجود هَنا أمامها مع ليلى فانتفضت، وقامت فجأة تسأل ليلى عن مكانها".

– وردة:–أمسكت ليلى فجأة من يدها وسألتها عن مكان صديقتها– هنا فين؟!

"دب الرعـب فجـأة في قلب ليلـى، بعدما أفزعتها وردة بعملتهـا وقيامها فجأة ومستكها ليدها".

– ليلى: –قالت في صوت خائف مستكين– زمانها طالعة الأوضة،

فاختفـت وردة فجـأة، وهرولت مسرعة إلى غرفـة إسراء، التـي كانت تجلس بها هنـا ومعها ليلى، التي لم تفهم شيئًا من حـال وردة الغريب، فجرت هي الأخرى لغرفة إسراء، وعلى الدرب المؤدي للمكان، الذي تغيب فيه بنت العشتار عن من حولها، كانت هنـا أقرب الذين تسير خطواتهـم نحو إسراء، وحينما بات لا شـيء يفصلها عن باب غرفتهـا، وضعت هنـا يدها على الباب لتفتحـه، وصلت وردة لتضع يدهـا على يد هَنا الممسكة "بالأُكرة" التي ستفتح الباب على النائمة بسريرها:

– هنا: هاااااا! أيه يا وردة في أيه.

"شهقـت مـن فزعتها لما قامت بـه وردة، التي ظهرت بجانبها فجـأة وأمسكت بيدها، فغيرت حالها وجعلت للذعر والقلق مكانًا في قلبها".

– وردة: ابعدي عن الأوضة دي.

– هنا: أيه في أيه؟! (لم يتغير حال لسانها الذي خرجت كلماته في خوف وضعف).

"لاحظت وردة عليها خوفها الشديد والرعب، الذي ألقت به بنت عشمانة عليها فربتت على يديها".

– وردة:آسفة يا هنا حقك عليا، اهدي ما تقلقش مفيش حاجة.

– ليلى: في أيه (صوتت لهم هي الأخرى لهم فتجمع الثلاثة أمام غُرفة إسراء).

– وردة: أوضـة أنورين هانك عندكـم أهي ونقلتلكم كل حاجتكم فيها جوه، تقدروا تقعدوا فيها.

"أنهت وردة كلامها لهم وتركتهم لتعود ثانية بحالها بالأسفل، لكن أمسكت هَنا يدها وأوقفتها".

- هنا: إسراء فين؟! (قالتها وهي غير مطمئنة على صديقتها)

"لم تجبها وردة هُنا وصمتت فأتى رد سؤال هَنا من ليلى".

- ليلـى: إسراء جـوه (أخبرها قلبها بما تخفيه عنها وردة التـي لم ترِد لإسراء أن يأتي عليها أحدًا)

- هنا: جت؟!

- وردة: اه جت ونايمة جوه (ظلت كلماتها تخرج في صوت منكسر وحزين)

- هنـا: هي مالها طيب؟! (كانت ملامح ونبرات صوت وردة أيضًا إجابة لهَنا التي أحست شيئًا).

- وردة: سيبوها نايمة دلوقتي أحسنلها وهي عالمغرب هتصحى.

- ليلى: أبوس إيدك يا وردة، إسراء لو فيها حاجة عرفين...

- وردة: ليلى!

"لم تدعها وردة تكمل حديثها ونظرت لها فجأة وقاطعتها"

- وردة: إسـراء لـو فيهـا حاجة أنا مش هبقـى قاعدة كده، سيبوهـا وعلى المغرب أنـا هدخلها وهتبقوا معايا، بس محدش يدخل ولا حتى يقرب من الباب ده، خصوصًا جواهر فاهمين؟!

"لم يفهما لما ذكرت جواهر الآن على لسان وردة، التي غادرت وتركتهم عائدة لغُرفتها بالأسفل".

"الكاهنة"

2008/11/27 8:30 صباحًا

بُعثت من جديد، فعادت لغُجار.

ظـل البـاب المنزل مفتوحًـا أمـام أهل غُجـار، مبُينا لهـم كل مـا كان داخل بيت الصعيـدي، فتوجـه أحدهم وهو لا يعرف مـا يحدث نحو البيت، وأشـار لزميله الآخر ناحيـة فهـد، ولكن قبل أن يشـير الغجري على الطبيب كان فهد عينـاه وعقله في عالم آخر، حيث ظهرت أمامه من على بعد تلك التي تلثمت بخمار حول وجهها وجعلت عينها فقـط ما يظهر منها علـى ما حولها، وكان أول من رأته تلـك العجيبه هو -فهد- الذي يقـف وأمامـه اثنان من الغجـر، وصار لا يدري عـن حالهما بشيء، حيـث أخذته تلك التـي مُرتديـة ملابس كاهنـة عن كل ما حوله، فمـا وتقع عينه عليهـا إلا وأبلغته بخبر التـي ظهرت فجأة لـه، فكانت تبدو كراهبة مـن راهبات إحدى الكنائس، وعيناها لا تختفـي منها مثل باقي وجهها، الـذي أخفته عنه، فصار يتابعها وهي تعلم أنها لا تضع خطـوة للأمام إلا وهذا البعيـد عنها يُراقبها، فباتت تأتـي أمامه ببطئ، حتى اقتربت مـن دربهـا البعيد عنه قليلًا، فوقفـت أمامه وكانت لا عينًا عليهـا غير عين فهد، حيث كانـت تسير بجانـب المقابر في موضع لن يراها فيه أحـد إلا إذا كان في موقع الطبيب، وبعدهـا أبعد فهد عينـه عن الراهبة وأرسلهـا للذين يقفون أمام المنـزل، الذي انفتح فجـأة عليهـم فتبسم لحالهم الـذي بات لوهلة لا يتغـير ونظر ثانية إليهـا فوجدها لم تتحـرك، فأخـرج فهد القبضة الحديدية، التي تعود للغجـري وألقاها نحو الدرب بينه وبين الراهبة وبعدها إختفى عنها.

وبعدما كان الغجري قد أشار لزميله الثاني نحو الطبيب وهو واقفًا بمكانه لم تنزل عينـه من على منزل بدر، أرسل الآخر نظراته نحو المكان الذي كان فيه الطبيب، ولكن

حينها لم يرَ شيئًا حيث اختفى فهد الذي كان يقف خلفه، فزادت حيرة الغجري، ومشى ببطـئ نحـو المكان الـذي كان به فهد، وسـارت عينه معه تفتش لـه في كل مكان حوله، لتأتي له الذي سلب منه سلاحه فوصل ووجد فقط قبضته على الأرض، على مقربة من المقابر فسار حتى وصل لموضع الذي منه ترى الراهبة.

وإلى منـزل بـدر كان الغجري الآخـر قد وصل أمام مدخلـه مباشرة فوقف لبرهة ونظـر بـين ثنايا الباب والحائط، فلم يجد ما كان يخفيـه الباب خلفه، فدخل الغجري المنـزل ومشى فيه باحثًا عـن الذي فتح منزل بدر أمامه وجعلـه على مصراعيه، فعاد الغجـري ونظر لبدر الذي ظل بمكانه ملقي علـى مدخل منزله في غيبوبة دخلها بعدما ضربـه وأفقـده وعيه، وحينما لم يجد أحـدًا بالمنزل أخرج خنجره مـن جانبه ليسكنه في جسـد الصعيدي، وحينما أظهـر لمعان سلاحه ومشى نحو بـدر، سمع صوت غريب بالخلف يأتي مـن داخل سراديب المنزل ثانية، فرفع خنجره وأمسكه بقوة وجهز نفسه بأنـه لن يكون الصعيدي فقـط هو ضحيته الليلة، بل سيكون مـن نصيبه شخصًا آخر تسيـل دماؤه على نصل خنجره، فدار في المنـزل يبحث عن مصدر الصوت، وفي وسط سـير تفتيشه سمع صاحب الخنجـر صوت باب البيت ينغلق ثانيـة عليه، وهو بالداخل ومعه شيئًا لا يراه ولا يعرف له تفسير.

اختفاء الكاهنة.

ظلـت الغريبة على حالها ولم تترك المكان، الـذي ظهرت فيه لأول شخصًا (فهد) تـراه ويراها في تلك الأرض -غُجار- وظلت على حالها ولم تتحرك حينما سمت صوت أقـدام آتيـه لها -حيث كان الغجـري الذي كان يتبع فهد- وهو مـن أولئك الذين كانوا مُرادهـا، حيـث وإذا كانـت غايتها في أحد من هـؤلاء فلن تخفي نفسهـا عنهم، وصار لهـا مـا أرادت ورآها أحد الغجـر، الذي كان ما لبـث ووقعت عيناه علـى تلك العجيبة

إلا وأخفـى عقلـه عنه كل ما رأه منها، وظل ينظر في عينهـا فقط، وحينما غاب بنظره عـن عينها ليرى باقي حالها، وجدها راهبة وتسير نحـوه فزادت حيرته بعد رؤياه لها، وبتوقفه كثيرًا أمامها حاول يُقرب نفسه من موضعها، وحينما تقدمت أول خطواته على درب مـؤدي لهـا، سمع صوتا من خلفه فـأدار وجهه ولم يرَ شيئًـا، وحينما عادت عينه إليهـا لم يجـد تلك العجيبـة التي أخفت نفسهـا وسط المقابر، التي رآهـا فيها، فدخل ورائها وسار يبحث عنها في كل مكان، ووسط انشغاله بها وجد فجأة قميص ذلك الذي كان يقـف أمامه ثم اختفى -فهد- وفور ما انحنى ليأتي به وجد من يركل وجهه، فوقع مغشيًـا عليه علـى مسافة من الطبيب، الذي فعل به ذلـك وحينما اقترب فهد منه لمح آثار ما يسيل من أنفه على الأرض، حيث انكسر أنف الملثم إثر ركلة فهد له.

فجعلـه الطبيب تحـت نظراته قليلًا، قبـل أن يقترب منه وحينما سـار إليه وجده هامـدًا لا حركـة به، ولا أي شيء فغمـز فهد أكتاف الغجري بقدمـه، فلم يجد منه أي شـيء فانحنى أمامـه، وأقلبه على ظهره فوجد عيناه غافلتـين، والشال الذي كان يلفه حـول وجهـه صار كله دماء، وببدء اقتراب يد فهد من وجـه الملثم لينزع عنه ما يخفيه لم يتحـرك أي شـيء في الغجري غير فقط يده، التي جمعـت تراب المقابر، وألقته على وجـه الطبيب ليُبعده عنه، فقام فهد مسرعًا ينظف عينه ليعيد لها مجال رؤيتها، فقام الملثـم فورًا وضربه في رأسه، وألقاه على الأرض مغشيًا عليه، وأخرج خنجرًا من جانبه ليُنهي عليه حياته، لكن ظهرت ثانية الراهبة أمامه تسير بين القبور، فتبعها بعينه حتى صـار يراقبها من على بعـد، وبينما باتت تسير وهو ورائها يُراقب خطواتها من ظهرها أزالـت هي غطاء وجهها مـن على رأسها، وأكملت دربها ممسكـة بيدها ما كان يغطي وجهها عنه، فتقدم خطوتين وفكر في إكمال الدرب ورائها، ولكن قبل أن يفعل ذلك فكر في التخلصـ أولًا من ذلك الغريب، الذي على الأرضـ خلفه -فهد- فدارت عينه نحوه

فلـم تجـد له أثر، ووجد فقط خنجره كما هو بمكانه، فانحنـى إليه، وفور ما أمسكه في يـده، وجد الطبيب يخلـع عنه شال وجهه، الذي يخفي أسفلـه ملامحه، فقام الغجري بالتلويـح بخنجـره نحوه، فصار فهد يحـاول إبعاد نفسه عن هـذا النصل، الذي صار مخضبًـا بدماء الغجري، التـي سقطت من أنفه المكسور الـذي لم ينتهِ بعد من نزيفه، فطـارت قطرات دماؤه وانتهت على بنطال فهـد الرمادي، فكثرت به وصارت ملتصقة عليـه، وفهد يظل محاولًا إبعاد نفسه عن تلك الضربات، التي جعلته بينه وبين الغجري مسافة ليست بقليلة، وحينهـا قام صاحب الخنجر بتغطية ملامح وجهه بيديه، وجرى بعيـدًا عنه حتـى أخفى نفسه وسط المقابر، ومنها إلى الحـي الغجري فلم يستطع فهد أن يُكمل سيره ورائه، حيث كل ما كان يشغل باله فقط في تلك الآونة هي الكاهنة، التي أظهرت نفسها أمامه ومن بعد جعلت نفسها مرآة للغجري تشغله، حيث رأها فهد وهي تخلـع عن نفسها غطاء رأسها حتى تلهي صاحب الخنجر عنه قليلًا بتلك الفعلة، حيث أشغلت بال الغجري قليلًا بذهابه ورائها، حتى يكشف ملامح وجهها، لكن اختفت تلك التي لا يعلم لحالها أحدًا ممن رأوها في غُجار أن كان فهد أو الغجري، فانحنى الطبيب والتقـط قميصـه من على الأرض، ووضعه حوله وسار لـيرى حازم، الذي كان يعلم أنه من كان في المنزل يفتح الباب أمام المرازيق.

في المنـزل انغلق الباب علـى الغجري وحازم بالداخل معه، لا يعـرف له أثر بعدما أخفـى الأنـوار عن البيت بأكملـه، فصار الغجري في منزل لا يرى فيـه شيئًا غير ضوء الشمـس، التـي ترسل أشعتها مـن بين النوافذ حتـى تنير له بعض المناطـق القليلة في بيـت بدر، وبانقطـاع النور من المنزل ذهـب الملثم نحو الباب ففتحـه، وجاء له ببعض الضـوء لداخل المنزل، فظل واقفًا به ينظر للداخل، بعدمـا صارت الرؤية ميسرة أكثر لـه، فسمع ثانية صوتًا آتيًا من ناحية بدروم بنـاه الصعيدي أسفل منزله، فذهب وفتح

بابـه الخشبـي، وأطال نظره أسفله كثيرًا، فلم يرَ شيئًا فخـرج منه وأغلقه، حينها عاد الظلام ثانية في المنزل، وانغلق الباب عليه مرة أخرى، فثار غضبه وذهب مسرعًا ليفتح البـاب، وأول ما لمست يده الباب ظهر لـه بالجانب في الركن وجها لم تحدد له ملامح، حيـث كان واقفًا أمامه مباشرة وفي يده "ولاعة" رفعها حازم في مستوى وجه الغجري، وأشعل نيرانها في صاحب الخنجر، الذي فوجيء به على مقربة كتلك، فحاول حازم ألا يجعـل له وقتًـا ليفعل الغجري شيئًا معه، فظلت "الولاعة" في يده اليمنى، ويده اليسرى أطلقـت "بخاخة بداخلها غاز" وجدها حازم في المنـزل، فأطفأت البخاخة نيرانها في وجـه صاحب الخنجر، الذي ألقى خنجره على حـازم فجرح أقدامه، فسقطت الولاعة من يد حازم، وانعدمت الرؤية وجرت يد الغجري حينها نحو الباب، وفتحه ليخرج من منـزل الصعيدي بوجه محترق، فسار مبتعدًا عن المنزل مداريًا وجهه، الذي بانت منه ملامـح قليلة إثر احـتراق الشال على جلـده، فظل تحت أعين حـازم حتى دخل وسط المقابر واختفى أثره.

فخـرج حازم من المنزل وسار للأمام، وبخلفه بدر الذي ظل غائبًا عن وعيه، فظل حـازم بمكانه حتى وجد فهد آتيا له، وفي كلتـا يديه شالان أحدهما يعود للغجري الذي كان معـه عنـد المقابـر ورأى الراهبة، والثاني أخـذه من الغجري الـذي كان مع حازم منـذ لحظات، حيث حينمـا لاحظه فهد وسط المقابر تخفى خلـف إحداهم، حتى عبر عليهـا صاحب الوجه المحترق، تركـه فهد يتقدم أمامه قليلًا ثـم جرى خلفه ونزع من علـى وجهه هـو الآخر الشال، الـذي يخفي بعض ملامحه وحينهـا لم يستدر الغجري، لـيرى مـن فعل ذلك حيث ظن أن تلـك فعلة من كان معه بالـدار وأحرق وجهه، فتركه يأخـذ الشال من على وجهه ورفع رجلـه للخلف حتى ضربت باطن الطبيب ضربة قوية واختفى هو عنه.

- حازم: هو اللي عملك كده؟!

"تحـدث حـازم لفهـد وهو يشـير ناحية الذي خـرج حالًا من الـدار معه بوجه محترق وصار بالمقابر".

-فهد: اه

"حيـث كان فهـد قـد ظهـر لحازم، وهـو واضعًا يـده على بطنه مـن شدة أثر الضربـة، ففهم حازم أنها مـن الغجري، الذي غادره منذ لحظـات وفهم فهد مقصد حديث حازم فأجابه مؤكدًا لكلامه".

- حازم: شفته؟!

- فهد: لا، ضربني بكعب رجله وكمل جري، سابني أخد الشال ومخلانيش أشوف وشه.

"فالقى حازم ببخاخة الجاز داخل الدار ثانية، وسار نحو بدر الصعيدي".

- فهد: إنت حرقت وشه بدي؟!

- حازم: اه (فأجابه حازم وهو ينحني ليلتقط الولاعة التي سقطت من يده).

- فهد: حازم! (حيث لاحظ على قدمه آثار جرح عميق خرجت منه الدماء بكثرة).

- حازم: حدفني بخنجر قبل ما يجري.

- فهد: الخنجر ده فين؟!

- حازم: أهو جوا.

- فهد: (سار نحو الدار ليرى ذلك الخنجر).

"تركه حازم وبدأ يسحب بدر من أقدامه ليسحبه ويدخله في الدار"

- فهد: حازم!

"قالها له وهو على غير حالته حيث كان قلقًا بشدة وناداه مفزوعًا"

- حازم: أيه يابني مالك؟!

- فهد: الخنجر ده كان عليه حاجة!

الفصل السادس

على ذِكر سيرة الغجر

"غُجار"

2008/11/27 5:30 فجرًا

عواء من داخل كهف الموت.

كانـت غُجار ولأول مـرة منذ دخول الغجر لهـا مُنقلبة عليهم هكـذا، فليست تلك الأرضـ التي دفنوا بها أسرارهم، بعدما أسكنهم فيها زين المالكي قبل زمن، فلا تعوي تلـك الأرض عليهم نهارًا مثلما يصير الآن، ولا يدخـل بها غريبًا وتجعله يعود خارجها ثانيـة، لكن في أيامهم تلك كانت غُجار همهم الأول والأخير، فبعد أن كانت تلك البقعة هي الملجأ لأهل مشرق الأرض ومغربها وسكن بها أولئك الذين لا مكانًا لهم، تركت لهم غُجـار الحي فقط حيث صار هو مأمنهم وجعلت الحوشـ الغربي وطريق المقابر نهاية من لا نهاية له من المرازيق، حيث حاولت إسراء في أول الأمر إنهاء حياة رشدي العراف في الأرض الغربية، ومنذ قليل كان عادل وأمين من كتبت لهم رحمة، وهربوا من طريق المقابر بحياتهم، التي كادت أن تنتهي عليهم، وإن لم تكن غُجار قد تغيرت عليهم فقط، فإنها أيضًا عرفت سير الغُرباء، حيث لم يدخل أحدًا من قبل على المرازيق في ديارهم، وعاد من عندهم حيًا، لكن الآن كانت هناك غريبة في أرضهم، وسارت وسط مقابرهم أمـام أعين فهد الطبيب وأمين الغجري، الذي شغلته حال ظهورها أمامه، وأخفت عنه فهد بعد أن كاد الغجري يُنهي عليه حياته.

فباتـت أرضـ العجائب غريبة الحـال على من فيها، حيث وكأنهـا تتحدى بدريسا التي ظلت على سكونها واقفة أمام الكهف تراقب سقوط عزيز والعراف بداخله، بعدما كانـت قـد رأت العراف وهو على وشـك مفارقة روحه لجسده، لكنهـا لحقته وأنقذته، وبينمـا كان عزيـز يحمله ليخرج به من على منحدر سـرداب الموت، تحدى ذئب غُجار إرادة بدريسـا وأسمع عوائًا لكل من كانوا في الأرض الغجرية كلها، فظلت بدريسا على

هدوئها وسكينتها وهي تشاهدهم على نهاية الطريق الذي لا رجعة منه أبدًا، فتركتهم لمصيرهـم وتغيرت ملامـح وجهها، وظهر عليهـا غضب لم ترَ به من قبـل، ثم حركت الكحيلة عيناها ونظرت لعطية وأمرته يخرج من الأرض الغربية لتدخل هي إليهم في الكهف:

– بدريسا: عطية.

لم تُنـهِ بدريسا نطقها لإسمه حتى عاد ثانية عواء ذئبًا لم ينقطع عنهم أبدًا، حيث صار أعلى مما كان، كأنه واقفا بينهم فزاد خوف عطية الذي عاد خطوات للوراء وزاد لهيـب بدريسـا، التي ظهرت ثورات غضبهـا على ملامحها، وصـارت كأنها شيطانة لا يراها أحدًا إلا أولئك الذين انتهت حياتهم:

– عطيـة: (ينظر لها ثم يعـود بعينه لمدخل الكهف، والخوف يسري في عروقه أكثر من دمائه).

– بدريسـا: اطلـع بـره ومحدش مـن المرازيق يجيلي هنـا، تدخلوا الحـي وتقفلوه عليكم، مش عايزة أشوف حد فيكم رجله تخطي بره، وخصوصًا ميرين، إنت فاهم؟!

– عطية: (يهز لها رأسه مطيعًا لها بما أمرت، حيث لم يمكنه لسانه من الرد عليها فغادرها وذهب).

فانتظـرت بدريسا عطية حتى يُغادر الأرض الغربية، ثم نظرت هي لمدخل الكهف، وسارت على منحدره حتى وصلت أمام ظُلمات سردابه، الذي وإن كان به شيئًا فلم يكن هنـاك غير جثث وبقايا أمـوات، فزاد غضب بدريسا واحمـرت عيناها وأسود وجهها، حتى صارت الغجرية شيطانة نفسها، حيث لم يكن لشيطان على الأرض تفلح وساوسه مـع التي كانت أكثر البشـر شرًا بحالتها تلك، وظلت بدريسـا واقفة ومعها صوت عواء ذئـب، غُجار سائدا مـن حولها كأن لا صوتًا على الأرض غير صوته، ولا مكان في غُجار إلا ويكـون بـه، فظلت الغجرية على حالها لم تتحرك منتظـرة لعوائه أن يستكين بعدما

أخرجهـا مـن دارها وأتى بها إلى هُنا، إلى أن توقف العـواء وتوقف معه صدى إنتشاره في سائـر غُجار وما حولها، فتقدمت بدريسا داخل الكهف، لتجد عزيز ورشدي مُغيبين عمـا حولهم، فسارت خطوات ثانيـة للأمام، حتى اختفى عنها النور تمامًا، وحل عليها الكهـف بظلامه وصارت العتمة في كل مـكان، فظلت الغجرية على هيئتها التي لا تتغير أبـدًا لأي ما كان، حتـى سكت كل شيء من حولها، فقالت بصوتها الذي تردد صداه في سراديب الكهف بأكملها:

– بدريسـا: لو حد من المالكية دخل غُجـار ورجله جابته لحد هنا ولسه فيه الروح، مش هيخرج من عنده ليوم الدين، ده إذا كان هيفضل عايش من بعد النهارده أساسًا.

وأنهـت بدريسـا كلماتها وعـادت للخلف قليـلًا، وأيقظت عزيز ليعـود معها للحي حاملًا العراف.

"دار بدر"

٠٠:٩ ٨٠٠٢/١١/٧٢ صباحًا

نصل بنت الغجر.

"بقية حديثهم في منزل بدر"

– حازم: شُفته؟!

– فهد: لا، ضربني بكعب رجله وكمل جري، سابني أخد الشال ومخلانيش أشوف وشه.

– فهد: دي اللي شوهته كده.

– حازم: اه.

– فهد: حازم!

– حازم: حدفني بخنجر قبل ما يجري.

– فهد: الخنجر ده فين؟!

- حازم: أهو جوا

- فهد: حازم!

- حازم: أيه يابني مالك؟!

- فهد: الخنجر ده كان عليه حاجة!

- حازم: إيه! عليه حاجة إزاي يعني؟!

- فهـد: "لم يجبه وظل ينظر للخنجر ويتأمله جيـدًا، واستنشقت أنفه شيئًا غريبًا فناداه حازم ثانية".

- حازم: فهد، سم صح؟!

"نظـر إليـه قليلًا بعدما استنشـق رائحة غريبة تعلق آثارهـا على يد الخنجر، بعدمـا سقـط من يـد الغجري فأجابـه بعدما تغيرت ملامحـه للقلق وعينـاه تنظر لما بيده، ليفكر في أمر ذلك النصل الغجري".

- فهد: اه!

- حـازم: (ظهـرت ضحكات بسيطة علـى وجهه فجأة، كأن فهـد لم يبلغه بما بدأ يسير في جسده).

- فهد: حازم أنا ما بهزرش.

- حازم: ولا أنا.

- فهد: صحي بدر.

- حازم: بدر!

- فهد: اسمع كلامي بس، قعده معايا على الكرسي وفوقه.

- حازم: صحيه إنت عقبال ما أرجع.

- بدر: رايح على فين يا حازم؟!

"تحـدث لهـم الصعيدي فجـأة بعدما بدأت آثار الضربـة التي سكنت رأسه في الزوال عنه وعاد لوعيه".

- حازم: عم بدر!

- فهد: إنت صحيت إزاي، دي دماغك مغرقة الدنيا دم.

- بدر: عمري الشقي بقى يابني.

- فهد: ده إنت بسبع أرواح يا عم بدر.

- بدر: ومين فينا هيعيش عُمر زيادة على اللي مكتوبله ياولدي؟!

- فهد: واضح أن عُمرك لسه له بقية يا عم بدر.

- بدر: بس عمر اللي زيكم بقيتهم بتبقى معدودة.

- حـازم: (ينظـر له ويتابع حديـث الصعيدي الذي وكأنه مُعتـاد على ما حدث له منذ قليل).

- بدر: خُد يا حازم وريني اللي في رجلك.

- حازم: إنت صحيت من امتى.

- بدر: من ساعة ما دخلتوني من تاني إنت وصاحبك.

"فينظر كلًا من فهد وحازم لأنفسهم ويصمتوا بعد حديثه".

- بدر: أيه اللي جابك من تاني أرض المرازيق يا حازم؟!

- حازم: إنت.

"بـدأ بـدر يخرج من غيبتـه التي ما زالت تؤثر عليه قليـلًا، وأيقظ وعيه كلام حازم عنه".

- بدر: لا ياولدي إنت مش جايلي أنا، إنت جاي لقضاك.

"قـال لـه بدر ذلك بعدما قام مـن مكانه، ولاحظ وجود خنجرًا ملقى عند باب

غرفتــه، وكان في يـد عادل الـذي هجم عليه ليقتلــه به، فمسكه الصعيـدي وقربه من وجهه، ونظر إليه واستنشق العقار الغريب الذي على نصله، فقام مسروعًا، وبدأ يسير في كل ناحية في داره".

– فهد: ده سم بجد يا بدر صح؟!

– بدر: إنتوا أيه اللي كان جابكوا تاني للأرض دي؟!

"تحـدث معهـم وهو غاضبًا حيث ألقـى بالنصل سريعًا، وذهـب يفتش عن ما يعطيه لحازم حتى يداوي جرحه به، قبل أن يسير السم في بقية جسده فعلا"

– فهد: رد عليا يا بدر ده سم؟!

– بدر: مش عارف.

– فهد: نعم! مش عارف إزاي أومال رميته فجأة ليه، وجريت تدور في كل حتة كده.

"تـدور أحـداث هذا الحوار كلـه بين بدر وفهد، أما حـازم كان في مكانه لا رد فعل له ولا حديث".

– بـدر: الخنجـر ده من بتوع ميريـن وبدريسا، والريحة اللي عليـه ده المخدر اللي دايمًا بتحطه ميرين على الخناجر اللي بتشيلها.

– حازم: ولما هو مخدر بس إنت خفت كده ليه؟!

– بدر: في ريحة غريبة محطوطة معاه، وطالما الخنجر ده اتسرق من ميرين عشان أتقتـل أنا بيه، فزمانهم حطـولي عليه كمان سم، موتي أنا اللي كانوا قاصدينه، عرفت بقى أنك جيت لقضاك.

– حازم: عايز تفهمني أن ميرين دي ما بتستخدمش سموم على سكاكينها.

– بـدر: ده اللي يعرفه كل الغجر يا ولدي، لكن محدش يعرف إنه بيبقى مخدر بس غيري أنا وبدريسا وطه الأخرس خدام المرازيق.

– فهد: طب ما طالما هما عارفين إنها بتحط سم هيحطولك ليه حاجة تانية كمان؟!

– بـدر: مشـ عارف بس أنا شميت ريحة غريبة، ومش هسيبه يموت قدامي وأنا في إيدي ألحقه.

– حازم: يعني ماجيتش لقضايا زي ما إنت بتقول أهو.

– بدر: وإنت فاكرك بعد اللي عملتوه في عادل وأمين دول هيعدي على المرازيق كده بالساهل.

"لمحت عقولهم مرور أسماء الملثمين الذين هجموا عليهم، بعد أن فلت لسان بدر ونطقهـا أمامهـم، حيث كان يريـد إبعادهم عـن أي شيء له صلـة بالمرازيق، فلاحظ الاثنان ذِكر الصعيدي لأسماؤهم فصمتا بينما تركوه يكمل بقية تفتيشه في باقي الدار، حتى وجد له ما يأمل في أن يشفيه".

– بدر: ابلع شوية الدوا اللي في الأنبوبة دي كلها.

– حازم: أيه ده.

– بدر: اسمع كلامي وإنت ساكت اشرب ده وهات دراعك.

– حـازم: (يطيعه ويفعل ما أمره به وبينما أنهى شراب العقار الذي ألقاه بدر عليه وجده آتيا له).

فيصمـت حازم وينظـر لفهد الذي أشار لـه بقبول ما يطلبه الصعيـدي، فأعطاه ذراعـه فحقنه الصعيدي بعقـار ثاني في وريده، أملأ في وقف مفعـول أي شيء قبل أن يجري بعروقه.

– بدر: إنتوا لازم ترجعوا من مطرح ما جيتوا الليلة.

– حازم: عشمانة ماتت إزاي يا بدر؟!

"سقط الأنبوب الذي كان يحمل عقار حازم من يد الصعيدي فور سماعه لهذا الاسـم، وتوقـف فجـأة مكانـه ودار ببطأ، وظـل ينظر له كأنـه يلومه علـى سماع تلك السيرة الآن بعدما عفا عليها الزمن".

- حازم: أيه، الاسم مش غريب صح؟!

- بدر: مفيش حد في البلد دي كلها غريب على اللي في الأرض هنا.

-فهد: تعرف أيه المرازيق ما يعرفوهوش يا بدر؟!

- بدر: أيه!

بدأت سكك المرازيق تنفتح أمام حازم وفهد، وما كان يتمنى بدر أن يفعل أحد من الغرباء على أهل غُجار، حيث ما يخرج سرًا عن الغجر إلا وكان مكتوب لمن يعرفه، إما أن يكون له نفس مصير هذا الصعيدي، أو يجاور من كانوا على سائر الطريق بالخارج راقدين في مقابرهم، حيث ما فُتحت مقابر غُجار في يوم إلا وكانت لأولئك الذين عرفوا، ما كان ينبغي أن يظل للأبد مخفيًا عنهم.

- حازم: أنا وعدتك قبل كده أني مش هاجي الأرض دي، إلا لو حصل وحد منهم جه هناك، صح؟!

- بدر: مين اللي راح هناك من المرازيق؟!

"وقع بدر ثانية في مصيدة حازم له، حيث ابتسم فور سماع هذا السؤال من بدر الذي قاله متعجبًا".

- حازم: كنت غريب عنهم وهتفضل لآخر عمرك كده -كلمة جواهر التي قالتها لبدر من قبل-

"يدرك بدر جيدًا أن ليلة دخول حازم عنده الدار لن تمُر كباقي الليالي، حيث أعاد حازم عليه الآن كلام جواهر، الذي سمعه يدور بينها وبينه وهو عنده هنا بالداخل، فيعود بدر للهدوء مثل بقية حال المرازيق، الذين يجعلوه دائمًا غالبًا عليهم قبل أن يفعلوا أي شيء، فيبتسم الصعيدي لحديثه ويرد"

- بدر: أيه سكت ليه، مش عايز تكمل باقي كلام الخدامة!

– حازم: أنا ما يهمنيش كلامك معاها، ولا يهمني أعرف إنت في أيه بينك وبين المرازيق.

أنـا كل اللـي عايزه حاجتين اتنين بس يا بدر، ومش هتشوف وشي تاني، فا لو إنت بجد عايزنا نبعد عن هنا لازم أسمع الرد منك.

– بدر: ما بتسألش نفسك إنت وهو أيه اللي مخليني راضي بحالي كده؟! من شوية أهو كنت هموت ومحدش هيسمع عني حاجة ولا يعرفلي طريق جُره، وكان هيبقى آخري أني أتدفن في قبر من القبور اللي مفيش أكتر منها في الأرض الملعونة دي، ماجاش مرة على بالك، قبل ما رجلك تجيبك هنا كل اللي بيحصلي ده قابله وساكت ليه؟!

– فهد: ولما إنت تعرف عنهم بلاوي كده، ليه سايبينك في أول بيت منك للبلد على طول؟!

– بدر: عشان حلمهم أني أسيبهم في يوم وأهرب، وساعتها هيقتلوني بنفس راضية.

– حازم: تعرف أيه عن عشمانة يا بدر دي آخر مرة هسألك، أن كنت عايزني أبعد فعلًا عنهم دلني.

– بدر: وإن كان في حاجة أقدر أقولهالك هتفيدك، كان زمانك سمعتها.

حـازم: إنت تعرفها كويس يـا بدر، أول ما سمعت اسمها وقعـت الأنبوبة من إيدك ووشك كله اتغير.

– بـدر: أن كان اللـي هقوله ده هيوديكم للموت، فا أنا احسنلي إنكم تروحوا تموتوا بعيـد عني، أنـا مش حمل ذنب روح تاني تـروح مني، كفاية اللي سبتهـم يروحوا قدام عينـي مـن زمـان، وأنا مش قـادر أعملهم حاجـة، أن كان في حاجة عايـزني تعرفوها اختاروا حاجة تكون بعيدة عن المرازيق.

– بدر: وعلى فكرة، محدش فيكم خارج من هنا.

– حازم: نظر له نظرات غريبة حيث ظن أن بدر، وكأنه يهُددهم بحبسهم عنده.

– بدر: لو بصيتوا من الشباك هتلاقوا المرازيق في كل حتة في أرض الغجر دلوقتي.

– فهد: يقوم على فجأة وكأنه قد سمع أن المرازيق كأنهم سوف يأتون إليهم لداخل الدار.

– بـدر: مـا تخافش، بعد اللي عملوه معايا محدش منهـم هيفكر أساسًا يقرب من البيـت هنـا، هُما مفكرني موت وافتكروكم إنتوا كمان جيتـوا عشان تجروا شكلهم بس وتهربـوا من تاني، يعني هيحوموا حوالينا بـس محدش هيقرب من الدار، اقعدوا لحد بالليل وساعتها اخرجوا لمطرح ما تحبوا.

– فهد: بدر! لم يطمئن فهد لكلامه تلك المرة، ووقف عاصيًا لحديثه متعجبًا لما يقوله.

– بدر: فكركم هيبقى لسه عندي نية لأذيتكم بعد ما لحقتوني من الموت!

فينظـر فهد وحـازم للصعيدي الـذي فتح لهم بـدروم المنزل وأودعهـم فيه حتى المغـرب، ويكـون النور قد غـادر أرض غُجار وقتهـا، ويعود الغجر لداخـل حيُهم ثانية، فسار حازم في صمت، ونزل للبدروم وجلس وحده مبعدًا نفسه عن أي أحد، وتبعه فهد الـذي هبط وراءه فوجـد صديقه ينأى بنفسه في إحدى الزاويـات، فتركه لهواه وجلس بعيدًا عنه، وساد الصمت بينهم بالأسفل، وانغلق البدروم عليهم.

"في حواري غيبتها"

2008/11/27 3:00 عصرًا

انتهاء أثر النصل الغجري.

لم يرها أحدًا منذ عودتها للقصر، غير عمها والخادمة التي كتب لها أن تشفى على يديهـا، ووردة التي أودعتهـا غرفتها ولن يخرج أو يدخل منها أحـدًا غيرها، فلا أمان مـن بعـد لمن في العشتار، بعدما سمعـت وردة لحديث عن المالكيـة فخافت على إسراء مـن الخادمة، حتـى بعد قيامها بشفائها، وما كان سيُكتب لإسراء شفاء إلا على يديها، فصارت إسراء وحيدة نفسها في غُرفتها، التي خلت من كل روح غير روحها، التي باتت في جسدهـا ساكنة لا حركة لها، تاركة لها حبل ذكرياتها على الغارب، فظهرت إسراء

أمـام نفسها، كأنها تـرى روحها وهي نائمة لكن منذ عشريـن عامًا، وقتما كانت طفلة صغيرة، حيث قامت روح إسراء من جسدها النائم أمامها ووقفت أمام سريرها، الذي يرقد عليه جسدها، وظلت تنظر لنفسها حتى بدأ الزمن يعود بإسراء للماضي، وروحها واقفـة تُشاهدها، وظل الزمن يـدور حتى عاد لليلة الثامن من يناير، تلك الذكرى التي حاولت روح إسراء التخلص منها، لكن كانت الغُرفة مُحكمة عليها، فأبعدت روح إسراء نفسها قليلًا، نفسها عن تلك الطفلة النائمة أمامها، حتى مر القليل وبدأت الروح ترى ما حدث لتلك الطفلة الصغيرة منذ عشرين عامًا،

حيـث ظهر لإسراء شريـط أحداث تلك الليلـة من بدايتها، فرأت الـروح "إسراء الصغـيرة" حينها نائمـة على سريرها تلـك الليلة، جاعلة غطائهـا يفترش عليها من أولهـا لآخرهـا، فتوقفـت أمام منظرها هذا الوقـت، حتى بدأت تجد طيفًـا غريبًا من الظـلام، يفتـح بـاب الغُرفة الذي يقابـل باب غرفة أنوريـن، ويأتي عليهـا فتفزع روح إســراء، وهي تشاهد نفسها تلك الليلة فيزداد أنينهـا وهي نائمة، فتتمالك روح إسراء نفسِهـا حتى وجدت هذا الطيف يتحول أمامها لإمرأة غريبة الملامح، تسير نحو إسراء الصغـيرة ليلتهـا وهـي تحت غطائهـا، فوقفت أمامها قليـلًا تنظُـر إلى حيثما تختبئ الطفلـة في سريرهـا وانحنت المرأة برأسهـا قليلًا عليها، وقالت لهـا في صوت مبحوح ونبرة كانت غريبة على أذن الصبية:

- "كفاياكي نوم"

ففزعـت روح إسراء فـور رؤيتها لما حدث لها تلك الليلة، وظلـت في مكانها تشاهد طيف المرأة الغريبة، وهو يترك الصبية تصرخ أسفل غطائها، ويخرج من الباب الآخر للغرفة الذي بجانب السرير.

فسُرعـان ما عـادت روحها لجسدها حيـث لم تتحمل أن تتذكر ما حـدث ثانية أو

تُفكـر فيه، وفور ما عادت الروح لمكانها ثانية فتحـت الغائبة عينها، واستيقظت إسراء بسريرها لكن لم تُحرك ساكنًا.

بينما كان هُناك الكثير على وقت رجوعها من غيبتها، التي توقعته لها جواهر، وكل مـن بالقصر جاءتها رؤيا تلك الحادثة، لتخرج إســراء من غفوتها وتفتح عينها للنور، ودارت بنظرِها في غرفتها فلم تلمح غير أشعة الشمس، التي زارتها وآنست وحدتها في تلـك الغرفة، وبعـد رجوعها لوعيها ثانية أعادت إسراء التفكير فيما رأته منذ قليل وما حـدث لها بالماضي، حيـث كان هذا الحلم تفسيرًا لما حدث لها يـوم الثامن من يناير، لكنهـا ظلت تجهل هوية صاحبة الطيف الأسود، الـذي رأته في منامها داخلًا إليها من باب غُرفتها، ويخرج من الباب الآخر الذي على يمينها، فظل عقلها يعيد عليها التفكير في تلـك الحادثـة، حتى انتهى منهـا تمامًا، فمسحـت إسراء دموعًـا خفيفة نزلت من عينها، وتحسست مـكان جرح كتفها، الذي وجدته مُضمدًا ولا شيئًا يحتاجه سوى أيام قليلـة ليلتئم ثانية، فتحول عقلها من ذكريات ليلة يناير إلى الخادمة التي ألقت هويتها أمـام إســراء، وصارت غجرية بعدما أبلغتها كل شيء عـن أهلها، ثم أعاد عقلها عليها أخبـار المرازيق كلهم، وما فعلته مع أحدهم الليلة الماضية، وتوقفت كثيرًا عندما حدث بينهـا وبـين ميرين، التي لم تعرف صديقة في طفولتهـا غيرها، فتغيرت ملامح وجهها إلى عبوسـ أكـثر، وأخرجت النصل الذي سكن جسدها، حيـث كانت تخفيه عن أعين جواهـر قبل أن تدخل لها العشتار، فأظهرته بلمعانه أمام عينها، وظلت تنظر له كأنها تحدثـه عن حالها وحال صاحبته بنت الغجر، وبعدها أخفته ثانية وظلت على حالها في سريرها لا حركة لها ولا شيء فقط غير عيناها، التي تدور فيما يتواجد حولها بالغرفة.

"كهف غُجار"

2008/11/27 5:30 فجرًا

أبعثتهم من جديد.

عـادت بدريسا من داخل الكهـف إلى مكان سقوط عزيز ورشـدي، فوغزت عزيز بقدمهـا فعـاد لوعيه، وهو لا يرى حولـه إلا الظلام، ولا يسمع من صوتـه إلا نحيب أثر الرعـب، الذي دب في قلبه بسبب وجوده في هذا المكان فانحنت عليه بدريسا، وأمسكت رقبته وتحدثت له.

- بدريسا: لو سمعت صوتك مش هتخرج من هنا، إنت سامع.

- عزيز: بدريسا إنتي بدريسا.

"لم يستطـع أن يمُيـز صوتها في تلـك الأوقات، بسبب ما كان عليه فقال اسمها كانـه أول مرة يعـرف النطق طيلة عمره، فخـرج اسم الغجرية من فمـه متقطعًا حتى أخرست بدريسا ضجاته ثانية".

- بدريسا: قولتلك لو سمعت صوتك هسيبك هنا للموت إنت وهو، سامع؟!

- عزيز: سامع سامع، حاضر.

- بدريسا: امسك.

- عزيز: امسك أيه؟! أنا مش عارف أشوف حاجة.

-بدريسا: خُد أهي.

"فأمسكت بدريسا بيده وبيدها الأخرى أمسكت يد رشدي العراف، وأعطتها له"

- بدريسا: شيله واطلعوا بيه من هنا يلا.

"عاد لعزيز جزءًا قليلًا من سكينته، التي جعلته يستطيع أن يتكلم بهدوء مع بدريسا".

- عزيز: وإنتي هتعمل أيه؟

- بدريســا: بعــد مــا تطلع بره الأرضــ الغربية تقفــل بابها وتمشــي، ادخلوا الحي ومحدش فيكم يخرج اللي هلاقيه بره الحي، مش هيطلع عليه صبح، فاهمين؟

- عزيز: بدريسا.

"تعجــب عزيــز من كلامهــا حيث لم يتخيل أنها ستقضــي أوقاتًا أخرى في هذا السرداب، الذي امتلأت به العظام والجماجم".

- بدريسا: خد رشدي وروح يا عزيز، خده وروح.

"فصمت الغجري لكلامها حيث لم يقدر أحد في يوم أن يُغير رأيها أو يَعند على مــا أمرتــه، كما أنــه لم يقدر علــى إطالة وجــوده في هذا المــكان، الــذي لم يُكتب على أحد منهم من قبل دخوله.

فأخــذ عزيز رشــدي وسار به للخارج، حتى وصل للضــوء فرفعه على كتفه، وأكمل الطريق به على المنحدر، حتى أوقفه صوت بدريسا، وهي بأول مدخل الكهف".

- بدريسا: عزيز.

"فتوقف وأدار وجهه له وهو على كتفه العراف ولايزال وعيه مفقودًا".

- بدريسا: دخل رشدي أوضته وأقفلها عليه، محدش فيكم يقرب له.

- عزيــز: (تظهر علامات التعجــب على وجهه، حيث يظــن أن العراف يحتاج لمن يداويــه مــن تلك الجــروح، وخاصــة إذا بدأ يسير في جســده سمًا مــن سمومهم الذي اعتادوا عليها).

- بدريسا: رشدي ما اتسممش، دخله أوضته بس واقفلها عليه زي ما قولت.

- عزيز: يهز رأسه لها مجيبها لما طلبت منه.

ومشى عزيز بقية طريقة مغادرًا أرض الغرب وبدريسا تراقبه عيناها، حتى وجدته يخــرج منها ويقفل بوابة أرضــ الغرب عليها، دارت عيناها في سائــر الأرض كلها، ثم

أعادتهـا ثانية لمدخل الكهـف المظلم، وسارت ناحيته حتى بـدأت تدخله، وبدأ جسدها يختفـي عنه الضوء فشيئا حتى انتهى أثرها تمامًا، وباتت الغجرية هي ومن بالسرداب وحدهم وخلت عليهم أرض الغرب.

"قصر العشتار"

2008/11/27 4:00 عصرًا

بعد أن عادت لهم بجرح ونصل.

كانـت تجلسـ ليلى وهنا بغرفة أنورين، ليلى شريـدة بذهنها في حال إسراء، الذي تخفيـه عنها وردة وهنا متشتتة على حالها بين إسـراء التي لا تعرف عنها شيء أيضًا، وبـين حـازم وفهد حيث بتأخر حـازم عنها، ظنت أنه أعاد نفسـه ثانية لتلك الغجرية، التـي رأتها معه حين قدومهـم منذ يومين للعشتار، فظلت كل منهمـا على حالها، حتى طرقت يد على باب غرفة أنورين فقامت ليلى.

- ليلى: تعالي يا وردة.

- وردة: ليلـى أنـا آسفة على اللي حصل مني الضهر، أنا بس مش مستحملة حاجة تاني تحصل.

- ليلى: ولا يهمك يا وردة محصلش حاجة بس عشان خاطري طمنيني، إسراء مالها؟!

"فستبـدأ وردة تبـوح لليلى بما حدث وهَنا على حالها أمام النافذة، تجلس على كرسيهـا غارقـة في ذكرى مشهـد الغجرية، التي رأتهـا أمام قبرها خائفـة من عودة حازم ومعه فهد لها ثانية"

- وردة: إسراء رجعت الصبح متعورة في كتفها والدم مغرقها من أولها لآخرها.

- ليلى: أيه متعورة.

"جذبت كلمات ليلى وفزعتها بعدما سمعت خبر إسراء آذان هَنا التي تركت ما

أخذ عقلها، وانتبهت لحديث بنت عشمانة عن إسراء التي عادت لهم بجرح ونصل"

- هنا: مالها إسراء.

- وردة: كانت عند الغجر (ما قالته كان كفيلًا على هنا حيث سيُعيدها لانهيارها ثانية).

- هنا: لا أبوس إيديكم كفاية عليا، اللي عمال يحصلي من ساعة ماجيت هنا ده.

- وردة: اهدي يا هَنا، إسراء بقت كويسة ونايمة جوه أهي.

- هنا: وأيه اللي كان وداها هناك؟!

- وردة: وإنتوا يعني مش عارفين نشفان دماغها وعِندها.

- ليلى: متعورة إزاي يا وردة؟!

- وردة: كتفها فيه جرح غريب، مش عارفة من أيه بالظبط.

- ليلى: وفهد لسه مرجعش، أومال مين اللي لحقها؟!

- وردة: واحدة منهم.

"عاد الرعب يدب في قلب هنا ثانية، بعدما أتت بنت عشمانة بسيرة عنهم ثانية".

- هنا: مين دي اللي منهم.

- وردة: إسـراء كان احتمـال تكـون مسمومـة في جرحهـا، بـس لمـا لحِقتِها قالت مافيهاش حاجة.

فبـدأ صوت هنا يضعف شيئًا فشيئًا حتى خـرج منها الكلام مبحوح وضعيف، كما حدث لها في نفس ذات الليلة، التي تواجدت فيها بشقة جارتها شيماء وهي تقتل.

- هنا: مين اللي لحقتها؟!

- وردة: جواهر واحدة من المرازيق.

"فشقهـت ليلـى وقامـت مفزوعة مـن سماعها لهذا الخـبر، وزاد الضعف على هَنـا حيث تألم قلبهـا، وضاق النفس عليهـا فذهبت بيدها نحو قلبهـا، وضغطت عليه

لتسكت آلامه، التي كتمتها في داخلها طويلًا وبدأت تظهر بالضعف والهزل عليها".

- هنا: بس مش هي دي اللي أنا وحازم شوفناها وإحنا جايين.

كانت وردة واضعة عينها في الأرض، تتحدث في ندم على حال إسراء، تشاركها ليلى في شعورهـا، لكن مـا قالته هَنا أخرجهم هما الاثنتان مـن حالتهم تلك، فتعجبت ليلى من كلامها، ورفعت وردة عينها ونظرت لهَنا وقامت مسرعة عليها، وأمسكت يدها لتسألها.

- وردة: مين دي اللي بتتكلمي عنها يا هَنا، مين اللي شافتكم؟!

- هنا: واحدة في طريق التُرب كانت قاعدة في المقابر،

كانـت تلك الكلمـات كافية علـى وردة، حتى تسكنهـا إلى حيثما كانـت فلم تشعر بنفسهـا، وهـي تجلس على الأرض حتى لا تسقط بعدمـا سمعت خبر رؤية بدريسا لهنا وحازم في لياليها العشر.

- وردة: أيه! بدريسا شافتكم؟

- ليلى: مين اللي قولتي اسمها دي يا وردة، واترعبتي كده ليه؟!

"شاركـت ليلـى هَنا في شعورهـا بالخوف، وصارت كلماتها هـي الأخرى تخرج في خفـوت بصـوت هـادئ، كأن حديثهـم يتصنت عليـه أحـد، ويحاولون هـم إخفاء كلماتهم عنه".

- وردة: دي اللي قتلت أمي.

- ليلى: أيه.

- هنا: حازم! حازم وفهد.

- وردة: مالهم حازم وفهد يا هنا، إنتي تعرفي هما راحوا فين؟!

- ليلى: إحنا كدبنا عليكي يا وردة.

"فنظرت لها وردة وعينها ممتلئة بالغضب والخوف في آن واحد".

- ليلى: وحازم وفهد كمان كدبوا علينا.

- وردة: هما فين؟!

- ليلى: كانوا هيروحوا قبر أنورين زي ما إسراء طلبت قبل كده بس لا، كدبوا علينا ومش هناك.

"ذهبت وردة بأعصابها مع الريح، وتبدل حالها وصار الغضب سائدًا على كل ما فيها وارتفع صوتها".

- وره: مش هناك، مش هناك إزاي يعني؟!

- ليلى: وإحنا راجعين للقصر عدينا على المدافن بتاعكتم مالقينهمش.

- وردة: راحوا عند الغجر.

"فخرجت دموع ليلى باقي حديثها لوردة، حيث كان بكائها ندمًا على ما قالته كذبًا لها منذ حين".

- ليلى: أيوه.

- وردة: رحتوا برجليكم من تاني يا حازم، إنت وفهد لبدريسا من بعد ما شافتكم

"قالت وردة تلك الجملة كأنها تحدث نفسها، وهَنا على كرسيها كما هي تائهة فيما تسمع".

"أرض غُجار"

2008/11/27 5:30 ليلا

على ذكِر سيرة الغجر.

ظلت بدريسا بالكهف قرابة اثنتا عشرة ساعة، فمنذ أن كانت الساعة الخامسة والنصف فجرًا حتى الآن، فبعد أن أخرجت عزيز والعراف من السرداب، وأنقذت حياتهم وغادروا أرض الغرب كلها وأُغلقت عليها، دخلت هي بين ظلمات ليس لها أول

مـن آخر، وظلت بها طوال تلك المدة ولا لأحـدًا من الغجر يقدر على ترك الحي، ويأتي لهـا ليرى سبـب تأخُرها لكل تلك المدة، ومع بدأ غروب الشمـس وحلول الليل على تلك الأرض خرجت بدريسا ثانية من الكهف في وسط عواء ذئبه، الذي لم ينقطع بمجرد أن خرجـت هي من السرداب، وظـل الذئب يطلق عواءه من الداخل، حتى وصلت الغجرية لبوابـة الأرض، فعـادت بنظرها على الكهف، الذي لم يظهـر حوله إلا الظلام، فسكت العواء مجرد ما ألقت عينها عليه، وتركت البوابة على مصراعيها وعادت للحي، لتجد عزوتها جالسين بداخله، فإذا ما انفتحت أبوابه أمامها، وجدتهم جالسين ينتظرونها، مُختفيـين بحالهم وسط الظلام، وفي آخر أرضهم كما أمِروا، فأظهرت بدريسا نفسها لهم وسط ضوء القمر، الذي أنار عليهم حيُهم.

– بدريسا: أيه اللي مقعدكم كده؟

– عطية: بقالك ساعات بره يا بدريسا، أيه اللي جرى؟!

– بدريســا: أرضـ الغرب معادتش لينا يا عطية، اللـي هيقرب منها ولا حتى يعدي من جنبها هيتدفن فيها.

– عطية: مش أرض الغرب بس يا بنت أبوي.

"فمـرت عليهم الغجرية بعينها فوجدتهم جميعًا أمامها، عدا رشدي حيث يظل راقـدًا بغرفتـه، وعـادل الـذي تـرك حـازم آثـارًا على وجهـه، كمـا فعلت إسـراء في العراف، وأيضًا فايزة ومنال خُدامِها".

– بدريسا: أخوك فين يا أمين؟!

"يصمت قليلًا بعدما سألته بدريسا، ومن ثم نظر لعطية وبعدها قال"

– أمين: اسألي عطية.

– بدريسا: أنا بسالك إنت مش بسأل عطية؟!

"فهمت بدريسا من نظرته لعطية وطريقة كلامه أن شيئًا دار بين الاثنين متفق عليـه، ليقـول لـه أمـين أمامها عـن أخيـه، التي أكلـت النار وجهـه، ففضـل أمين أن يخبرهـا شيئًـا من الحقيقة وليسـت الحقيقة كلها، ولكن أيضًا ليسـ الآن حتى لا يلغي إتفاقه مع عطية، الذي لقنُه ما سيقول أمام بدريسا".

– أمين: خلصي كلامك ويا بقية المرازيق، وأنا هبقى أقولك بعدها.

– بدريسـا: أنـا مليش كلام أقوله ليكـم تاني، غير بس أن اللـي هيقرب فيكم من أرضـ الغرب هسيبه لحال سبيلـه، وإن كان أي حد فيكم هيدخلهـا تاني هيموت، وأنا مش هدخل ألحقه.

فنظـر المرازيق لبعضهم وأحمـرت وجوهم، وارتعشت بشيء مـن الرعب، وبعدها عـاد كلًا منهم لمنزله، بعدمـا أغلقوا أبواب الحي عليهم، وبينمـا تذهب بدريسا لمنزل العراف، لتراه سارت نحوه وقبل أن تدخله أوقفها أمين.

– أمين: في واحدة غريبة ظهرت النهارده الصبح في طريق القبور يا بدريسا.

– بدريسا: غريبة! إزاي؟!

– أمـين: غريبة علينا يا بدريسا غريبة عن غُجار، وعن كل الغجر اللي فيها، كانت بتظهـر وتختفـي قدامـي كأنها عارفـة كل شبر في الأرضـ دي عارفة هـي جايه منين وهتروح لفين.

"كان حديث أمين كأنه يوصف لها إحدى الغجريات التي عرفتها بدريسا جيدًا، بـل والأقـرب منهم لقلبهـا، ولكنها تعجبت مـن تصورها لتلك الغجريـة الآن، حيث لا يكون لتفكيرها أي صلة بالواقع".

– بدريسا: كمل.

– أمـين: كانـت لابسه لبس راهبات، كأنهـا واحدة جايه من ديـر أو كنيسة علينا،

ظهرت شوية في القبور، واختفت كأنها ما دخلتش أرض الغجر من أساسه.

- بدريسا: أيه اللي حصل لأخوك، ومين اللي عمل فيه كده يا أمين؟

"كانـت عـين بدريسـا وهي تقـول سؤالها لـه، وكأنها تخبره بـأن أي شيء غير الحقيقـة سيقولـه لها فإنها ستعـرف في الحال، وحينها لن يكتب لـه حسن مصير إذا كِذب هو عليها".

- أمـين: أنا زي مـا قولتلك كنت في القبور ما شفتش حاجـة غير الكاهنة دي، ولما أخويا يصحى ابقي اساليه إنتي.

أنهى كلامه لها بتلك الكلمات وتركها وغادر لمنزله، الذي يسكنه مع أخيه حيث لم يرضَ أن يبُلغها الحقيقة كاملة، فأخفى عنها خبر ذهابهم للصعيدي ومحاولتهم قتله بخنجـر ميرين، بعدمـا سرقه عزيز وأعطاه لهم، حيث طلـب منهم قتل بدر في منزله وتركـه من بعد عنـد مدخل أرض الغرب، حتى يُشاع أن انتهـاء أمر حياته كان على يد ميرين، التي أغوته وقتلته ناحية كهف أرض الغرب.

فسمعـت منه بدريسا حديثه، وهـي تبتسم ابتسامتها المفضلة التي نادرًا ما فارقت وجههـا، حيث كانـت تعرف أن جـزءًا من الحقيقـة اختبئ في حديثه، ومـن ثم تركته لسبيله ودخلت منزل العراف:

- بدريسا: لسه ما فاقش يا فايزة.

-فايزة: لا لسه، هو شكله شاف حاجة قبل ما يت...

- بدريسا: فايزة! (لم يكن يسُمح لهم حتى بالحديث عن الكهف أو ما به).

-فايـزة: آسفة يـا بدريسا بس هو مش طبيعي، شكل حـد حقنة بحاجة منال لقت على دراعه الشمال مكان دوا تخدير أعصاب اتحقن بيه.

- بدريسا: عارفة.

-فايزة: عرفتي منين دي منال لسه...

- بدريسا: قولتلك عارفة خلاص.

"فأسكتتهـا بدريسـا ونظرت لمنال التي تنُسـج خيوطها على جروح وجه العراف لتوقف نزيفها".

- منال: أيوه

- بدريسا: اديتيله اللي قولتلك عليه.

- منـال: مش هيفوق برضو، لازم مفعول اللي في جسمه يروح عشان أتحقن بكمية مش قليلة.

- بدريسا: خلصتي خياطة؟!

- منال: اه خلاص، بس وشه متبهدل على آخره.

- بدريسـا: طب سيبوه واطلعوا إنتوا، مش عايـزة أشوف واحدة فيكم بره أوضتها الليلة دي.

فتركتهـم بدريسا يُغادروا لغُرفهم وظلت وحدها مـع العراف بغُرفته، فظل جسده معها وروحه غائبة. عنه منذ أن كانت في أرض الغرب، منذ ليلة أمس

- بدريسـا: عمـر اللي في جسمك ده ما كان هيخليك تنام ثلاث عشرة ساعة، على الله ما يكونش اللي في بالي هو اللي شافك وعمل فيك كده.

"تحدثـت بدريسـا وهي تنظر له كأنها تحدث نفسها عـن حاله، الذي تأمل أن تكـون غيبتـه بسبـب ما دخـل جسده فقـط، ولا يكـون الشـيء الآخر، الـذي يدور في بالها هو السبب، وظلت تنظر لوجهه الذي تقطع عن آخره، وكثرت به الندبات والغرز، التي قامت فايزة ومنال بخياطتها في جروح وجهه، بعدما علمتهم بدريسا إياها جيدًا، وصاروا ثلاثتهم فقط من يداوون المرازيق وما بهم، وبعد مُدة بدأ يشد انتباه الغجرية،

تحـرك أعين العراف وأصابعـه، وبدأ آنين صوته يعود ثانية بعدمـا كتمته إسراء عليه، وهو معها في أرض الغرب، فصارت بدريسا تُراقبه وهو يعود من غيبته بين يديها، حتى عاد لها العراف وفتح عينيه أمامها، ودارت في غرفته وكأنه لا يدري بشيء ولا يفهم ما حولُه، حتى جاءت عيناه على عين بدريسا، التي أظهرت ابتسامتها المعهودة له بعدما اطمأنت:

- بدريسا: حمدالله عالسلامة.

"عودة لحارة مصباح"

2008/11/27 6:00 مساءً

يوم أن قُتل ثلاثة.

نـزل إليهـم بدر بعدمـا غربت الشمـس عن غُجـار، ففتح البـدروم ليجدهم على حالتهـم، التـي تركهم عليها كأنـه أودع تمثالين بهذا المكان، وليسـوا إناسًا من البشر، حيـث فـور ما انفتح البـدروم ثانية، ونزل لهم بـدر نظر له حازم قليـلًا دون أن ينطق بكلمـة، ثم قام وخـرج من الدار ليسير ناحية باقي دروب غُجـار، ليدخلها فحاول فهد مسرعًـا أن يخرج وراءه، ليتبع أثره متناسيًا كل ما كان يدور ببباله، بعدما سمع من بدر كلمة تعلقت بذهنه، لكن الطبيب توقف ثانية ونسى أمر حازم وعاد لبدر.

- فهد: إنت قولت أيه الصبح يا عم بدر قبل ما ندخل البدروم.

- بدر: قصدك على أيه؟!

- فهـد: "مشـ حمل ذنب روح تانية تروح مني" (فيكـرر الكلمة التي لم تفارق باله منذ سماعها).

"فينكث بدر رأسه للأرض ويفكر طويلًا، ثم هز رأسه بالإيجاب له وبعدها قال"

- بدر: أيوه.

- فهد: مين دول يا عم بدر؟! بتهيألي لو كان قصدك على حد من المرازيق، ماكنش زمانهم سايبينك تفضل عايش لحد دلوقتي، فا قصدك على مين؟!

– بـدر: قصدي على اللي سبتها زمان تموت قدام عيني، هي وابنها متغير ما أقدر أعملهم حاجة.

– فهـد: بـدر أنا مش زي حازم، قـولي اللي تعرفه، وأنا أوعـدك مش هعمل حاجة مـن وراك، بس عرفني أيه اللـي إنت مخبيه، عشان أقدر أبعدهم عن حازم وأخليه هو كمان ينساهم.

– بدر: أنا عمري ما كنت عايش في الأرض دي يابني.

– فهد: يعني أنا كنت صح.

– بدر: يمكن ده الصح الوحيد اللي إنت عملته من ساعة ما جيت عند أهل العشتار.

– فهد: وجيت هنا بمزاجك ولا بالعافية؟!

– بدر: اللي جابتني الأرض دي وجبرتني أفضل فيها هي الملعونة بدريسا واللي معاها.

– فهد: إزاي، وجبروك على كده ليه؟!

– بـدر: زمـان يابني أنا كنت عايش في البر التـاني البر الشرقي يعني، كنت جديد عليه وعلى اللي فيه. وماكنتش أعرف حد واصل من الأقصر، واللي خلاني أسيب بيتي وعزوتـي في قِنـا، هو مرض مراتـي اللي خدها من قدام عيني بعد مـا بيعت اللي ورايا واللي قدامي عشان ألحقها.

– فهد: وروحها دي اللي قصدك عليها إنها راحت منك؟!

– بـدر: لا يابني، المرضـ ده قدر ربنا ومكتوب علينا، ومحدشـ فينا لا بإيده يغيره ولا بإيده يعصة إرادة المولى، وإن كانت إرادته أن مراتي تروح، ومن بعدها بنتي كمان، فأنا رضيت باللي ربنا كتبه.

– فهد: بنتك! إنت كنت مخلف كمان؟

– بدر: أيوه وراحت مني وهي عروسة صغيرة، مالحقتش اتهنى بيها.

– فهد: وماتت أمتى؟!

– بـدر: ماتت بعـد ما دخلت أرض الغجـر بسنة، ولولا إنها ماتـت على يدي، كنت شكيـت في الملاعـين اللي جوا دول إنهم خدوها مني، ووقتهـا يا كنت هحصلها يا كانوا هيحصلوها هما.

– فهد: بنتك عاشت معاك هنا يا عم بدر؟!

– بدر: كان دخولي أرض المرازيق أمر وانكتب عليا وقتها، ويا إما كنت أسيبها وهي مالهاش حد هناك يرعاها، يا أجيبها معايا هنا أعيش بيها لحد ما أموت، بس للأسف سبقتني هي.

– فهد: أيه اللي جبرك على كل ده، وإزاي تجيبها تعيش بيها هنا وسط الناس دي؟!

– بدر: اللي جبرني إنهم سابوني أساسًا أعيش.

– فهد: سابوك أساسًا تعيش؟! وإنت كنت عملتلهم أيه أساسًا عشان يقتلوك؟!

– بدر: شفت سر من أسرارهم اللي مدارينها عن عيون الناس.

– فهد: شوفت أيه؟!

– بدر: شوفت اللي اتولد على إيدي ومات على إيديها.

"عـاد بـدر ثانية لذكـرى تلك الليلـة، وزادت حرارة جسده وثـار الدم بعروقه، بعدمـا تذكـر تفاصيـل تلـك الحادثة من جديـد، وهو لا شيئًـا بيـده كان ليفعله حيال تلك البريئة وابنها".

– بدر: قتلوا أم لسه والده، وابنها يادوب كان لحمة حمرة مالحقتش تشوف حتى وشه.

– فهد: إنت بتقول أيه.

– بدر: يوم ما مراتي ماتت سيبت البيت اللي كنا عايشين فيه، بعد ما بيعته وبيعت كل حاجـة كانت حيلتـي، وعشان فيروز بنتي اتولدت بنفس مرض أمها، اللي خلاني ما

حيلتيش حاجة تاني أبيعها، عشان ألحق بيها البت قبل ما تروح مني هي كمان وتحصل أمهـا، جيت وسكنت هِنـا في أوضة في البر التاني، وبدأت أتهجـم على البيوت في نص الليـالي، واللي بيطلعلي منها بصرفه في أي بيعة وأعالج البت، وكنت أنا الحرامي اللي شاف إيديهم، وهي عليها دم أخدوه بقلب بارد.

– فهد: (ظل على حاله لم يتحدث واستمع لكل كلمة قالها الصعيدي بانتباه شديد).

– بـدر: وفي ليلـة كُنت نطيت على سطوح بيت قديم، ولما دخلت الصالة ما سمعتش غـير صـوت بُكا طفـل، يادوب لسه خـارج من بطن أمـه، حاولت ساعتهـا أهرب تاني للسطـوح بس قلبي مـا طاوعنيش أسيبه وأمـه جنبه كـده، كأن روحهـا بتطلع منها، فاستنيـت الداية اللي بتولدها تنـزل ورجعتله، مسكتة بإيديـا وساعتها فكرني بفيروز يـوم ما اتولـدت، لقيت نفسي فجأة بحضنـه من غير أي تفكـير في أي حاجة بتحصل حواليـا، وعينـي جت في عين أمه ساعتهـا، وكأنها في اللحظـة دي فتحتها مخصوص، عشـان تستنجد بيا ألحقهـا وألحقه وبعدها بثواني غمضت عينهـا، لكن وهي بتغمض وبتغيب عن وعيها من تاني، لقيتني بسمع صوت حد جاي من الشباك بره.

– فهد: حد من المرازيق؟!

– بدر: أيوه.

– فهد: مين.

– بدر: المرازيق أسماؤهم غريبة عليا، معرفش منهم غير ميرين وبدريسا وعطية، أما الباقيين فا ربك أدرى بحالهم وحقيقتهم.

"أخفى بدر هنا حقيقة معرفته لعطية، الذي فتح الشباك حينها وتظاهر بعدم معرفته لأسمائهم".

– بدر: من بعد ما فتح الشباك نزل للغلبانة دي، هي والمولود اللي نايم جنبها، لقيته

بيبصلهـا وكأن عينه بتتملى من ضعفها وقلـة حيلتها، وبعدها سابها وراح ناحية البت، وكان ساعتها عندي استعداد أرميه من تاني من الشباك اللي جيه عليهم منه.

– فهد: وأيه اللي منعك (لم ينتبه فهد وقتها لذِكر بدر لفتاه، وأكمل طرح الأسئلة عليه).

– بدر: مفيش حاجة منعتني في الليلة دي عن الغجر، بس قبل ما أقوم وأجري عليه لقيت إيدها مرفوعة بتمدها ناحيته، ومش عارفة تطوله كأنها كانت بتتمنى لو توصله، بس تعبها عجزِها عن أي حركة تعملها، وهو كل اللـي عليه، مُبتسم بس قدامها، وهي كأنهـا الدم بيغلي في عروقها، ووقت ما كانت إيدهـا ممدودة ناحية ابنها، قام هو بكل برود لاطشها بخنجر في إيديها.

– فهد: أيه قتلها؟!

– بـدر: هي كـده كده ماتت، بس لمـا لطشها بالخنجـر لطش إيديهـا اللي رفعاها ناحيته، عايزاه يبعد بأي طريقة عنها وعن ابنها، اللي كان عايز ياخده من جنب حُضنها.

– فهد: وحصلها أيه.

– بـدر: دمهـا غرق هدومه وجيه على وشـ ابنها اللي بدأ عياطـه يرجع من تاني، وساعتها لقيته بيتحرك ناحيته.

– فهد: قتله؟!

– بـدر: ملحقش، سبقته أنا ساعتها ناحيـة الواد، ومسكت إيده وضربته فوقع على الأرض، وأول ما بصيت على المولود، عشان أتأكد أنه بخير لقيته قام من تاني، ووقعني مكانه ومسك الخنجر.

– فهد: (بات يتأمل حديثه في صمت ولم يقاطعه).

– بـدر: وهو بينط بالخنجر عليا شديت السجادة ووقعته مكاني، ومسكت الخنجر ومن غيظي فضلت أغرزه في رجله الشمال، لحد ما كنت قربت أعجزهاله خالص، بس قدره إنها لحقته مني.

– فهد: مين؟!

– بدر: بدريسا يابني، مفيش غيرها.

– فهد: بدريسا كانت معاه في اليوم ده.

– بدر: وإنت فكرك أن المرازيق يقدروا يخرجوا بره أرض الغجر من غيرها.

– فهد: وعملتلك أيه؟!

– بـدر: لا، بدريســا دي ما بتعملش، فضلت تتفرج علينــا وكأن ولا حاجة بتحصل قدامهــا، سابتنــي أفضل أعور في اللي راقـد تحتي، وكان خلاص أغمــى عليه من سم الخنجر اللي بدأ يجري في دمه.

– فهد: سم!

– بـدر: أيوه، بعد ما لمحت اللي واقفه قدامي، وأنا مرمي عالأرض جنب اللي سايح في دمــه ده، لقيتها بتوطـي ناحيتي بكل هدوء، بعد ما شافت إيديا متعورة من الخنجر، ساعتها كانت عرفت أني خلاص قدامي دقايق وأموت.

– فهد: عَملِت أيه؟!

– بـدر: عنيا ساعتها بدأت تخفــى عنها الرؤية خالصــ، كأن السم بيعمل مفعوله الأول، إنــه بيخدرك بس، فا نزلت ناحيتي الأول ولسانها ما نطقش بحرف، ولما مسكت إيديا ولقيتها بترعش، ضحكت لما عرفت أني فعلًا بنتهي، وسابتني بيغمى عليا قدامها من غير ما تحرك حتى رمش.

– فهد: يعني اللي كانت مرمية على السرير دي ولسه والدة اتسممت؟!

– بدر: أيوه، ولما صحيت لقيت اللي والداه كمان ميت.

– فهد: هي سممته؟!

– بدر: الله أعلم باللي شافه بقى قبل ما يموت، لكن لما صحيت لقيت نفسي مربوط في كرسي وهي قدامي، وعلى شمالي الواد وأمه لا ليهم صوت ولا فيهم حتى نفس.

– فهد: وجابتك هنا إزاي.

– بدر: قبلها بمدة كنت سرقت فيلا قبلها بأسبوع، وفي خلال الأسبوع ده عرفت أن صاحب الفيلا دي اتقتل، وعرفت من بدريسا بعدها أن اللي قتلوه ساعتها كانوا المرزايق.

– فهد: طب وإنت مالك بحاجة زي دي؟!

– بـدر: بدريسا أخدت بطاقتي من جيبي، وأنا مغُمى عليا ولو كانت عايزة تلبسني قضية قتله، كانت هترميها في الفيلا في أي حتة، وساعتها هشيل أنا القضيتين.

– فهد: قصدك أن القضية التانية هتبقى قتل الواد اللي اتولد وأمه.

– بـدر: مشـ بس كـده، كان في دايه عايشة مـع البت اللي لسه والـده دي في نفس البيت، وبعد ما ولدتها نزلت تشوفلها دكتور، عشان تنقلها مستشفى فا بدريسا قبل ما تطلعلها كانت خلصت.

– فهد: قتلت تلاته؟!

– بدر: دي حاجة بسيطه من بلاويهم، ما بتسألش نفسك القبور اللي بره دي كلها تبقى أيه؟

– فهد: عايز تقولي أن كل دول المرازيق.

– بدر: اه كل دول يبقوا جرايمهم القديمة، وأي حد بيخلصوا عليه بيتاوه جتته فيها.

– فهـد: قومت مع بدريسا! ده إنـت المفروض كان زمانك ميت بعد ما اتسممت زي اللي ميتة على السرير دي هي واااااا وابنها؟!

– بدر: قبل ما بدريسا تمشي خيرتني بين حاجتين، يا أقوم معاها ونسيب كل حاجة زي مـا هي مكانها، وبعدها بقية الغجر هيتصرفـوا ويجيبوا البت وابنها يدفنوهم هِنا بمعرفتهم، يا أما أنا اللي اتساب مكاني والبوليس ساعتها يقبض عليا، ولو كنت فضلت كان البوليس قبل ما هيوصل أساسًا كان هيلاقيني ميت بعد ما الخنجر عورني، وفضل سمه ماشي في دمي، يعني ميت ميت.

– فهد: إنت فوقت إزاي أساسًا بعد ما الخنجر عورك.

– بدر: أيه؟!

– فهد: يعني طالما الخنجر خلاص عورك وأغمى عليك ما سألتش نفسك إزاي فوقت.

– بدر: أنا لما قومت حسيت بطعم مرار في لساني، كأنهم إدوني حاجة غريبة.

– فهد: وبدريسا قالتلك أيه.

– بدر: عشـان تطمني إنها مش عايزاني أموت، ادتني إزازة صغيرة قالتلي أشرب اللي فيها، وهبقى كويس وجسمي هيبقى كأنه لا دخله سم أو غيره.

"فضحـك فهـد علـى ذكاء وخبث الغجريـة، حيث أدرك أنها كانـت بالفعل قد أعطـت الـدواء لبـدر، وهو غائب عن وعيـه، وأشفتـه تمامًا من سمومـه، وحينما عاد مـن غيبتـه أوهمته أنها ما زالـت تحمل بيدها ما سيخلصه من المـوت، بشرط إذا قام معها وبذلك تضمن الغجرية أنه سيظل تحت طوعها".

– فهد: هههههههههههههه وإنت ساعتها صدقتها وقومت ها، رضيت تيجي معاها.

– بدر: لو مكنتش هقوم، بنتي كنت هموت، كنت هسيبها لمين؟!

– فهد: على الأقل كانت بعد ما ترجعلك خُدها تاني واهرب.

– بدر: مقدرش بدريسا حاشت عني المرازيق بالعافية، ولو فكرت في الهروب، كانوا هيقتلوني وهي ساعتها مش هتقدر تعمل حاجة، عشان اللي بيهرب بره الأرض ده، دمه بيبقى حلال عليهم.

– فهد: "يعيد له نظرة الحزن والأسى على وجهه نادمًا على حاله وكل ما حدث له".

– بدر: لا أنا مش زعلان يابني اعدل وشك، ده نصيبي اللي إنكتبلي أعيش بيه، وإن كان بأيدي أهرب دلوقتي فا برضو مش هعمل كده.

– فهد: ليه، وإنت مبسوط باللي إنت فيه ده؟!

– بدر: جوه وسط الملاعين دول في واحدة اسمها ميرين، يوم ما صاحبك دخل جوه

عنـد الغجـر لحقته، وخلتني أشيله وأرجع بيه على هِنا وهـو متخدر، عشان لو كان وقع في إيديهم إنت عارف.

– فهد: طالما هما أهلها وهي منهم ما تسيبها وسطهم.

– بـدر: أسيبهـا وسط أهلها اه لكن مش كل اللي جوا دول أهلها، في وسط اللي جوه دول اللي عايزها وبيحلم بيها، وإن كان مش هيوصلها فاهيقتلها.

– فهد: يقتلها؟!

– بدر: ما سألتش نفسك ليه اللي جم يقتلوني دول جم ومعاهم سلاحها ليه؟!

– فهد: قصدك أيه.

– بدر: ميرين يابني دي زينة الغجريات كلهم، واللي هيموت عليها وعايز يتجوزها بـأي طريقة هو عزيز، وعزيز أنا شوفت منه ياما وأعرف عنه بلاويه كلها، وإن كان في حـد ميريـن بتسمعله من بعد بدريسا فهـو أنا وطه الخدام وبس، وأنـا بقى مش هقدر أسيبها وسطيهم لوحدها وأمشي.

– فهد: سرقوا خنجرها ليه وجولك يقتلوك بيه هِنا؟!

– بـدر: في عُرف المرازيق، اللـي يقتل بينهم واحد من التاني، مـا يعودش له أمان وسطهـم، وساعتها يا بيتقتل يـا بيخرجوه بره الأرض، وإن كان اللي قتل ده يتشاف من تاني جوه غُجار بيقتلوه.

– فهد: (ينظر له متعجبًا أكثر كلما سمع عن المرازيق وعاداتهم).

بـدر: يعنـي ساعتها ميرين يا هتتقتل يا هيخرجوها بـره الأرض، وبدريسا عمرها مـا هتسيبهـم يقتلوها فا يـوم ماتسيبهم يخرجوها بره غُجار تبقـى حققت اللي عزيز بيتمناه، وساعتها هيخرج وراها يعني هيخرج وراها، وإن كان ما هيطولهاش هايقتلها.

– فهد: بيحبها وهيقتلها!

– بدر: اللي زي دول ما بيحبوش يابني، اللي زي دول عينهم بتقع على الجمال بس،

ويوم ما الجمال ده يحسوه بيروح من إيديهم، بيخصلوا منه وإنت عمرك ما عاشرتهم ولا هتفهمهم زيي.

– فهد: بس الخنجر كان احتمال يكون مسموم؟!

– بـدر: ميرين دي عمرها مـا عرفت تقتل ولا فكرت في أذى حد، ميرين وإن كانت بتشيـل معاها خناجر وأسلحة زي بقيـة الفجر فبدريسا مخلياها تشيلهم عشان تحمي نفسهـا منهم بس ومـن أي غريب ييجي عليها، وعشان حتى يوم ما عزيز أو غيره يفكر يؤذوها خليناها تمشي بالأسلحة دي.

– فهد: "يصمت بعد حديثه ويتوه فيما يسمع ولا يعرف كيف يرد عليه".

– بدر: هههههههههههه.

– فهد: إنت بتضحك على أيه؟!

– بـدر: حـال كل الأغـراب اللي زيك كده يوم مـا سمعوا عن حـكاوي الفجر كانوا تايهين كده برضو.

– فهـد: مشـ كل الأغراب تايهـين، بس إلا قولي فينهم دلوقتـي الأغراب دول اللي بتتكلم عنهم؟!

– بدر: التُرب حواليك ياما، اخرج وملي عينك منها وهتلاقيهم في كل مكان.

– فهد: هخرجلهم.

"فيترك فهد بدر بعدما سمع منه كل ما عرفه عن المرازيق، وذهب يقف خارج الـدار قليلًا، يعيد عقله فيمـا سمع، حتى رأى من بعيد الراهبة تعـود إلى غُجار ثانية، ولكـن تلك المرة لمحها فقط من بعيد، ولم ترها عينـه ثانية، حيث ذهب يفتش عنها في كل مـكان، ولكنه لم يجد لها أثرًا، حيث تلك المـرة التي تزور فيها الكاهنة أرض غُجار ليست من نصيب فهد أن يراها كثيرًا، حيث أنها من نصيب غريب آخر يسير الآن بين دروب غُجار وسط منازلها".

الفصل السابع

راهبة تحت ضوء القمر

"دار العراف"

2008/11/27 6:00 ليلا

حكايته عن بنت نادية.

عـادت عينه للنـور وكان أول شيء يراه العـراف بعد صورة إسـراء، التي ظلت في ذهنه طويلًا هي بدريسا، فعاد النور له ثانية على وجهها، الذي أظهر قدرًا من العرفان لهـا، بعدما فتح عينـه ثانية، ولكن اختفـت ملامح وجهه بعدما غطتـه منال خادمتها بشاش وضعته حول وجهه، لتحمي جروحه التي كانت إسـراء قد عمدت رسمها مكان ملامحـه الأساسية، لتترك رسالتها للغجرية التي تجلسـ أمامه، وتنتظر بدأه بالكلام وحكيـه عمـا حدث له، ومـا رآه في أرض الغـرب، فهونت عليه بدريسـا صمته وغضبه علـى حالته، التي تمكن منهـا السكوت والغليان، بعدما رجع لذهنه كلام بنت نادية له، وتمكنها منه وهو مُخدَر بعقار للأعصاب شل حركته بالكامل، لكن لم يمنع عنه الشعور بالآلام التي أهدتها له بنت العشتار، حينما أجلسته على ركبتيه أمام كهف غُجار، ومن ثم تركته يهوى بدماؤه التي تسيل على وجهه، منقلبًا على المنحدر إلى داخل السرداب، وكانـت رؤيتـه لهذا المشهد ثانيـة في عقله، ما جعل عين العراف تسـود ثانية عن كل ما حولـه، وتتبـدل حالته في ثوانٍ، حتى لاحظته بدريسا التي ظلـت بصمتها قليلًا، إلى أن وجـدت حالته تسوء ونزعة الانتقام والغضب تتملكان منه أكثر فكلمته، لتأخذه من بين براثن تلك النزعات:

- بدريسا: كُنت فين يا عراف؟!

- رشـدي: أنا اترميت أكتر مـن ساعتين إمبارح قدام الكهف، اللي جواه ما طلعش وخلص عليا ليه.

"كان خـروج مـا بالكهف ليقتله هو وإسراء أهـون عليه من أن تظل إسراء حية بعد ما فعلته به".

– بدريسا: رشدي!

"فتغـيرت حالتهـا هـي الآن وثـارت عليه، وأظهـرت بوجهها نظـرات لم يرغب العـراف يومًا في رؤيتها في عـين بدريسا وهي ترمقه، فما لسـيرة الكهف أو ما بداخله أن تأتي على لسانهم أبدًا".

– بدريسـا: لولا أني عارفة حالتـك ومقدرة المنظر اللي شوفتك عليه الفجر، لكنت خدتك هناك وقفلت عليك، عشان تبقى تعرف تجيب السيرة دي كويس.

– رشـدي: (ينظـر لها ومن ثم يصمت بعدما علم بخطـأه حينما ذكر كهف غُجار بما يحويه).

– بدريسـا: أيه اللي حصلك للدرجـة اللي خلتك تتمني اللي الكهف يخرج ويموتك يا رُشدي؟

– العـراف: ملعونة بنـت ملاعين؟! لو حياتي هتتحط تمن قـدام حياتها أنا موافق أني أدفع التمن ده بس بشرط إنها تعيش لحظة واحدة من اللي عيشتني فيه إمبارح!

– بدريسا: مين دي؟!

"فيعـود رُشدي لشـروده ثانية ويغيب عن حديث بدريسـا تائهًا في منظره، وهو يهـوى أمسـى على منحدر السرداب، ويتخيـل شعوره ثانية حينما تمنـى قلبه أن يتوقف عن النبض ليموت ويرتاح".

– بدريسا: كنت فين إمبارح قبل ما تدخل أرض الغرب يا رشدي؟! مستحيل واحدة تدخل تجيبك من وسط أرض الغجر وتروح بيك الأرض الغربية، وإحنا كل ده ما نعلمش يا عراف!

لم يطمئـن رشدي لإخباره بدريسا بمحاولته قتل الفتاة، التي رأها وهي تسير أمس بالقرب من أراضيهم –هَنا عدنان– فأخبرها أن بنت العشتار هي من أتت بنفسها إلى

غُجار، وأخفى هو عنها خبر قدومها لهم، بعدما رأته يتربص بهَنا ليقتلها، فكان جزءًا مـن الحقيقـة مخفيًا عن مسامع بدريسا، التي سيحكى لهـا أن بنت نادية هي من أتت لها، لتترك خبرًا على وجهه كما فعلت بخنجره أمس.

– رشدي: شوفت واحدة جايه من ناحية العشتار، ودخلت تتمشى لحد أرض الغرب يا بدريسا؟!

"يعـرف جيدًا أنـه إذا غير من حقيقة ماحدث فـإن بدريسا ستكشف كذبه في الحـال، فتلـك عادتهـا التي داومـت عليها، حيث مـا يكذب أحـد أمامهـا إلا وأدركت الغجريـة محاولات تزييفه للحقيقة، ففضل حينها العراف أن يُخبرها منذ بداية رؤيته لإسراء في أرض الغرب، وليس من بداية تربُصه بهَنا".

– بدريسا: أرض الغرب!

"تملكها العجب والدهشة حينما أبلغها رشدي أن هُناك من استطاعت أن تصل بسبيلهـا لمـكان حُرم على أهـل الأرض أجمعين، بـل ووصلت حُرمته حتـى على الغجر أنفسهم ولم يدخُله أحد".

– رشدي: أيوه كانت مشبهة نفسها بينا أوي، عبايتنا السودة اللي دايمًا بتمشي بيها بنات الغجر وسطنا وخمار أسود على وشها مداري كل ملامحها ما عدا العنين، العنين اللي عمري ما هنسى شكلها أبدًا حتى ولو هيكون آخر يوم في عمري.

– بدريسا: كمل يا عراف، دخلت بيك إزاي الغريبة دي أرض الكهف؟!

– العراف: غريبة هههههههههههههههههه.

"بـدأ يدخـل في نوبـات ضحك هستيرية، بعدمـا ذكرت بدريسـا صفة الغريبة عليهـا، حيـث ظلت الغجرية علـى جهلها ولا علم لهـا بهوية التي فعلـت في أرضهم كل ذلك، حتى أخبرها رشدي".

– بدريســا: (صمتت ولم تخـرج من فمها كلمة أخرى حيـث تركته في نوبة ضحكه حتى تنتهي)

– العراف: غريبة يا بدريسا، غريبة؟! إسراء بنت أهل القصر بقت غريبة!

– بدريســا: بنــت الــذوات! (اعتدلــت في جلستهــا وزادت حدة عينيهــا فجأة وهي تتحدث عنها)

– العراف: ما تقوليش ذوات قولي ملاعين، البت دي أن ماكُناش نعرف أصلها من زمان كان زماني قولت عليها إنها صنف تاني من المالكية.

– بدريســا: رشدي! المالكيــة راحوا لحالهم وزمانهــم ولاَ، فسيرتهم تروح من على لسانك زي ما هما كمان راحوا وبعدوا عنا، إنت فاهم؟!

– رشدي: البت دي لازم تموت

– بدريســا: المرازيــق معادوش يقتلوا من تاني يا عــراف، وإن كنا بنعمل كده زمان لأجـل المالكية فخلاص أهم سابونا ورحلوا عنا، قتل من تاني على إيد حد من المرازيق مش هيحصل ها.

– رشــدي: يعني إنتي راضيــة باللي عملته فيا إمبارح في المـكان الملعون ده، وكمان رمتني على مَنزَل السرداب عشان أتقتل؟!

– بدريسا: أيه؟!

"لم تتوقع الغجرية في يوم أن تسمع خبرًا مثل هذا، فلا لأحدًا من الأغراب أن يعلـم أبـدًا عـن الكهف وما به، لكـن رشدي فاجأهــا الآن بما عمدت إســراء فعله ليلة أمس، حينما سحبته لأرض الغجر حتى انتهت به أمام سرداب الموت".

– رشدي: البت عارفة كل حاجة عننا يا بدريسا.

– بدريسا: عارفة أيه؟! احكيلي كل اللي حصل بالتفصيل.

– رشــدي: احكيلــك أيه؟! احكيلك أن اللــي اتعمل فيا ده كله إمبــارح كانت رسالة بتوصلها ليكي.

"فعادت بدريسا لعهدها القديم وظهر شيطانها ثانية، وتمكن منها فبدأت روح الغجريــة القديمــة التي كانــت تطوف بالــدم في كل مــكان بالماضي تعود لهــا وآثارها عليها بالشر تظهر ملامحه من جديد".

– رشــدي: إسراء فاكرة أنك اللي قتلتي أمها زمان، وفاكرة كمان أن دم أنورين في رقبتك إنتي!

فــكان ما قاله أمامها العراف كافيًا لتعود لبدريسا، التي عرفتها دومًا حينما كانت مقدمــة علــى شيء لا يتصوره عقــل ولا يقدر على فعله بشر، فتغــيرت نبرتها وأحمرت عيناهــا وعــادت لهجة المرازيق تسري علــى لسانها من جديد، حتى أيقــن العراف أنه أحيا بدريسا التي تشتت على يديها عزوة أقوام من قبل، وصارت بينهم لا فعل لها يُغفر أو عاقبة يُحمد أثرها:

رشدي: (جاءته حالــة من القلق قليلًا والتوتر حيث خاف بعدما رأى حالة بدريسا القديمــة تعود إليها من جديد، فكانــت أشبه له بالشيطانة التي تجلس له تسمع منه ما يزيد لهيبها)

– بدريســا: وإن كانت البنية فعلًا مش عايزة تصــدق غير كده فا دي إرادتها، وإن كان عقلهــا يوزهــا وتدخل برجليهــا للغجر من تاني، فمش هتخرج مــن أرضهم أبدًا وجثتها تحرم على اللي ربوها.

وبعــودة شيطان بدريسا الرجيم لهــا ثانية كان الشيء الوحيد الذي أسعد العراف حينها هو تمكنه من إحياء روح الغجرية في بدريسا ثانية، حيث جعل مصير بنت نادية الآن بين يد التي لم يكتب على من لاقوها حسن مصير أبدًا، فالله مصير بنت العشتار إذا كانت نهايتها بين يد الغجرية:

– بدريسا: بس استنى هنا، كلمتك وقالتلك أيه بالظبط بنت نادية؟!

– رشدي: أن كان مكتوب عليكي تموتي على إيد حد، فروحك في إيد بنت أخو فؤاد يا بدريسا.

"فتطرق العراف ثانية طريق الكذب وحرض شيطان بدريسا على إسراء أكثر، ليزيد من لهيبها أشد مما كانت عليه خاصة وأنه أتى بسيرة فؤاد، الذي لم تُحب في أي وقت سماع اسمه أو سيرته".

"قصر العشتار"

2008/11/27 4:00 عصرًا

ما بين الغُرفتين.

ذهبت الخادمة بحالها بعدما شفت إسراء من جرحها، وباتت الآن واقفة بين الغرفتين حيث على يمينها إسراء داخل غُرفتها نائمة ومقفل عليها الباب كما تركته وردة، وعلى يسارها ليلى وهنا ومعهم وردة، التي ذهبت لهم فتبعتها الخادمة، وأتت بنفسها وراء أثر بنت عشمانة، وما انغلق الباب عليهم جائتهم السمراء، ووقفت مُستمعه لما تبوح به وردة ومعها الفتيات، فكان لها نصيبًا هي الأخرى من هذا الحكي، الذي كان يدور عنها وعن باقي الغجر، فبدأت آذانها تسمع جزء من الحديث.

– وردة: إسراء رجعت الصبح متعورة في كتفها والدم مغرقها من أولها لآخرها.

– ليلى: أيه متعورة.

– هنا: مالها إسراء.

– وردة: كانت عند الغجر (ما قالته كان كفيلًا على هَنا حيث سيعيدها لانهيارها ثانية).

– هنا: لا أبوس إيديكم كفاية عليا اللي عمال يحصلي من ساعة ماجيت هنا ده.

– وردة: اهدي يا هنا، إسراء بقت كويسة ونايمة جوه أهي.

- هنا: وأيه اللي كان وداها هناك؟!

- وردة:وإنتوا يعني مش عارفين نشفان دماغها وعِندها.

- ليلى: متعورة إزاي يا وردة؟!

- وردة: كتفها فيه جرح غريب، مش عارفة من أيه بالظبط.

- ليلى: وفهد لسه مارجعش، أومال مين اللي لحقها؟!

- وردة: واحدة منهم.

- هنا: مين دي اللي منهم.

- وردة: إسـراء كان احتمـال تكـون مسمومـة في جرحهـا، بـس لمـا لحِقتِها قالت مافيهاش حاجة.

- هنا: مين اللي لحقتها؟!

- وردة: جواهر واحدة من المرازيق.

- هنا: بس مش هي دي اللي أنا وحازم شوفناها واحنا جايين.

- وردة: مين دي اللي بتتكلمي عنها يا هنا، مين شافتكم؟!

- هنا: واحدة في طريق التُرب كانت قاعدة قدام قبر.

- وردة: أيه! بدريسا شافتكم؟

- ليلى: مين اللي قولتي اسمها دي يا وردة، واترعبتي كده ليه.

- وردة: دي اللي قتلت أمي.

مـر حديث وردة بحزن وأسى على مسامع جواهر، التي تقف خلف الباب تسمعهم، فظهـر على وجههـا ندمًا وأسى على وردة، حيث تظل وردة معتقـدة أن لبدريسا يدًا في قتل أمها، وهذا ما ظل بعقلها ولم تخرج تلك الفكرة أبدًا عن بالها، حيث ما زالت بنت عشمانـة ملُصقـة دم أمها في رقبة بدريسا، والخادمة تعلـم تمامًا أن لا يد لبدريسا في

قتـل أمهـا ليلة الثامن مـن يناير، ثم أدركـت الخادمة نفسها من غفـوة الندم على ما سمعت، ثم تابعت حديثهم حتى جاءت هَنا بكلام لم تتمنى جواهر في يوم أن تسمعه منها.

– هنا: حازم! حازم وفهد.

– وردة: مالهم حازم وفهد مالهم يا هنا، هما راحوا فين؟!

– ليلى: أنا كدبت عليكي يا وردة.

– ليلى: وحازم وفهد كمان كدبوا علينا.

– وردة:هما فين؟!

– ليلى: كانوا هيروحوا قبر أنورين زي ما إسراء طلبت قبل كده بس لا، كدبوا علينا ومش هناك.

– وره: مش هناك، مش هناك إزاي يعني؟!

كأنها تتحدث مع ظلها من خلف الباب.

كان كل مـا سمعتـه الخادمـة يمر على أذنهـا ولا عجب لها على مـا سمعته، حيث تعـرف كل هذا وتعـرف أن وردة اختارت من بـين المرازيق بدريسـا، لتحملها وزر روح أمهـا، فلـم تنتبه كثـيرًا جواهر أمام تلك الأخبـار حتى جاءها الأسـوأ من حديث هَنا لوردة وليلى، فما سمعت الخادمة سيرة حازم وفهد إلا وتأكدت أن عِناد حازم وإصراره علـى إقحام نفسه بين الغجـر إعادة لهم ثانية، ودخل أرضهم مـع فهد الذي لم يتركه وحده بينهم، ومما زاد حيرتها وتعجبها هو انتظارها لسماع باقي حديث هَنا وليلى عن حـازم وفهـد، لكن التي بالغرفة الأخـرى لم تمنحها وقتًا أكثر مـن ذلك، حيث شعرت الغجرية بحركة داخل غرفة إسراء التي ومن المفترض لا يزال أمامها الكثير من الوقت حتـى تخرُج من غيبتها، لكن بنت نادية عادت لهـا الآن حيث شعرت بها الخادمة وهي واقفـة بالخـارج، حيث لم يمنعهـا الباب المغلق علـى إسراء وهي بالداخـل، عن شعور

الخادمة بحركة إسراء داخل الغرفة، فأدارت الغجرية عينها أسفل باب غرفتها، فرأت خيالًا يتحرك من الداخل، آتيًا نحو الباب في حذر وتَخوُف، فتأكدت سمراء القصر من عودة إسراء ومعها جنونها وغرابتها الذي جعلوها على غير ما كانت، ففضلت الغجرية أن تترك لبنت العشتار المكان ولا تظهر أمامها الآن، حتى لا يحدث بينهم مكروه، ونست تمامًـا أمـر الحوار الذي يدور بداخل الغرفة الأخرى بـين وردة وليلى وهنا فاكتفت بما سمعـت، وبدأت تسحب نفسها ثانية من الطرقة، التي تخلـو عليها وحدها كأن جواهر كانت تتحدث مع ظل إسراء من خلف الباب، فنبهها وأخبرها بضرورة رحيلها، فمشت قدمهـا علـى الطرقة ببطئ وخفة، حتـى لا يلحظها أحدًا كما لاحظـت هي حركة سير أقـدام إسـراء وقدومها، فظلت الخادمة على خِفة حـركات قدميها حتى اختفى أثرها تمامًا من الطابق كله، وعادت ثانية لأسفل بعدما سمعت أخبار وردة وهُنا، وما بقى في ذهنهـا من تلك الأخبار إلا ظنون واتهامـات وردة في قتل بدريسا لأمها، وذهاب البقية لأرض تتمنى من الله أن يعيدهم منها ثانية بخير ولا يمسسهم من أهلها أي سوء.

"دار العراف"

2008/11/27 6:30 ليلا

بنادِر.

عـادت بدريسا لهدوئها بعدما ظهـر شيطانها عليها وصارت مقرونة به، فلم تتغير لها ملامح ولم يتبدل لها حال غير ذاك الذي أشعله العراف في عقلها وجسدها، فأعاد لها شيطانًا ملعونًا قد فارقته الغجرية من قبل، وحلت العهد الذي بينها وبينه ولم يعود لهـا أبـدًا منذ أن كانت في بيت هبة تأخُذ روحها، بعدمـا أخذت روحًا أخرى كانت ملكًا لأم جميل الخادمة، التي على يديها وضعت هبة وليدها، وقبل أن تقوم الغجرية لتغادر منـزل العـراف استوقفها ثانية، حيـث ذكرها بكلام إسراء وعـن رسالتها بدمه، التي

أرادت بنت نادية أن تتركها لها، فانتبهت بدريسا لم قال وأدارت وجهها ثانية له:

– بدريسا: بس استنى هنا، كلمتك وقالتلك أيه بالظبط بنت نادية؟!

– رشدي: أن كان مكتوب عليكي تموتي على إيد حد، فروحك في إيد بنت أخو فؤاد يا بدريسا.

– بدريسا: فؤاد!

فعـادت بذاكرتها فور ما ألقـى رشدي على مسامعها اسم "فـؤاد علام" وتذكرت ليلـة دخولـه لمنزلها وهي عائدة مـن سفرها يوم الثامن من ينايـر، تلك المرة الوحيدة التـي استطاع أحد الأغـراب أن يدُخِل نفسه لبيتها، فأتى ببالها كل ما حدث تلك الليلة وانتزعت روحها من غُرفة العراف وذهبت للماضي، حينما جعلت المرزايق يتركون وردة تهـرب، ويكترثوا لفؤاد ويضيقون الخناق والـدروب عليه؛ ليدخلوه منزلها كما خططت هـي، وفور ما أتم لهـا الغجر مبغاها، تبسمت وأمرتهم أن يعـودوا لبيوتهم وسارت هي لمنزلها، وفور ما دخلته غلَقَت الباب حيث ظنت أنها وحدها مع فؤاد بالمنزل:

– بدريســا: البيـت ده مفيش غريب دخله وطلع منه يا فـؤاد، وإنت طول عمرك ما كنت ولا هتكون واحد منا، اخرج ومتفكرش أن المكان ده هيقدر يداريك عن عيني.

– فؤاد: (سمع حديثها ولم يرد عليها وكتم أنفاسه جيدًا حتى لا تقود الغجرية نحوه).

– بدريســا: أن كان عاجبـك بيت من بيوتنــا يابن علام، قولي وأنــا أخليك تفضل حبيسُه طول عمرك.

– فؤاد: (ظل على حاله غير مبالي لحديثها، حيث كل ما كان يشغله عنها الآن هي وردة، التي يأمل في خروجها من بين دروب غُجار على خير).

– بدريسا: أيه اللي جابك وجاب بنت عشمانة أرضنا يا فؤاد؟!

بينما كانت تعلم بدريسا جيدًا مكان فؤاد الذي يختبئ فيه، تعمدت تركه حتى يأتي

إليهـا بنفسـه فأخفت الغجرية نيتهـا وراء حديثها وأسئلتها، التـي تقولها له متظاهرة بجهلها عن مكانه، حتى فاض عليها كيلها وظل فؤاد على عناده في مكانه حتى انطفأت أنوار المنزل كلها عليه.

وفجـأة سمـع فؤاد صوت بدريسا بجانـب أذُنه مباشرة، فمـا أرادت بدريسا له أن يحدث ذلـك، ولكنه اضطرها لهذا فاطفأت الأنوار وجـاءت خلفه مباشرة، ووقفت في ظهره ثم انحنت عليه وقالت:

– بدريسا: بقولك أيه اللي جابك أرضنا هنا؟

– فؤاد: (توقف قلبه عن النبض فور سماعها بجانبه مباشرة، وسط عتمة الظلام فلم يستطع أن يتحدث بكلمة، وهنا ساد الصمت عليه غصبًا عنه ليس بإرادته كما كان حاله منذ قليل).

"فاستغلـت الغجريـة حالته وتكلمت معه بنبرتها الشيطانية في صوت لن يسمعه أحد غيره".

– بدريسا: كنت عايز أيه من الغجر وأنا بعيدة عنهم يا ابن الذوات مش كفاية اللي خدتها من...

ولم تكمـل بدريسـا جملتها لـه حتى جاءت أختهـا وتحدثت لها، فغضبـت بدريسا لفعلتها وأمرتها أن تعود ثانية لغُرفتها، بعد أن سمعت منها ما قطعت به خلوها بفؤاد:

– الغجرية: كفاية إنتي.

– بدريسا: أيه! خايفة عليه، هههههههههههه خايفة عليه ومش خايفة منه.

– الغجرية: خايفة عليكي إنتي من دماغك اللي مش هينكتبلك بيها في يوم نجاة واصل.

"ظـل فـؤاد يسمع حديث بين اثنتين من الغجر لم يفهم عليهم شيئًا، ولم يفسر من لهجتهم الغريبة غير القليل".

– بدريســا: إن كانــت دماغي دي اللــي هتحفظكم من الأغراب مــن بعد ما فاتونا المالكية، فأنا مش هرجع عن اللي بعمله ده واصل.

– الغجرية: لا هترجعي يا بدريسا هترجعي.

– بدريسا: هرجع إزاي، بتعانديني يا بنت أبوي؟!

– الغجريــة: اه بعانــدك، وإن كان محدش بيقدر عليكي غــير المالكية، فما تنسيش إحنــا نبقى ولاد مــين، ولا تحبي حديثي يزيد معاكي عن كده قــدام الغريب اللي مرمي تحت رجليكي ده؟!

– بدريسا: بدريسا محدش بيكسرلها كلمة واصل لا من الغجر ولا من غيرهم، وإن كنتي هتكسري ليا كلام عليكي، فغُجار كلها تحرم عليكي.

– الغجريــة: قلبك يطاوعك تقوليها لأختك الصغيرة يا بدريسا، أيه خلاص القتل والدم عمو قلبك؟!

– بدريسا: الدم والقتل انكتبوا عليا من يوم ما اتولدت، مش أنا اللي اختارتهم، وإن مكنش هيبقالي غير الطريق ده، فأنا مش هرجع عن سكتي أبدًا.

– الغجرية: وأنا مش هرجعك عنها يا بدريسا، بس هتكمليها لوحدك من هنا ورايح.

– بدريسا: إنتي بتقولي أيه؟!

– الغجريــة: عيشة الغجر وأرضهم تحرم عليــا من دلوقتي، ولحد آخر يوم هعيشه يا بنت المرازيق.

"فبدأت أُخت بدريسا تترُكها وتشق طريقها نحو باب المنزل، لتغادره حتى تكمل عليهــا حبكــة تمثليتهــا، التــي تلعبها عليها فســارت نحو البــاب حتى أوقفتهــا بدريسا ونادت عليها".

– بدريسا: بنادِر!

- الغجرية: اسمي ما يجيش على لسانك، انسي أني أختك أو أنك عرفتيني في يوم من الأيام.

- بدريسا: تعالي يا بنادر، تعالي أنا ماليش في الدنيا غيرك دلوقت، ما تفوتينيش وتمشي.

"بـدأت لعبـة بنـادر على أختهـا تسير إلى حيث مـا تريد الغجريـة الصغيرة، فاستـدرات لها، وشـق القمر طريقه عليهـم، وظهرت أشعته على بنـادر بعدما فتحت في بـاب المنـزل، وبدريسا واقفة في عتمـة ظلامها، وقبل المغادرة نظـرت بنادر لأختها وانتظرت باقي حديثها، حتى ينتهي مصير تلك الليلة".

فبـدأت دموع بنـادر تظهر على وجههـا، حينما وقعت عينها بعـين أختها الكبيرة، فاهتـز قلـب بدريسا لهـا فتمنت الصغـيرة أن يدُق قلـب بدريسا، ولو لمـرة بشيء من الرحمة يُرجِعها من هذا الطريق.

- بنادر: بنادر هتشوفيها لآخر مرة في حياتك يا بدريسا.

- بدريسا: لا مش هيحصل ما تقوليش كده تاني، محدش هيقدر يبعدك عني، وإن كان أي حد هيفكر يعمل كده، هيكون آخر يوم في عمره.

"فـزادت غـيرة بدريسا على أختهـا، وباتت نبرة حديثها غريبـة وضعيفة على غـير العادة، حيـث أظهرت بدريسا نقطـة ضعفها الوحيدة في هذا العـالم وهي أُختها الصغـيرة، وشدة خوفها عليها ما جعل عينا بنادر تُثير المزيد من دموعها على خديها، فتأثر قلبها من شدة حديث أختها الكبيرة إليها".

- بنـادر: لا هيحصـل يا بدريسـا هيحصـل، وإن مكنش أنا هبعـد عنك بمزاجي فمسيرنـا بيجي يـوم وأبعد عنك بالعافية، عشـان ساعتها يا أنا همـوت وأروح يا إنتي اللي هتروحي.

- بدريسا: (تصمت أمام كلمات أختها الصغيرة التي لا تجد ردًا لها على ما تقوله).

– بنادر: طول عمرك بتفرقي ما بين الناس وتاخدي أم من بين ولادها ولا أخت من أختهـا، فربنـا قادر يفرق برضو ما بيننا، وأنا مش هستنـى اليوم ده لما ييجي أنا هبعد عنك من دلوقتي.

– بدريسا: قولتلك ما أنتيش خارجة بره أرض الغجر يا بنادر! (زادت حِميتها وعلى صوتها فجأة).

– بنادر: أيه؟! هتنفذي إنتي عهد الغجر عليا ولا هتسيبيهم هما ينفذوه؟!

– بدريسا: محدش من الغجر قولتلك يقدر يمس شعره منك وأنا عايشة.

– بنـادر: وأنـا مش هعيشـ من تاني وسطكـم قولتلك، فأن كنتـي هتقدري عليهم وتخليهـم يسيبـوا واحدة عاشت وسطهـم طول عمرها وفارقتهم، عشـان تعيش الأيام اللي باقية من عمرها في حالها وهي بعيدة عنهم، ابقي وريني يابنت المرازيق.

فخرجـت آخر كلمات بنادر وهي تغـادر منزل الغجر تمامًا، فجرت بدريسا لأختها تلحـق بها، وما ظهرت بدريسا بجانبها تحت ضوء القمر إلا ودفعتها بنادر بعيدًا عنها، وبعيـدًا عن دارهِم، ومن ثم أسرعت بنادر نحو المنـزل لتُغلق أبوابه على فؤاد لتهيئ له الفرصة ليهرب، ومن بعدها اختفت هي الأخرى بآثارها عن أعين بدريسا، التي لم يمر عليها كابوس أسوء مما حدث لها في تلك الليلة.

"دار العراف"

2008/11/27 6:45 ليلا

عُرف المالكية.

– رشدي: بدريسا بدريسا بدريسا!!!!! (يناديها رُشدي ليُخرجها من ذكرى مفارقة أختها لها).

– بدريســا: أيه يا رشدي (فتُجيبه بدريسا وهــي في عقلها صورة فؤاد الذي فرقها عن أُختها).

– رشدي: لسه برضو سيرته بتفكرك باللي راحت.

"حيـث يعلـم العراف جيـدًا أنه كلما أتت سيرة فؤاد أمامهـا تتذكر أختها تلك الليلـة التـي هربت فيها عنهـم، وذهبت بحالها بعيـدًا عن أرض غُجـار، بعدما مكنت لهذا الغريب الطريق ليخرج من منزل بدريسا، بعد أن أبعدتها بنادر عن أبواب منزلهم وأغلقتـه عليه، فقام سريعًا وهرب من المنزل واختفى أثره هو الآخر عن أراضي الغجر كلها كما فعلت أخت بدريسا في حالها".

– بدريسا: وهو من أمتى كان بيعدي يوم بنادر تغيب فيه عن بالي يا عراف!

– رشـدي: يـوم ما جبرتك ترجعي عن طريقك ده يا بدريســا، يوم ما كانت عايزة تخلـي المرازيق عُرضة للأغراب ينهشوا في لحمنا مـن بعد ما بعد عنا المالكية، يوم ما خليتـك تكسري علينا عهد لـو كان المالكية عرفوه، مكنش حد منــا هيصبح عايش من تاني أساسًا.

– بدريســا: رشـدي! بنادر واللي عملتـه ما تجيبش سيرته تاني علـى لسانك، إنت فاهم وإن كان حد من المرازيق يفكر في قتل بنادر ولا حتى يدور عليها، فحياته هتنتهي قبلهـا، وعلـى إيدي أنــا يا عراف ها، سـواء أن كان منا في أرض المرزايـق هنا أو حتى براها من المالكية.

كانـت تهديدات بدريسـا تلك للعراف وغيره من الغجر هي مـا تحمي أُختها، التي لا تعلـم عنها شيئًـا، حيث كان هُناك بـين المرازيق عهدًا أخذوه علـى بعضهم وأخذته عليهـم المالكية، حيـث لا يُغادر أحد أرض غُجار، ويخرج منها إلا وخرج وراؤه أحدًا من المرازيـق، ليُنهي حياته أو يبلغ أحدًا من المالكية عنـه، وحينها ينهوا المالكية هم حياته ويخفون وجوده، كأن لم يكن له من أثر في الأصل.

– العـراف: أنا عمري مـا هددتك ببنادر يا بدريسا، وإنتي عارفة أن سرك وسرها في بير.

– بدريسا: (تنظر له بعينا تملؤها غضب ونظرات تحمل أذى وتحذير على مصيره إذا تلاعب معها).

– العـراف: بنـادر محدش هيفضل عـارف عنها غير أنـا وإنتي وعطيـة وبس يا بدريسـا، وإن كان في يـوم الشـك هيوصل لقلبك من ناحية حد فينـا فقطع لساني أقل حاجة أقدر أطمنك بيها.

"فظلـت عـين الغجرية عليـه لا ترمش ولا يتغير لها اتجـاه ممتلأة بغِل وغضب بعدما أتى لها بسيرة عهد المالكية، الذي يُلاحق أُختها منذ يوم هربت هي فيه عنهم".

– بدريسـا: أنا مش جايالك أتكلم معاك في حكاية بنادر واللي عملته، قولي إسراء قالت أيه.

– العـراف: إسراء ورتني الموت وأنا عايش يـا بدريسا، ومش هرتاح غير لما تشوفه هي كمان وتعيش وتآسي كل لحظة فيه زي ما حصلي إمبارح.

– بدريسا: قالت أيييييه؟!

فعـاد العراف بعقله لأرضـ الغرب، وما تمنى أن يتذكر ثانية ما كان يحدث له تلك الأوقـات، ولكن أجبر نفسـه على التذكر ثانية، حتى يمـلأ روح بدريسا بنزعة الانتقام

مـن إسراء لما فعلته فيه، فاسودت الدنيا من حولـه واختفى النور ثانية عن عينه، وحل الظلام تمامًا كما كان الحال في الأرض الغربية أمام الكهف، وبدأ العراف يردد حديث إســراء الذي حفظه عقله كاسمه، ولم ينسَ منه شــيء، فتغير حاله كأن إسراء هي من أتـت له الآن، وتبدلت روحها مع روحه، ورددت ثانية كلامها بالكامل أمام بدريسا التي كان تقصدها بهذا الحديث وتلك العملة:

- إسراء: اللي طول عمري أعرفه عنكم أن محدش فيكم بيقدر يقرب من الحوش ده ولا يدخله.

- إسراء: يا ترى بدريسا هتعمل معاك أيه يوم ما تعرف أنك جيت هنا.

- إسراء: هههههههه ما تخافش أنا هلحقك وأقولها.

"فسكتـت بدريســا بعدما علمت أن روح إسراء هي ما تملكت من جسد العراف الآن، وبـات كلامهـا يتردد على لسانـه، فانتبهت لحالته التي تغـيرت رأسًا على عقب، وكأن إسراء صارت معهم الآن".

- إسراء: بس أنا عايزاك تقولها، مالهاش دعوة تاني باللي حرمتها من أمها مرتين.

فهـزت بدريســا رأسها يمينًا ويسارًا في ندم وأسف على ما تسمع من حديث إسراء على لسان العراف، وجاءت صورتها أمامها وهي تفعل كل هذا وهي متخيلة أن في رقبة بدريســا دم أمهـا نادية، ومن ثم نظـرت الغجرية للأسفل، وظلـت تفكر قليلًا ومن ثم قالت وكأنها تحدث نفسها:

- بدريســا: لساكي فاكرة أن دم نادية في رقبتـي أنا يا إسراء! لسه عايزة تشيليني هم فوق حملي، يا ترى أنا اللي انكتبلي أفضل عايشة بالذنب ده، ولا إنتي اللي مكتوبلك تفضلـي شايلـة هم موت أمك اللي ربنا اختارها يوم ما ولدتـك ومفكرة أن موتها إحنا السبب فيه يا بنت الذوات؟!

وظلـت الغجرية علـى حالها هذا لبعض الوقت، تتحدث لنفسها عن إسراء التي لن تُكـذب أي شيء عن المرازيق، وخاصة أن دم نادية يتبرأون منه جميعًا وأولهم بدريسا، فـلا تـدري الغجرية عن ما يدور في بـال إسراء ولا تعلم كيف تفكـر بنت نادية في هذا الأمـر، وخرجت الغجرية مـن غفوة بالهِا ثانية وعادت للعراف، الـذي رأت فيه إسراء متجسدة عليه وساكنة بروحها داخلة تتحدث لها من خلاله:

- إسـراء: اه وبالمـرة استنى خنجـرك كنت هتنسـاه معايا، بس استنـى صح إنت هتقولها بجد عليا وهتوصلها كلامي ولا لأ؟!

"فتغـيرت هُنـا ثانية حالـة بدريسا التي انتبهت فور سماعهـا لتلك الأخبار من العـراف، حيـث اكتشفت الآن أن تلك الجروح التي بوجهه تعـود آثارها لخنجره، الذي تمكنت إسراء من سرقته منه لتؤذيه به".

وظلت حالة العراف غريبة فهو يتحدث وكأنه لا يدري ماذا يقول حتى أخبر بدريسا وسط حديث إسراء بما كان يُخفي عنها، حيث تعمد ألا يذكر أمام بدريسا أنه قد ذهب هـو أولًا لقصـر العشتار يتبع هَنا ليقتلها، ومن بعد ظهرت لـه إسراء في صورة غجرية وصرفـت عيونـه عن هَنـا وقادته لأرض الغجـر ثانية، وعادت به لحـي المرازيق بعدما وجدته بالعشتار، وأبعدته عن الذين يتواجدون فيه:

- إسراء: بس قولي صح الأول، هو الخنجر ده إنت طلعته ليه، كنت عايز تقتل اللي ماشي وراها هي بعينها -تتكلم إسراء عن هَنا التي كان يسير العراف خلفها- ولا كنت فاكـر أن اللي ماشية قدامك دي إسراء، بـس ده إنت حتى ما تعرفنيش ومحدش فيكم يعرفني غيرها هي بس.

فأدركـت بدريسـا أن الحالة التي ذهـب فيها رشدي الآن قد سـاءت، ونسى كل ما حولـه، حيث أخبرها أنـه ذهب وراء إحدى صديقات إسـراء ليقتلها، حتى رأته إسراء

وأبعدتــه عنها وعن القصــر وبعدها عادت به ثانية لأرض الغجــر، فأدركت بدريسا أن العراف هو من جعل ليلتهم تنقلب عليهم أمس، وهو من جعل أرض غُجار يتبدل حالها عليهــم، بعدما قاد إســراء من قصر العشتار إلى هُنا داخل أراضيهم، فغلى الدم ثانية بعــروق بدريســا، وتمنت لو أن إسراء كانت قد قتلته وأنهت حياته بالفعل أمس أو يخرج لــه مــن بالكهف ليأخــذ روحه بدلًا من تركه حيًــا بعد فعلته تلك، حيــث أنه عصى أمر بدريسا التي حرمت عليهم الذهاب نحو قصر العشتار، بل وأنهتهم تمامًا عن قتل أحد، وهنــا كشــف العراف نفسه دون قصد عن عصيانه لها بل وذهابه للقصر، حيث أبلغها وهــو لا يــدري بما يقول حيث كل ما يــدري به الآن هو منظره أمــام إسراء، وهي تخرج روحــه منه ببطئ أمام الكهف، فتركتــه بدريسا يُكمل كلامه وهدأت رغبة انتقامها من إســراء، حيث من ألقى برشدي لتلك العملة هــو نفسه وبدريسا لا تتمنى له غير الموت، لكنها تمالكت نفسها، واستمعت لباقي حديث إسراء على لسانه:

- إســراء: طالمــا خنجرك طلع مــن مكانه عشان يشم ريحة الــدم، أنا مش هخليه يرجع برضو لمكانه إلا وعليه دم فعلًا.

"هُنــا لم يتأثــر قلب بدريســا ثانية بما حدث لرُشدي، حيــث كانت تلك اللآلام والجروح هي جزاؤه ونصيبه من بعد تتبعه لهَنا، ومحاولته قتلها عند مدخل القصر".

- رُشدي: خلي اللي بعتتك عشان تقتلني تبقى تلحقك هي.
- رُشدي: خلي اللي بعتتك عشان تقتلني تبقى تلحقك هي.
- رُشدي: خلي اللي بعتتك عشان تقتلني تبقى تلحقك هي.

بــدأ يكرر آخــر كلمة قالتها إسراء كثيرًا وكان يعلو صوتــه مع كل مرة يقولها فيها، حتى أسكتته بدريسا، بعدما قامت له وأمسكت ذراعيه فصمت ونظر لها وقال:

- بدريسا: رشدي رشدي فوق وبصلي هِنا

"فعـاد لها رشـدي كأنه طفلًا صغيرًا غير الذي يعرفونـه جميعًا، وتكلم لها في قلق وخوف شديد".

– رشدي: خلي اللي بعتتك عشان تقتلني تبقى تلحقك هي،

(فتركت بدريسا ذراعيه بعدما هدأت ثورته، وظهر لها رشدي العراف ثانية بعدما رحلـت عنه صـورة إسراء، ولكنه عاد بخوف وضعف لم تلحظـه عليه بدريسا من قبل، فسكتت وتركته يتحدث ويقول ما يريد، بينما ظل الضعف والخوف متُمكنان منه تمامًا:

– العراف: اللي بعتتك عشان تقتلني تبقى تلحقك، بس اللي بعتتني ما جاتش تلحقني.

– بدريسا: إنت بتقول أيه!

– رشـدي: اللـي بعتتنـي عشان أقتـل إسراء ماجتش يـا بدريسا! إنتـي ما جيتيش تلحقيني منها!

"فأدركـت بدريسـا أن هلاوس الخـوف والقلق سيطر عليه تمامًـا، فنظرت له حزينة على حاله وغير نادمة على ما فعله في نفسه، فظلت تنظر له وهو يكرر ما يقول".

– رشدي: إنتي ما جيتيش تلحقيني منها!

– رشدي: إنتي ما جيتيش تلحقيني منها!

– بدريسـا: رشـدي! أنا مـا قولتلكش تقرب مـن العزبة ولا تروح ناحيـة اللي فيها حصل ولا لا؟!

مِرسال للمالكية.

فبدأ يعود لوعيه ثانية بعدما سمع كلمات بدريسا، حيث واجهته بحقيقة فعلته، التي أقدم عليها أمس، وذهابه خلف هَنا لناحية القصر حتى يقتلها، فأدرك أنه أخبرها بما كان يحاول أن يخفيه، حيث خرجت من الحقيقة كامِلة وسط هلاوسه، وهو ينقل حديث إسـراء ولم يدرِ أو ينتبه، لكن بدريسا الآن نبهته بما سمعت وعرفت، حيث علمت تمامًا

بـكل تفاصيل تلك الليلة، وما حدث فيها عدا التقـاء ميرين بإسراء، وترك بنت الغجر جرحًـا في كتـف إسراء، سقطت له الدماء على طريق المقابـر، حيث كان كل شيء عما حـدث أمسـ في علم بدريسا الآن عدا لقاء إسراء بميريـن، ومن بعدها نظرت بدريسا لرشدي وقامت مغادرة غرفته، التي خلت عليه، فتحدث العراف بينه وبين نفسه بعدما راقبها وهي تختفي من أمام عينه، فأتى بسيرة المالكية كأنه يتحدث مع حاله:

– رشـدي: مش إنتـي اللي هتقدري تجيبي روح إسراء يا بدريسا مش إنتي، المالكية بس اللي يقدروا ولازم يرجعوا لغُجار من تاني.

"طيف يزور غُرفة إسراء"

2008/11/27 4:00 عصرًا

عودة الخنجر ليديها.

كانـت إسراء بغُرفتها نائمة على سريرهـا، وعيناها مفتوحتان وفي وادي آخر غير الذي تتواجد به حيث ظلت تعيد التفكير لمُدة طويلة في الليلة التي زارتها فيها تلك التي أفزعتها من نومها، بعدما تحدثت في أذُنها واختفت فجأة من غرفتها، ومنذ قليل ظهر لهـا طيفهـا ثانية في نومهـا، وجعلها ترى ما حـدث لها تلك الليلة، بعدمـا زارها خيال عقلهـا وأحلامها، وما انتهت إسراء من خيالات وتلابيب عقلها، إلا ووجدت خيالًا آخر يـزور غرفتها، حيث لاحظت بنت نادية ظهور ظل من أسفل عقِب باب غرفتها، فقامت من على سريرها وأعادت الخنجر ليديها ثانية، وسارت تتحرك بحذر نحو الباب، الذي كانت تشعر أن من تقف وراءه هي جواهر، حتى تأكدت فعلًا منها، وكانت الخادمة هي صاحبـة هـذا الظل، الذي تسرب لها من أسفل البـاب، ليخُبرها بالتي أتت لها ووقفت أمـام غرفتها، لكن كانت جواهر في الواقع تسير خلف وردة، وتقف لتسمع ما ستتحدث بـه بنت عشمانة، حيث فضلت إبقـاء عينيها عليها حتى لا يُغادر أحد من العشتار ثانية

دون علمهـا، وخاصـة وردة التي بعدمـا زادت شكوكها حول جواهـر، وتأكدت إنها من المالكيـة خافت منها كثيرًا، وخافت على إسـراء وعلى كل من بالقصر، من مصائرهم التـي أعتقد أن تلك الخادمـة أتت لتنهيها عليهم بيديها، وفي ظـل تواجد جواهر أمام الغُرفتين، غُرفة إسراء وغرفة الجدة أنورين، ظنت إسراء أن السمراء أتت حتى تتسلل بنفسهـا للداخل، فأمسكت إسراء بالخنجر جيـدًا، واقتربت كثيرًا من الباب، وصارت تقـف خلفـه مباشرة، فلاحظت تحرك ظل الخادمة من الخـارج، حيث كانت عين كلًا منهمـا تراقب الأخرى من أسفل الباب، حيث ما تتحرك إحداهم إلا وتغير مسار خيال ظلها فتراه الأخـرى، ولكن جواهر أدركته قبل إسراء حيث شعرت بها، فبدأت تتحرك وظنـت بنت نادية أنهـا آتيه لها وعلى وشـك اقترابها من البـاب، فأمسكت بأُكرته في يسارهـا، والخنجر بيمينها وفتحت الباب على فجأة، فلم تجـد أحدًا أمامها، وسمعت أصوات وردة وهنا وليلى من داخل غرفة أنورين، فتركتهم وأغلقت الباب عليها ثانية.

"مُبتغاه قبر بدريسا"

2008/11/27 6:30 مساءً

عودة لم يتمنَها قط.

بعـد أن مكث هو وفهـد في دار بدر الصعيدي لأكثر من تسـع ساعات، خرج حازم مـن البدروم لا يتكلم تاركًا فهد مع بدر الصعيـدي، فباح بدر الذي كان يشتغل بسرقة النـاس في الماضي بالسر الذي يعرفه عن المرازيق، وقصـ لفهد حكايته أول مرة، رأى فيهـا بدريسا وهـي تقتل أم وطفلها، الـذي وضعته والداية التي أخرجـت لها جنينها، فـكان مصير فهد أن يجلس هو وحده يعلم منه تلـك القصة بأكملها، أما حازم فكانت ساعاتـه بالقبـو كفيلـة أن تجعله يعيد ما حدث لـه في هذه البلدة كلهـا، منذ أن وطأت قدمـه مدينة الأقصر، ففكر في أول يوم جاء هنا ورأى بدريسا أمام قبرها، الذي تعلق

في ذهنــه كثـيرًا ومن ثم رؤيته وشكوكه حول جواهر، ومــن بعد حكايات الصعيدي عن المرازيــق وعاداتهــم، وماحدث له بعدمــا أنقذوا حياته، فمرت كل تلــك الأحداث عليه إلى أن عــاد له ثانية مشهد بدريسا وهي أمام قبرها، فوضعه حازم نصب أعينه وصار ناحيــة موضع بدريسا المُفضــل في طريق القبور وجعله مُبتغاه، وحينها قرر وحده أنه ما ينفتح عليه البدروم بعد غياب الشمس إلا ويذهب بُمفرده لهُناك، حتى يرى ماذا تفعل الغجريــة ومــا يحوي هذا القبر تحت تُرابه، فظل ينظر لفهد وهو بعيدًا عنه، ولم يكلمه تلك المرة حيث لم يفضل حازم حينها أن يجره معه تلك المرة إلى بدريسا حيث سيذهب وحده لها، ومع غياب ضوء الشمس نزل لهم الصعيدي، وبعدما فتح عليهم البدروم ما علــم أحدًا غير الله ما ســوف يحدث، حيث سيكتب عليهم بعد تلــك اللحظة أن يُحكي لفهد كل شيء عن ما حدث له قديمًا في حارة مصباح، أما حازم فلم يُدرك الصعيدي أنه ترك له اللجام على آخره وأفلتت زمامه، بعدما أفسح له الطريق ليخرج من منزله دون أن ينطــق بحــرف ويذهب بين القبور ليبحث عن التي قابلها فيه هو وهَنا لأول مرة رأوا فيهــا الغجــر، وبمجرد ما غابت الشمــس عنهم قام حازم وتركهــم دون أن ينطق بكلمة كما خطط، وترك بدر الصعيدي لفهد:

- بدر: حازم رايح فين يا ولدي؟!
- فهد: سيبك منه يا عم بدر سيبك منه، أنا رايح وراه.

لكن قبلما يُكمل فهد الطريق خلف حازم تذكر ما قاله بدر في الصباح:

- فهد: إنت قولت أيه الصبح يا عم بدر قبل ما ندخل البدروم؟!
- بدر: قصدك على أيه؟!
- فهد: مش حمل ذنب روح تاني تروح منك؟!

وحينهــا فتــح فهد حُجرة أسرار بدر الصعيدي التي بعقلــه وسمع منه حكاية حارة مصباح قديمًا.

وتركـوا حازم يشق طريقة نحو قبر بدريسا، حيث كانت زيارته لرؤية تلك الغجرية ثانيـة هـو ما يتمناه، لكن حازم أتـى له زيارة من أخرى غيرها، حيـث لم تكن بدريسا التـي أتته، فـإذا كان لفهد نصيبًا من رؤية الكاهنة في الصباح، وهي لا تفعل شيئًا غير الظهور والاختفاء على بغتة، كانت تلك المرة التي من نصيب حازم قد كتب لها فيها أن يـرى هذه الراهبة، ويُشاهد شرًا لا يقل شيئًا عن بدريسا التي وجدها جالسه ذات يوم على بساط أمام قبرها.

– ميريـن: عـارف يا طه، أنا مـا بقتش فاهمة أيـه اللي بيحصـل في أرض الغجر اليومين دول.

"تتحـدث ميريـن معه وتعلم أنه لن يرد عليها، لكنهـا اعتادت على هذا دائمًا، حيـث لا يخـرُج معها للسـير أبـدًا إلا وكسرت ميرين حاجـز الصمـت، وتتحدث معه وتجيب نفسها، وإذا أراد هو شيئًا منها كلمها بلغة الإشارة وشاركها حديثها".

– ميرين: بس برضو أقولك فرحانة فيهم، وكان نفسي اللي حصل للعراف يحصل لعزيز على الأقل كنت أخلص منه.

– طـه: (يمسكها من ذراعها بعدما أتت بسـيرة المرزايق، وتمنت لهم الأذى حيث خاف عليها إذا سمعها أحدًا تقول هذا، فأشار لها بالسكوت وعدم الإتيان بسيرتهم مجددًا).

– ميريـن: طيب خلاصـ خلاص ما تزعليش مش هتكلم عنهم تاني، ولا عن عزيز ده بس إنت عارف...

رؤيتها وسط مقابر غُجار.

"لم تُكمـل ميريـن باقي كلامها إلا وجذبها طـه الخادم فجأة، وأخذها ليختفي بهـا خلـف قبر بدريسـا، حيث كانـوا يسـيرون بالقرب من طريـق المقابـر، وأخذتهم غفـوة الحديث، وسـاروا وسط القبـور دون أن يـدروا، حتى فوجئ طـه بظهور غريب لراهبة أمامهم تسير معهم بين القبور هي الأخرى".

- ميرين: أيه يا طه في أيه؟!

- طه: (يضع يده على فمها ليسكت لسانها عن الحديث).

"ترفع ميرين يده من على فمها بعدما أشار لها بعدم التحدث"

- ميرين: طب قولي طب في أيه -تكلمت له بصوت خفيف لا يُسمع له صدى-

"فأشار لها بيديه لداخل المقابر ووصف بيديه لها أن هناك غريبة تتواجد معهم في أرض المقابر".

- ميرين: هي؟!

- طه: (يشير لها بالنفي على سؤالها).

"عندما أبلغها طه بوجود تلك الغريبة بين المقابر، جاء على ذهن ميرين فجأة أن تلك التي يتحدث عنها الخادم قد تكون التي ظهرت لها أمس، وأصابتها بنصل في كتفها، فرد عليها طه وأشار لها بيده، أنها ليست تلك التي رأتها أمس حيث قد كان طه رأى هو وميرين أمس واحدة تشبهت بهم، وتلف حول وجهها خمار أسود ولا يعرفون هويتها، أما الآن فقد رأى طه الخادم غريبة ما تمنى في يوم أن يراها في أرض الغجر أبدًا، حيث وقعت عينيه على الكاهنة، التي تُخفي كل ملامحها بخمار غطت به رأسها، ووضعته عليها كما وضعت ملابس راهبة عليها، وسارت بها وسط أراضي غُجار".

- ميرين: أومال مين، طالما مش هي اللي جاتلنا إمبارح؟!

- طه: (لم يجد الخادم مفر من وصف تلك الكاهنة لها، حيث فعل ذلك وهو مكره، حيث لم يرد قط أن يحدث هذا الآن، وأن ترى ميرين أو تسمع عن تلك الراهبة في تلك الأوقات).

- ميرين: إنت بتوصف أيه أنا مش فاهمة منك حاجة برضو، أنا هقوم وأشوفها؟!

"فأمسك طه بيديها ليمنعها عن الذهاب لها، وحتى يقلل من عنادها أمسك

يدهـا بقـوة، وقام هو أولا فـرأى الراهبة تسير بعيدًا عنهم، فأشـار لميرين فقامت من خلف القبر ووقعت عينها عليها".

"راهبة تحت ضوء القمر"

2008/11/27 7:00 مساءً

لا عادة لها تُقطع ولا فِعل لها ينتهي.

تحـت ضوء القمر غطت أشعته أرض غُجار بأكلمها، كانت أرض المقابر تجمع على دروبهـا كاهِنة جاءت غريبة على تلك الأرضـ، لكن تعرف من بها جيدًا، وغريب يسير آتيـا من منزل بـدر ومُبتغاه بدريسا وقبرها، الذي تجالسـه في لياليها العشر، وميرين التي تخفت عن الأنظار ومعها طه خادم المرازيق، الذي لا يفارقها أبدًا وأيضًا لم يتمنَ مـن داخلـه أن يأتي يومًا وتظهر فيـه هذه الكاهنـة نفسها في أرض غُجـار، حيث وإن أظهـرت نفسها لهم جاءتهم كراهبة من إحـدى أديرة البر الشرقي، وباتت ترُد عليهم زيـارات قد قدمهـا المرازيق لها في الماضي وآخرها كانت على يـد بدريسا، حيث كانت صلـوات ودعـوات تلك الراهبة في كل مرة تأتي بنفسهـا إلى تلك الأرض، هي رؤية تلك الغجريـة، ولكـن كان لقدرها رأيًا آخـر ومصير مختلف كتبه عليها، حيـث جعلها أول مـرة ترى غريبًـا لا تعرفه -فهد الطبيـب- وثانيًا سيأتي لها الـذي كان يقف أمام دار الصعيـدي مع فهد ولكن لم تلمحه عينهـا، فعين الكاهنة كانت أولى رؤياها من نصيب فهـد في تلك الأرضـ وثانيهم ستكون لحازم، الذي صار معهـا الآن وسط المقابر يسير وتسـير معه، ولم يكتب لهم حتـى الآن أن تلتقي مسارات خطواتهم، لكن تلك الليلة لن تنتهي عليهم إلا وأن يلتقي مصير هذا الغريب مع تلك الكاهنة.

وخلف قبر بدريسا كان طه يقف ومعه ميرين وعينه على سير الراهبة، ويد ميرين في يـده لا يـترك لها سبيل للحركـة، وظلت هي الأخرى غير مباليـة بتقييد يد طه لها،

حيـث كان كل شاغلهـا هو مُراقبة هذه الكاهنة، التي فور مـا اختفت عاد انتباه ميرين المشتت لها وتحدثت مع طه:

- ميرين: سيب إيدي يا طه، سيب ما تخافيش أنا مش هتحرك من جنبك،

وما أنهت ميرين حديثها إلا وعادت أمامهم الراهبة ثانية من بعيد، لكن تلك المرة كانت آتيه نحوهم.

فظلت ميرين تنظر لها وتراقب خطواتها، حتى تشتت انتباه طه مرة أخرى، وظلت عينـه على الراهبة وغاب بنفسه عـن كل ما حوله، وميرين على حالها بجانبه لا شاغل لهـا سوى تلـك الكاهنة، التي تضع عينـا عليها والأخرى على طـه، وتهيئ نفسها بقدر مـا تستطيع، حتى بدأت الكاهنة تقـترب بسيرها نحوهم فانتبه طه، حيث وإن اقتربت المسافـة لأكـثر من ذلك ستراهم هي، فأبعد عينه عنها ونظر جانبه لميرين، التي كانت أخفت نفسها عن الأنظار، كأن لا وجود لها في أرض المقاب.

فاهتـز جسد طـه واضطرب قلبه حيث خاف عليها وعلـى حياتها من تلك الغريبة عليهـم، التي تسير الآن وسـط أراضيهم قريبة منهم، فأعاد الخـادم وجهه ثانية نحو الراهبـة وبـدأ يبعد نفسه عنهـا في حركة بطيئة حتـى اختفي هو الآخـر من عند قبر بدريسـا، الـذي ما برح وفارقه اثنين من الغجر، إلا ويحل عليه اثنان من الغرباء أولهم كاهنـة لا يعـرف لها ماض وإذا عرف لـن تُحمد عليه، والثاني آتيا مـن العشتار يبتغي موضـع هذا القبر وصاحبته التـي تُجالسه، فتسبقه الكاهنة وتجلـس أمام القبر حيث تعرف سره هي الأخرى كما يكون حال بدريسا تمامًا، ولكن خلوتها عليه لم تدم طويلًا:

- حازم: كنت عارف أن هلاقيكي هِنا.

"حينما وصل أمام القبر وجدها جالسة وجهها للمدفن وظهرها له، فظن أنها بدريسـا لكـن هويـة تلـك الكاهنة لم يكتب لأحـد أن يعرفهـا بعد، وما جعـل حازم أن

يظنهـا بدريسـا هو ملابس الراهبة التـي ترتديها، حيث كانت نفـس الملابس السوداء التي عشقها الغجر ودائمًا ما كانوا يتوارون فيها".

- الكاهنـة: (تستمـع لصوت غريب غير صـوت الغجر الذي تعرفـه جيدًا، فترفع غطاء رأسها عنها وتستدير له بوجهها، فكان هو أول من كشفت له عن ملامحها).

- حازم: إنتيييي، إنتي مين؟! مش إنتي اللي شفتها قاعدة هنا قبل كده.

"فتبتسـم الراهبـة حينما سمعته يتحـدث عن بدريسا، وعلمـت أن مازال هذا القبر مكانها المفضل الذي ترددت عليه دائما، فلا عادة لها تقطع ولا فعل لها ينتهي".

- حـازم: (في لحظة اندفاع جرى نحوها، وأخذ خنجـرًا من جانبها كانت وضعته أرضًا حينما جلست أمام قبر بدريسا، لتنتظرها لكنه أتى هو لها أولًا في موعا كان غير مُحبب لأحد أن يراها وقته).

- الراهبـة: بره الأرض دي -تشير بيدها له ناحية مَخرَج غُجار- عشان أصحابها مش هيقتلـوك، لأنهم ما بقوش يعرفوا يقتلـوا أساسًا، بس أنا هقتلـك وإنت مش من الغجـر، وأنا ما بقتلش غـير اللي من الغجر مرازيق كانوا أو مالكيـة، فأطلع منها على رجلك بدل ما روحك هي اللي تطلع من جسمك.

- حـازم: (لأول مـرة منذ قدومه عند الغجر لم يستطـع أن يتصرف أو يفعل شيئًا حيال ما يدور حوله).

على يديها ينتهي مصيره.

وفور ما أنهت الكاهنة حديثها ظهرت ميرين لها من خلف القبر، ووقفت على يمينها فوجهـت الراهبة عينيها نحوهـا، وحازم على حاله لم يحـرك الخنجر من مكانه على رقبـة الكاهنة، ومن ثم بدأت الراهبة تُعيد الخمـار ثانية على رأسها، وفي وسط حركة يديها خطفت خنجرها من يد حازم، ووضعت في رقبته إبره أخرجتها فجأة من يديها،

ودفعتــه نحــو ميرين وهربت من أمامهــم، وعادت وسط القبور، أمــا ميرين فأسقطت حــازم علــى رأسه لتتفادى سقوطه عليها فوقع واصطدمــت رأسه بشدة على حافة قبر بدريســا، الذي دفعت الكاهنة نحوه وساعدتها ميرين حيث فعلت ذلك لتفاديه، وجرت هــي الأخرى تتبع الراهبــة في سيرها، فنزفت دماء حازم وافترشــت الأرض، وصار لا يتحــرك بعدما أرقــدت الغجرية في رقبته إبــرة سامة، وحينها أتى طــه الخادم ثانية، ونظــر على حازم فأسرع عليه حينما وجده سابحًا في دمائه، فقلبه على ظهره ليجد في رقبته إبرة من كثيرين تجعلهم الكاهنة في يديها، وترميها فجأة على الذين يهاجمونها فتسقطهم أمواتًا، فأراد الخادم أن يتأكد مما سيحدث لحازم ومصيره الذي قد كتبت لــه نهاية طويلة بداية من الآن، فأمسك بالإبرة وخلعها من رقبته ووضعه طرف إصبعه عليهــا، وتذوقهــا ثم أبصق فأدرك أنــه بالفعل سم، ولكنه يقتل علــى المدى الطويل ولا يخــرج من جسم أحدا بيُسر، ولن يُخرِج هذا العقار من جسده غير أحد المرازيق، لكن طــه انشغــل بميرين التي ذهبــت لتلحق بصاحبة تلــك السموم، فخاف عليهــا أن تبدأ حياتهــا بالانتهــاء هي الأخرى، كما بــدأ يحدث لحازم الذي بدأ سريــان هذا السم في عروقــه وســوف يموت بعد ساعات، فتركه طه على أمل أن يعــود له ثانية، بعد أن يلحق بميريــن من يــد تلك الكاهنة وإبرها التي تسكُن أجساد الناســ فتجعلهم بعدها أمواتًا مثل حازم الذي على يديها بدأ ينتهي مصيره.

تركت عليها أثرًا.

إن كان في أرضــ الغجر أحدا يجــري في دروبها وبين مسالكها، فلن يتخطى سرعة ميريــن وخفتها التي عُرفت بها، حيث ما جعــل الكاهنة تختفي عنها وأبعد عينا ميرين عــن لقائها هو إختباؤها بين القبور، حتــى تعيد عِصبة الخمار ثانية على رأسها جيدًا، وفور ما أنهتها قامت الراهبة وأظهرت نفسها وسط المدافن، ثانيةً رأتها ميرين وحينها

أبطأت من سيرها وذهبت ناحيتها، لكن قبل أن تقترب منها بنت الغجر قامت الراهبة بإفـراغ كتلـة غُبار من يدها، جعل رؤيتها أشبه بالمستحيـل، فجرت ميرين فورًا ووقفت فـوق بناية أحـد المدافن، فرآت الراهبـة تسحب نفسها خارج أرضـ غُجار، فأسرعت ميريـن هـي الأخرى نحو المخرج، ولكن من طريق آخر غـير الذي تتبعه الكاهنة، وقبل أن تنـزل ميريـن من فوق المدفـن رآها طه فجرى نحوهـا ولكنها نزلت قبـل أن يصل لها، ووصلت الراهبة للمخرج الذي تنتهي به أرض المدافن، وغُجار كلها فوقفت ميرين عليـه، وجعلت نفسها حائل بين الراهبة وطريـق الخروج من أرض غُجار، الذي فور ما ظهـرت الراهبة وخرجت تجري من بين المقابر، وجدت بنت الغجر تقف أمام خروجها من أرضهم، فهدأت حركة الراهبة وتمالكت نفسها أمام ميرين، التي لم تُمهلها الكثير حتـى أخرجـت أول نصل من بين يديها فجـأة، وألقته نحوها فحركـت الكاهنة نفسها خطـوة لليمين، فذهـب بعيدًا عنها، فعمـدت الراهبـة أن تظهر هدوئها أمـام الفتاة، وضمـت يديهـا على بعضـ حيث جعلـت يُمناها فوق يدهـا اليسرى، التـي تسكن فيها العشـرات من الإبـر السامة وسكينًا صغـيرًا يختفي تحت كُم ذِراعهـا، وحين تحركت الكاهنـة لتتفادى سهم ميرين الثاني، أشهرت بنت الغجر خنجرًا من جانبها وأسرعت تجرى به نحو الكاهنة.

بعد رؤيتها فوق المدفن.

جـرى طه الخادم نحو منتهى أرض الغجر، بعدمـا رأى عين ميرين وهي فوق أحد المدافـن، تتجه نحوه كأنها تُراقب الكاهنة وهي تخرُج، وكان طه من داخله يتمنى لتلك الراهبـة أن تخـرج بسلام من أرض المرازيـق ولا تلحق ميرين بها، لكنـه كان يعلم أن لسرعة ميرين ورشاقتها رأيًا آخر.

خاصـة وأن ميريـن لا تسلـك نفسـ الطريق الـذي يسلكه من تطاردهـم، وفي كل

الأحـوال سينتهي مصير سباق كلًا مـن ميرين وتلك الكاهنة عند المخرج، فكان كل ما بوسع طه في هذا الحين هو السير سريعًا نحو بوابة المقابر، التي يخرج منها الغجر إلى باقـي البلدة، وحينما اقترب موعد وصوله للبوابة، وجد ميرين من بعيد واقفة وبيدها خنجرها، الذي لمع بريقه تحت ضوء القمر.

خنجر الكاهنة ونصل ميرين.

انتهـى زحف ميرين السريع نحـو الكاهنة بقفزة من ميريـن جعلتها فوق الكاهنة بكثـير، حيث ستهبط بخنجرها على رأسها وتودي بحياتها، ولكن الراهبة كان لها رأي آخـر، حيث ما وجدت ميرين تعلو فوقها بكثير إلا ومسكت بقدمها وجذبتها، حتى اختل توازنهـا ثم قذفتها بعيدًا بقليـل، فاختل توازن بنت الغجر وسقطت أرضًا، ولم يكن من بالأرض كُلها أن يُسيطر على مشاعر الكاهنة أو يهدئ من حالتها، فظهر نصل الكاهنة هـي الأخرى، وأرسلته نحو ميرين لكن كان مصيره ليستقر في جسد طه الخادم، حيث رمـى نفسـه علـى ميرين وأخذ هـو الخنجر في ظهره، بـدلًا من تركـه ليستقر في قلب ميريـن، التـي مجرد ما لاحظت طه ودماؤه تخرج منه لم تـدرِ بنفسها فقامت من على الأرض، وأعـين الراهبـة تلاحقها، فأتت لها بخـبر ميرين، وهي تخلع مـن حول نعَلي قدميها خنجران آخران، وسارت بهم نحوها في بطئ، وجعلت ما بيسارها في يدها كما هو، وألقت بالخنجر الذي بيمينها نحو تلك الغريبة، التي حركت نفسها وجعلت رميات ميرين عليها مجـرد أسلحة تسلبها منها الراهبة وهي لا تدري، وبمجرد وصول ميرين لهـا ألقـت عليها مياه هربت منهـا الراهبة، فسقطـت قطرات صغيرة علـى ملابسها فأحرقتهـا، حيث جاءت عليهـا الآن بنت الغجر -بمياه حارقة- مـا سوف تتلامس مع جلدهـا إلا وستجعلها تملأ أرض غُجار كلها بصريخهـا، لكن كان لحسن مصيرها أن تهـرب بنفسها من تلك الزجاجة التي بقى بها القليل، فحاولت حينها الكاهنة الذهاب

لبوابـة خروجها من تلك الأرض، لكن ميرين ذهبـت ورائها وأمسكت بخمارها وشدته من على رأسها، فأسقطت الراهبة على ظهرها، وقبل أن تقترب منها أمسكت الكاهنة قدماهـا، وطرحتها أرضًا قبل أن تقدم على فعل أي شـيء بها، وحينها أرادت الراهبة أن تُنهي تلك المغامرة التي حدثت لها فجأة في غُجار.

حتى ضوء القمر لم تصل أشعته إليها.

فوقفـت الراهبـة تحت رؤية أعين طـه الخادم لها، هي وميريـن وقامت بثني ذراع ميريـن الأيسر من فوق ظهرهـا بيدها اليُمنى، وباليسرى أخرجـت الكاهنة سكينتها، التـي تسُكنهـا دائمًا في تلك اليد، ونقشت بها رمـزًا غريبًا على ظهر ميرين، حيث كان لشِـدة صلابـة سكينتها وحِدتهـا، ما جعلها تسـير على ظهر ميريـن إلا وتُطلق العنان لدمـاء الفتاة، لتخـرج من مواضع سـير هذا النصـل الكاهني، حينهـا لم يُمهلها طه أكـثر من ذلـك، فضغط على نفسه وتحامل وقام مسرعًا، وجـرى عليها فور ما أخذها وسقـط بهـا أرضًا، دفعته وقامت سريعًا ثم حقنته بعقار في رقبته هو الآخر، وتركته في ثوانٍ، لتهرب من مخرج أرض المدافن، ومن غُجار كُلها، وبمجرد وصولها للبوابة وصل لظهرهـا نصلًا أرسلته لها ميرين، التي كانت راقـدة أرضًا ولا قدرة لها أن تقوم ثانية مـن مكانهـا، بعد ما أحدثتـه لها الراهبـة في ظهرها، لكِن تحاملـت وقامت من مكان رقودهـا علـى الأرضـ بصعوبة، بعدمـا كان قد أخذ طـه الخادم الكاهنـة وسقط بها بعيـدًا عنها، وقبل أن تلمس قدم الراهبـة أي موضع خارج أرض الغجر كان هذا نصل ميريـن قد سكن في جسدها، فأدارت الكاهنـة رأسها فرأت ميرين وهي تقع ثانية على الأرض، وتنظر لها ووجهها تعلوه ابتسامة بسيطة، بعدما وصل لجسد تلك الكاهنة سم مـن سموم الغجر -وكان حقيقيًا تلك المرة حيث كان هـذا النصل الوحيد الذي تجعله ميريـن مسمومًـا- فتحسست الراهبة مـكان النصل وخلعته مـن ظهرها وأخرجت ما

معهـا ورقـة مكتوب بها شيئًا، وغرسـت سن النصل هذا فيها، وألقـت بها بعيدًا وسط المقابـر، فاختفى أثره وسط المدافـن، وراح النصل عن أعين ميرين، كأن الكاهنة تُعيد إليها نصلها ثانية، لكن وهو ملقي ومختفي أثره وسط مقابرهم، وبعدها اختفت تمامًا الراهبـة من أمامهم، حتى ضوء القمر لم تصل أشعته إليها، حيث تختفي الكاهنة بعد مـا تركـت على ظهر ميرين جرحًا نظيفًـا لا يلوثه سم أو عقار، يضـر ببنت الفجر أما الأخرى بنت الفجر فجعلتها تُغادر أرضهم، وبجسدها عقار مميت أودعته للراهبة في عروقها.

الفصل الثامن

بُساط مِن دمـاء

"على بساط من الدماء"

ليلا 7:00 2008/11/27

آخر رؤياها له.

بعـد أن كُتـب لمصـيره أن تستقر في رقبته إبـرة مسمومة من الكاهنـة، وسببت له جرحًـا، وإسقـاط ميرين له عن غير قصـد محاولة إبعاده عنها من بعـد دفع الراهبة لـه نحوها، ظل حازم فاقدًا وعيه بعدما استقرت رأسه في حافة مبنى المقبرة فخرجت دمـاؤه وفرشـت بُساطًـا حوله أتت عليه زوجتـه رؤى، كأنها تُمني نفسهـا ألا تكون تلك المرة هي آخر رؤياها له، وهو مفترشًا أرض غُجار على بساط من الدماء، وكانت حالة رؤى كأنهـا تموت ثانية من بعد موتتهـا الأولى في حادثة الإسكندرية، فظهرت من على مسافـة غير قريبة منه، كأنها تأتي له من داخل أحـد مقابر الغجر، وتسير إليه بتمهُل كأن لا طاقـة لهـا برؤيـة زوجها في حالته تلـك، لكن وإن كانت هذه قـد تكون آخر مرة سـتراه فيها حيًا قبل أن يصير مثلها روح فقط دون جسد، تحاملت على نفسها وذهبت لـه فجلسـت بجانبه وعقلها متوقف، حيث وإن كانت بنـت داوود على قيد الحياة فعلًا، لكانـت ستخرُج روحها من جسدها من هول هذا المنظر عليها، فتلك أول مرة تأتي هي لحازم ويغيب هو عنها، فهي الآن رفيقة جسده فقط، أما روحه فلا تتمنى من الله غير أن يُعيدهـا لـه ثانية، ولا يموت مثلها، وحاولت أن تُكلمـه أو تفعل له أي شيء، لكن ليس لـروح رؤى أن تنطـق بشئ ولا لصوتها أنينًا يُسمع، فظهرت من عين رؤى دموعها، وهي جالسـه بجانبـه لا حول لها غير الدعـاء والتمني من الله أن يعيد لهـا حازم كما كان، حيـث وإن كانت تتمنى أن يجمع الله بينهم ثانيـة، فلا لهذا التمني أن يحدث لها الآن، ويمـوت زوجها بتلك الطريقة وفي هذا المكان، وصـارت رؤى العين جالسة وسط مقابر غُجـار، التـي كان كابوسًا عليها كلما كانت تتوقع أن سيكـون مصير زوجها هو الدخول

في إحداهم لبقية عمره، وانتهاء أثر جسده وسط هؤلاء الغجر، وظلت هكذا في دعائها تتمنـي مـن الله أن تنزل رحمته على زوجها، وفي آن آخـر ترجو فيه أن كانت فعلًا هذه هـي النهاية لزوجها، فلا تكون قد كُتبت عليه فيها أن يُدفن وسط هؤلاء الغجر، وظلت رؤى وحدها إلى أن جاءها أحدًا من غُجار.

"دار بدر"

2008/11/27 7:00 ليلا

رؤيته للدماء ثانية في أرض الغجر.

- بدر: فهد يا فهد إنت فين ياولدي؟!

لم ينتبـه فهد لصـوت بدر الصعيدي القـادم من داخل المنزل، حيـث بعدما سمع منـه الطبيب حكاية حارة مصباح، التـي حدثت منذ عشرين عامًا، وبدريسا وما فعلته حينها في أم جميل التي داوت هبة في حملها، ومن بعد قُتلت على يديها هي وهبة، التي وضعت طفلها والطفـل أيضًا، وخرج الطبيب يتدبر أمره خارج الدار قليلًا ويدور عقله حـول بدريسـا، وجريمتها تلك التي أودت فيها بروح ثلاثـة منهم مولود لم يُكتب لعمره أن يـدوم إلا لساعات فقـط، ووسط ظهور فهد خارج الدار لمح حينها تلك الكاهنة التي رآهـا في الصباح تسير متجهة نحو داخل أرض غُجار، فأراد فهد أن يسير وراءها لكن استوقفـه ثانية نداء بدر الصعيدي عليه، فتوقـف فهد حتى لا يختفي فجأة من أمامه، ويسير قلقه بدر عليه هو الآخر كما فعل حازم منذ قليل:

- فهد: أنا هنا يا عم بدر تعالى.
- بدر: أيه سرحان في اللي لسه حاكيهولك إياك صح؟!
- فهد: وإنت شايف اللي حصل ده حاجة عادية!
- بـدر: اللي حصل ده يابنـي يبقى غريب ومصيبة عندكـم إنتم، لكن هنا وسط

الملاعين دول دي حاجة هينة ومش غريبة زي ما إنت فاكر، أصل القتل عمره ما هيكون حاجة صعبة على اللي اتربوا وسط الدم يا دكتور.

– فهـد: يعني تقتل ست كبيرة ماشي، ده باعتبار أن القتل حاجة سهلة، وقتلت هبة عشان كانت من المرازيق وخرجت عنهم ماشي برضو، لكن ذنبها أيه روح جنين يادوب لسه حتة لحمة حمرا!

– بدر: روح ابنها بقى ولا بنتها أيًا كانت مش فارقة! ما ده عُمرهم اللي مكتوبلهم.

– فهد: أيوه يا عم بدر بس برضو يعني... ثواني كده إنت قولت أيه؟!

– بدر: أيه يا دكتور مالك؟!

– فهد: ولد ولا بنت مش فارقة! هما كانوا اتنين؟

– بدر: لا يابني، مكانوش اتنين ولا حاجة، بدريسا بس هي اللي لخبطت عليا حالي الليلـة دي وخلتنـي مشـ فاهم حاجة واصـل، أو بمعنى أصح مكنش فيـا دماغ أفكر في حاجة ليلتها.

– فهد: يعني أيه.

– بدر: يعني أنا زي ما قولتلك شوفت المولودة ساعة ما اتولدت، وكنت أنا أول واحد ياخدها في حضنه، حضنتها حتى قبل ما أمها تشوفها ولا توعى عليها.

– فهد: مولودة؟!

– بـدر: والله يابني أنا ما كنتش فاهم أي حاجة ليلتها، اللي كنت ماسكها في إيدي ليلتهـا كانت ملامحهـا ملامح بنت، نفس ملامـح بنتي تمام يوم مـا اتولدت، وشكلها فكرني بفيروز بنتي –الله يرحمها– وده اللي خلاني أشيلها وأحضنها بين دراعاتي.

– فهد: وبعدين؟!

– بـدر: وبعدين يا ولدي لقيت بدريسا عماله تقول الواد –الله يرحمه– مات، وإنها

لو مشيت وسابتني سأُتهَم بقضية قتل تلاتة: الداية وهبه نفسها وابنها اللي لسه مولود، وكانـت الكلمة دي على لسان بدريسـا، ولد ولد ولا كأن أن اللي كانت ماسكها بين إيديا دي بنت.

– فهد: ما يمكن تكون إنت غلطان وهي مش بنت فعلًا وهبة ولدت واد؟!

– بـدر: تفتكـر ملامحها اللي كانت قصاد عيني صعبة عليـا أحددها بنت ولا واد، خصوصًا أني كنت شايف فيها وش فيروز وهي بصحتها قبل ما تمرض!

– فهـد: عندك حق، بـس بدريسا أيه غايتها في إنها تكدب كدبه زي دي، طالما كده كده الواد أو البنت أيًا كانت كان خلاص مات.

– بـدر: الله أعلـم بقـى يا ولدي، عندك حـق ما خلاص أن كان ولـد ولا بنت فعلًا أهـي روحها راحت للي خلقها، وهـو أولى بيها من أي حد، ويمكن أنا اللي كنت ملخبط ساعتها وفكرتها بنت وهي واد.

– فهـد: الله يرحمه أو يرحمها أيًا كانوا، يرحمها ويرحم أمها والست الكبيرة اللي ماتت دي.

– بـدر: (يصمت متأثرًا لحديث فهـد عن تلك الأرواح التي ضاعت دون سبب على يد المرازيق).

– فهد: إلا صح يا عم بدر، مين من أهل البلد هنا يعرفك؟!

"فوجـئ الصعيـدي من سؤال فهـد له، حيث ما كان يتوقع يومًـا ويأتي له هذا السؤال من فهد".

– بـدر: مشـ كتـير، في اللي يعرفـوا أن في أول أرضـ المرازيق واحـد اسمه بدري الصعيدي وبس، ومحدش بيقرب من الأرض ولا البيت لما يسمعوا اسمي.

– فهد: ليه؟!

– بدر: ليه أيه؟!

"تبـدأ ملامـح بـدر في التغير حيث صـارت أشبه شيئًا فشيئًـا إلى ملامح أهل غُجار نفسها من الغجر".

– فهد: ليه بيتقال عليك كده؟!

– بدر: وإنت فاكر أن في حد عارف أن بدر الصعيدي مش من المرازيق!

– فهد: أول يوم جيت فيه هنا البلد كنت همشي من أرض المقابر، بس قبل ما أدخل سألت على مكان القصر، وهو فعلًا موجود آخر طريق المقابر ده ولا لأ، وساعتها وقفني واحـد عجوز أسمـراني أوي ودقنه بيضا ولافف حوالين رقبته شـال وماشي وسط أهل البلد عادي، ولما سألته خاف واترعب وقالي "دي آخر عزبة في البر ده يابني، هتضطر تمشي لآخر الطريق اللي على شمالك".

– بدر: وقالك أيه تاني وجاب سيرتي أمتى؟!

– فهد: قالي أوعاك تفكر تدخلها، دي آخرها ساكن بدر الصعيدي ومن بعده حي المرازيق.

– بدر: ومشيت زي ما العجوز ده قالك، ولا كنت معاند زي صاحبك حازم ومشيت من وسط المقابر.

– فهد: ليلى ساعتها قالتلي بلاش الطريق ده عشان إسراء وأنورين كانوا بيحذروها منه برضو زمان، ومحدش من العشتار كان بيدخله قط.

"مـرت جميـع الأسماء التـي ذكرها فهد على عقل بـدر، ولم يتعلق بذهنه غير اسم ليلى".

– بدر: وبرضو ما فرقتش والغجر اللي جوا دول وراحولكم هما من بعدها القصر.

– فهـد: تفتكر مين اللي عارفك كده يا عم بـدر، وليه الناس بيقولوا عليك السيرة دي في البلد.

– بدر: وهو كان قالك أيه تاني الراجل ده؟!

– فهـد: هنـا يعتبر آخر البلد، عمر ما حد فينا وعي عالمكان هنا إلا وكانت المنطقة فاضيـة كده، اسمع كلامي وفوت من السكة اللي قولتلك عليها أسلملك، وابعد عن حي المرازيق يابني.

– بـدر: عواجيز البلد دي كانوا يعرفوا العزبة والأرض اللي حواليها بكل اللي فيها، يعنـي مـن قبل ما الفجر ييجوا والأرض دي تبقى ملكنا كده زي ماهـي دلوقتي، كانت زمـان بالنسبـة لباقي الناس عـادي زيها زي أي مـكان في الأقصر كلهـا، يمشوا فيها ويرجعوا من غير خوف ولا قلق.

– فهد: غُجار بقالكم فيها اد أيه.

– بدر: ما أعلمش والله يا ولدي، أنا جيت هنا وكانوا هما سابقيني بياما، والوحيدة اللـي تعرف كل حاجة عن غُجـار، هي بس اللي اتربت فيها مـن وهي طفلة وتعرف كل دروبها.

– فهد: ميرين؟!

– بـدر: لا يا دكتور، ميرين دي بنت إمبارح مـا كملتش حتى نص عمر غُجار، اللي عاشـت نص حياتهـا كلها هنا يا ولدي هـي بدريسا، وإن ما طلعت مولـودة فيها كمان يبقى أنا ما بفهمش.

– فهد: بدريسا! طيب هسيبك شوية أنا يا عم بدر.

– بدر: رايح فين يابني؟!

– فهـد: هتمشـي شوية بره أرض القبور دي وابقى أجيلك، لحد ما حازم يرجع من مكان ما راح، عشان اللي زي حازم ده يوم ما بيغيب محدش بيعرفله طريق جره.

"فيتركـه بـدر ويعود لمنزله يغلقه عليـه، أما فهد فترك لقدميـه اللجام لتقوده

داخـل أرضـ الغجـر حيثما تذهـب به، فلـم يقصـد مكانًا مُعينًـا حيث انشغـل عقله بتاريخ تلك البقعة، التي روتها الدماء في كل مكان، وبات هائمًا وسط مسالكها، وهو لا يدري شيئًا فيها، لا يعلم من أين يأتي أو يرجع، حتى قادته قدماه لمكان رأى فيه الدماء ثانية على أرض غُجار".

"على مقربة من قبر بدريسا"

7:30 2008/11/27 ليلا

غياب رؤى عنه.

ظلـت روح رؤى بجانبـه تشاهد نزيف الدمـاء من جبهة وجهـه، ولا قدرة لها على مساعدتـه أو منـع هذه الدماء من الانتشار أرضًا خارجه من عروق رأسه، وظلت هكذا حتى ظهر أمامها شخصًا يسير على أرض الغجر، لم تحدد ملامحه في وسط الظلام، ومـا بدأ يظهـر لها ضوء القمر وجهه حتى رأت فهد آتيًا نحـو قبر بدريسا، الذي وراءه يرقـد حـازم وسط الدماء، وعلى فجـأة وسط سير الطبيب وجد دمـاءً كثيرة آتيه من خلـف القـبر، فأبطئ من سير خطواته، وخرج من غفوته التـي كان يسير بها هائمًا في أرضـ الغجـر، وارتعشت أساريره حينما رأى ملابس حـازم، وحينما أقلبه ليرى وجهه وجـد نبضة قلبه ضعيـف، ونفس شبه منقطع من كثرة النزيـف، بسبب الجرح الكبير الـذي كان في جبهتـه، فرفعـه فهد علـى يديه وأخذه وجـرى به إلى منزل بـدر، ورؤى بمكانهـا لا تتحرك معه حيث ظلـت جالسه وسط دماء زوجها تاركه مصيره في يد فهد الذي أخذه عنها وفارقها، وما كانت رؤى العين على دراية أن تلك المرة قد تكون الأخيرة التي تلاقي فيها زوجها.

****

- فهد: افتح يا بدر افتح بسرعة.

"فأتى له الصعيدي من داخل الدار مهرولًا بعدما سمع صوت فهد مرتفعًا من الخارج".

- بدر: أيه ده حازم؟! أيه اللي حصله؟

- فهد: اقفل الباب اقفل الباب.

"خرج الصعيدي يدور بعينه حول الدار، حتى يتأكد من إذا كان أحد يتبع فهد أم لا، لكنه لم يجد".

- بدر: أيه اللي حصله بقولك، حازم بيموت وقاطع النفس.

- فهد: أقرب مستشفى هنا فين؟!

- بدر: في البر التاني.

- فهد: في هنا دكاتره؟!

- بدر: أومال إنت أيه؟!

- فهد: لازم الجرح يتنضف كويس ويتخيط، أنا لا معايا حاجة أنضف بيها الجرح ده ولا حتى أخيطه، لازم أعمله نقل دم كمان يا عم بدر، وإلا حازم مش هيطلع عليه صبح، دمه مغرق قدام قبر بدريسا!

- بدر: استناني هنا.

"ترك الصعيدي فهد منشغلًا بحازم ومن ثم عاد له ثانية بما يحتاج من مُطهر وأدوات خياطة".

- بدر: يكفوك دول لحد ما أرجعلك؟!

- فهد: أيه دول إنت بتعمل أيه بالحاجات دي هنا.

- بدر: يكفوك لحد ما أرجعلك بالدم اللي إنت عايزه ولا لأ؟!

- فهد: اه دول كفاية، بس إنت رايح فين ودم أيه اللي هتجيبه، هتجيبه إزاي ومنين؟!

– بدر: وإنت فاكر أن حد مكن المرازيق يوم ما بيتعور، ولا بينجرح جرح كبير بيودوه لدكاتره، هههههههههههه ده إنت لسه على نياتك أوي يابني من ناحيتنا.

– فهـد: (نظر لما أحضـره له الصعيدي وفحصـ الأشياء جيـدًا، فوجدها نظيفة ومُعقمـة، وبها كل ما يحتاج ليغلق جرح حازم، الـذي في منتصف جبهته وبعدها، نظر الطبيب للصعيدي وصمت).

– بدر: صاحبك فصيلة دمه أيه؟!

– فهد: نفس فصيلة دمي.

– بدر: كويس مش هتخليني أدخل لمخزن المرازيق أدورلك فيه، خيط جرح صاحبك واطمن عليه لحد ما أرجعلك.

– فهد: وإنت رايح فين؟!

– بـدر: لحد هنا ومعنديش حاجة تاني أنفعـك بيها يادكتور، كل اللي عندي وكنت بسعـف بيه نفسي قدامك أهو، وصاحبك بتقول لازم له نقل دم، هجيبلك اللي تحتاجه وأجيلك.

– فهد: وإنتوا كمان بتعرفوا تنقلوا دم هنا وتخيطوا، عرفتوها إزاي الحاجات دي؟!

– بـدر: أنا أساسًا كانت شُغلتي تمرجي في مستشفى بقِنا، أما المرازيق فبدريسا يا ولـدي ما خلتش للغجر عازة مـن حد واصل، وإن كان حد فيهـم بيحصله حاجة كانت هي كمان اللي بتداويه.

– فهد: بدريسا تاني؟!

– بدر: خليك عندك وشوف شغلك، لحد ما أجيلك.

الطبيب سبق الخادم للقبر.

وتـرك بدر الصعيدي فهد بعدمـا زاد عليه حيرته وتعجبه من هؤلاء الغجر وأولهم

بدريســا، لكنه لم يشغل بالــه بهم طويلًا ونظر لحازم وبدأ يــداوي جرح رأسه وينظفه جيدًا، ومن ثم بدأ يخيطه له، وكان لحازم نصيبًا أن يداوي فهد ما برأسه فقط، ولكن لم يلاحظ الطبيب أو بدر الصعيدي أثر الإبرة المُسممة التي كانت في رقبته، هذا الأثر الــذي سيُنهــي عليه سبيله شيئًا فشيئًا إذا لم يكتشفــه أحدًا، وحتى حازم نفسه لم يكن قد شعر بوخزة تلك الإبرة في رقبته، حيث أرشقتها الراهبة على بغتة وهي تلقي به على ميريــن حتى تشغلها بسقوط حازم عليها، لكن ميريــن حينها أبعدته عنها فور اقترابه منها، ولم تقصد أن تؤذيه حيث بعدت عنه، وألقت به على قبر بدريسا، وجرت قبل أن تــراه وهو يهوي برأسه على حافة بناية المدفن، لتنشــق رأسه ويسقط وهو مغمى عليه، غــير مدرك لما كان مستقرًا في رقبته، وحتــى عندما أتى له طه الخادم انشغل به لوقت قصير، حيث فورما خلع الإبرة من رقبته، وجعلها على طرف إصبعه، وتأكد أن هذا سم خشى على ميرين من سموم تلك الكاهنة، التي تذهب ميرين خلفها لتطاردها، ويحتها قــام طــه مُسرعًا لميرين ليُنقذ حياتها تاركًا حازم في مكانــه، على أمل أن يعود له ثانية يشفيــه مما يسير في جسده، لكن فهد سبــق الخادم وعاد هو لصديقه أولًا، وأخذه من أمام القبر وراح به لمنزل الصعيدي، قبل أن يأتي له طه الذي صار الوحيد داخل غُجار يعرف ما بات يسري في جسد حازم، وإذا كان مكتوبا لتلك السموم أن تخرج من جسد حازم؛ فحينها سيكون الخادم فقط من بإمكانه لحاق روح حازم وإنعاشها ثانية، حيث حياة حازم الآن ما كان لينقذها فهد وبدر ونجاتها مكتوبة فقط على يد خادم المرازيق!

في غرفة أنورين

"غائبين عن العشتار"

ليلا 7:30 2008/11/27

وردة.

بعـد أن كانت جالسة مـع ليلى وهَنا، كان أذان المغرب هو الموعد الذي انتظرت فيه عودتهـا لإسراء ثانية، فقامـت وردة وأرادت أن تذهب لبنت نادية بمفردها، كما كانت تريـد أيضًا أن تطمئن على زوجها وبناتها في البـر الآخر، وفي الوقت ذاته ازداد قلقها علـى وجـود ليلى وهَنـا في القصر، من بعد علمهـا بانتماء الخادمـة للمالكية، فطلبت منهـم أن يذهبوا لبيتها في البر الثاني -البر الشرقي- حتى تبعدهم قليلًا عن القصر ومـن فيـه، وأيضًا لأنها تريد إسراء وحدها لتُعيد عليها ما حملته في قلبها منذ عشرين عامًا منذ ليلة الثامن من يناير:

- وردة: ليلى، ممكن أطلب منك طلب إنتي وهَنا.

- ليلى: اتفضلي يا وردة طبعًا.

- وردة: أنا عايز أطمن على فاطمة، رجب جوزي الصبح لما كلمته كأنه كان بيخبي عليا حاجة.

- ليلى: ليه بنتك مالها؟!

- وردة: مكنتش أقدر أسيب عزا ست أنورين وإسراء فيه لوحدها، فكان لازم أسيب بنتـي مع رجب وأجي، والفترة اللي فاتت دي كلها كان عندها نزلة شعبية، وهي أساسًا صدرهـا ضعيف وبتتعب من أقل حاجة عشان خاطري تقدري تروحيلها إنتي وهنا، هي مـا كملتش ثلاث سنين، ولولا إسراء تعبانة ومتعورة كده أنا مكنتش أسيب بنتي أبدًا في ظـروف زي دي، وبرضو مقدرش أسيب إسـراء وأسيبكم، واللي اسمها جواهر دي هنا

في القصـــر، هـــي محتاجة دوا ضروري ورجـــب مش لاقيه خالص هنـــاك، بس أنا بعت حسين يجيبه وزمانه جاي بيه أهو، فممكن تاخديه إنتي توصليه؟

- ليلى: عنيا يا وردة حاضر، العنوان أيه بس.

- وردة: السكة مش هتاخد معاكي نص ساعة، وهكتبلك العنوان بالتفصيل.

- ليلى: هَنا قومي معايا طب عشان نلحق نيجي قبل ما إسراء تفوق.

- وردة: أهو حسين وصل تحت أهو، أنا هنزل أجيب منه الدوا.

- ليلى: هَنا ردي عليا إنتي مش سمعاني؟!

"هَنـــا جالســـة على كرسيها أمام النافذة، منتظرة عـــودة حازم وفهد ولا سيرة علـــى لسانهـــا غـــير غيبته، التي طالـــت به في أرض غُجـــار، وأبعدته هو وفهـــد عنهم، فظلت تردد اسمه كأنها تتحدث لنفسها في صوت مبحوح لم يسمعه أحدًا إلا إذا اقترب منها كما فعلت ليلى".

- هنا: حازم... حازم.

- ليلى: مالك يا هنا، في أيه يا حبيبتي؟!

فجلســـت ليلـــى بركبتيها على الأرض وأمسكت بيدهـــا، حتى تسحبهـــا خارج تلك الغيبوبـــة، التي حلت عليها وانفصلت بهـــا عن كل ما حولها، حتى أخرجت هنا من تلك الغفوة وجعلتها تتحدث معها.

- هنا: حازم مش بخير يا ليلى، هو وفهد حصلهم حاجة؟!

"مـــا قالتـــه جعل قلب ليلى هي الأخرى يضطـــرب، فقامت من جلوسها، ونظرت مـــن النافـــذة نحو أرض المرازيق، التـــي لم يظهر عليهـــا شيئًا غير الظـــلام الذي بين حين وآخر يقطعه ضوء القمر".

- ليلى: طب اهدي يا حبيبتي اهدي، هما بخير إن شاء الله، وهيرجعولنا بالسلامة.

"فأكملت هَنا حديثها وجسدها يرتعش وأعصابها في أسوأ حالاتها".

- هنا: لو كانوا كويسين فعلًا مكنوش هيقعدوا هناك أكتر من عشر ساعات.

"كان كلام هَنــا من حين لآخـر يجعل ليلى تشاركها ضعفها وتوترها، لكن ليلى حاولـت أن تتمالـك نفسهـا من أجل هَنا وإسـراء، التي ترقد بالداخـل في غرفتها وما زالوا لا يعرفون عنها شيء".

- ليلـى: قومـي طيـب ياهَنا تعالي معايـا دلوقتي، عشـان بنـت وردة تعبانة ولازم نروحلها، ولما نيجي لو كانوا هما لسه هناك، هخلي وردة وحسين يروحوا يدوروا عليهم معانا، هاتي إيدك يلا وقومي معايا بقى.

"عند مُستقر سر بدريسا"

27/11/2008 8:00 مساءً

اختفاء آثار دمائه.

أوصـل طه الخادم ميرين إلى غرفتها بمنـزل بدريسا، بعدما تأكد أن لا سموم ولا شـيء في جسدها غير هذا الجـرح فقط، ومن ثم كان سيذهب ليخبر بدريسا، وحينما فتش عنها لم يجدها في أرض الغجر؛ تأكد أنهـا ستكون جليسة قبرها في هذا الحين، فجـرى ناحية القبر حتى يرى ما مصير حـازم الذي كان قد تركه بين يدي ربه -حيث كان طه يظن أنه لا يزال هناك وسط دمائه- فتمنى من الله ألا تراه أعين بدريسا، لكنه حينمـا وصل لم يجـد أثرًا لحازم قط ولا حتى دماؤه التي كانـت مُفترشة على الأرض، فكانـت بدريسـا جالسة أمـام قبرها ولا يوجد حولهـا أي شيء، كأن دمـاء حازم التي انتشـرت حول المدفن أخفت نفسها حينما رأت تلـك الغجرية قادمة عليها، وهنا كانت حـيرة طه لا يزيد عليها غير الخوف والرعب، إذ توقع أن بدريسا قد وجدته وسارت به ناحيـة أرضهـم وأخفت جثته ومحت آثار دمائه، حيـث بالتأكيد ما كان يدور في خاطر

الخـادم الآن أن حازم بات جُثة هامدة فما كان لأحد في هذا المكان كله يعرف ما يسير في جسـده من سم غيره هو فقط، وحينمـا بحث عنه في باقي المكان لم يجد أي أثر له، فظـل خـادم الغجر يطـوف في قبورهم ويبحث عنـه، حتى فوجئ ببدريسـا عائدة من بعيـد عليـه وكانت رؤيتها من نصيبه هو، وهي لم ترَه عينيها، فتوراى بنفسه عنها حتى لا تسألـه عمـا يفعل في القبور في وقت كهـذا، حيث كان قد سبـق وأن حرمت الغجرية علـى المرازيق الخروج من حيهم في وقت متأخر والذهـاب للقبور، لكن لرحمة الخالق بالخـادم كانت عيناها معمية عنه، فأكملت طريقهـا نحو حي الغجر، بعدما قامت من القبر الذي كان يرقد أمامه حازم وفجأة اختفى هو ودماؤه قبل قدوم الغجرية للقبور، وبعدهـا نسى طه أمر هذا القتيل ثانية، وبات كل همه أن يعود لداخل الحي قبل وصول بدريسا له، حتى يُخبرها بما حدث لميرين لتسعفها، ومن بعد يُخبرها عن تلك الراهبة التي باتت تقتحم أرضهم في كل آن.

"في الطريق لداخل حي الغجر".

2008/11/27 7:45 مساءً

حيلة المرازيق.

بعد أن تركهم بدر بمنزله، قرر الذهاب إلى حي الغجر حيث يتواجد مخزن فيه كل مـا يحتاج الغجر، من أدوات طبية وأسلحة وغيرهـا، فسار الصعيدي من وسط طريق المقابـر، وفي طريقـه وجد عند قـبر بدريسا أثر دماء حازم التـي لطخت الأرض كلها، حيث كان ما نزفه زوج رؤى ليس بقليلًا أبدًا، فهرول الصعيدي إلى تلك الدماء وتوقف أمامهـا كثيرًا، بعدما تأكد أن لا أحدًا معه في أرض المقابر، حيث كانت بدريسا وطه لم يسبـق موعـد قدومهم الآن، فكان الصعيـدي هو من خرج من منزلـه أولًا، ووجد تلك الدمـاء فأزالها وأخفاها، كأنها لم تكن قد تواجدت مـن الأساس، فتلك حيلة المرازيق

ولا لأحد مثلهم ليخفي آثار دماء أي ضحية من ضحاياهم هكذا، وبعدما انتهى بدر من عمله وجد بدريسا آتيه نحو القبر، فاختفى في الحال وسط بقية المدافن، ليخفي نفسه عن عينها، حتى إذا وصلت بنت المرازيق أمام قبرها كان كل شيء منتهية آثاره، فنزل بساط الغجرية ثانية، ولامس أرضًا ما برحت، وكانت تسير بها الدماء في مكان لكن الصعيدي أخفاها، وحينما وجدها بدر قد استقرت تمامًا في مجلسها، الذي اعتادته منذ زمن في الليالي العشر، دار ببال الصعيدي السؤال الذي أتى على جميع من في هذه الأرض، ماذا يكون بداخل هذه البقعة يا بدريسا؟ وما الذي تخفيه بنت الغجر أسفل بناية هذا القبر؟ وظل بدر يعيد التفكير في أمر هذا المدفن حتى كاد ينسى أمر حازم وفهد، فبدأ ليذهب نحو الحي مُنتهزًا فرصة وجود بدريسا خارجة وجلوسها هنا، وحينما بدأ يتحرك للحي الغجري رأى طه من بعيد على أول مدخل أرض المدافن، آتيًا ولا يعرف أن بدريسا بالداخل، فسار بدر وتركه حيث خشى أن تكون بدريسا هي التي أرسلته له، وبدل من أن يُحذره يوقع بنفسه أمامها وأمامه، فتركه يدخل لباقي أرض المقابر وخرج الصعيدي منها، تاركها بكل ما فيها لبدريسا وطه بعدما أخفى منها دماء حازم وذهب هو للمخزن الموجود في وسط الحي.

"عائده من"

2008/11/27 8:15 مساءً

رسالة شفاعة.

بعد أن مكثت وسط الأموات لمدة قليلة قامت بدريسا من مكانها، حيث لم تطول جلستها مع التي تتوارى تحت تراب هذا المدفن لأكثر من هذا، وبعد أن ودعتها بنت الغجر، وألمت بحالها لتسير نحو منزلها في الحي، ذهبت على دربها من وسط المقابر لكن كان هناك شيئًا لها قد تركته غريبة دخلت عليهم أرض غُجار في الآونة

الأخيرة كثيرًا، حيث عندما قامت الكاهنة بخلع نصل ميرين من كتفها، أمسكت هذا السلاح المسمم، التي قذفته عليها ميرين قبل أن تدعها تهرب خارج أرضهم، فوقفت الغريبة حينها كثيرًا عند بوابة أرض الغجر، وباتت تنظر لهذا النصل الذي خلعته من جسدها، الذي بات ملوثًا بسموم الغجر، الذين كانت تحل عليهم من آن لآخر، لكن قبل أن تهرب الراهبة من أرضهم وتختفي بحالها من أمام ميرين وطه أمسكت النصل وأودعت به ورقة وألقت به وسط المقابر بعيدًا، فتاهت عين ميرين وطه عنه، وحينما عادوا لينظروا لها ثانية لم يجدوا له أثرًا، ومن ثم حمل طه ميرين وعاد بها لمنزل بدريسا وأودعها غرفتها، وبات نصل ميرين لا يُعرف دربه وسط المقابر، التي تسير بينها بدريسا الآن، حيث كانت الراهبة تعلم طريق ذهاب وعودة بدريسا من وسط تلك المقابر، وحينها عمدت الكاهنة أن تلقي برسالتها في مكان لن يجد أحدًا رسالتها تلك غير المقصودة بها، التي توعدتها الراهبة، ووسط سير بدريسا التي أودعت لها الكاهنة رسالة على نصل ميرين وجدت بنت المرازيق على دروب غجار نقاط دم بسيطة منتشرة على بنايات بعض المدافن، فتوقفت أقدامها ونظرت حولها فلم تجد شيئًا، غير ضوء القمر الخافت ينير عليها وحدتها وسط الأموات، فسارت بدريسا نحو تلك الدماء البسيطة، التي بدأت ترى كثرتها شيئًا فشيئًا خلف أحد المقابر، فأسرعت حينما بدأت تكثر نقاط الدماء المتطايرة من جسد الكاهنة، حيث عندما خلعت الكاهنة من جسمها سلاح ميرين كانت دمائها جاعلة لون النصل أحمر، وحينما ألقت به تطايرت قطرات دمائها في الهواء، وسكنت في النهاية على مباني عدد من المقابر، وحينما استقر النصل في النهاية خلف أحد المدافن وزع الكثير من السائل الأحمر حوله، وحاطه على مبنى هذا المدفن التي وصلت له بدريسا، وجاءت عينها عليه فوجدت بجانبه نصل يعود لميرين، فانجذع قلبها فجأة ودق برعب لم يقدر أحدًا

من قبل أن يُشعرها به أبدًا، فانحنت الغجرية على هذا النصل الذي وجدته مدبوبًا في وسـط ورقة مُلطخة بدماء كثيرة، اعتقدتها بنـت المرازيق أن تلك دماء ميرين، فمدت يدهـا المُرتعشة خوفًا وقلقا مما تخيلت حدوثـه لميرين، وفتحت الورقة المطبقة نصفين في النصـل، ورأت مـا كتبته الراهبة لهـا قبل أن تخرج من أرضهـم، فأغلقتها بدريسا ثانيـة وتوقـف عقلها عن التفكـير، وسندت يدها على قبر لتتكئ عليـه، حيث لأول مرة تشعـر بجسدها يهتـز هكذا وتعيش إحساس الخوف والرعـب، الذي لم يكتب لها قط، قبـل ذلك كانت تعيشهم أو حتى يمُروا عليها ولـو للحظات وظلت الغجرية هكذا، حتى بـدأ الضعف يتمكن منها نهائيًا ويقضي عليها، لكـن شيطانها الذي سكن جسدها مد يده نحوها ليخرجها منه، ويخرج معها بدريسا التي لم يمسع اسمها قديما إلا وخرجت أرواحًا من أجساد الناس خوفًا ورعبًا، وقبل أن يصل الضعف بها لنهايته رفعت بدريسا عينيهـا من على الأرض، ونظـرت للسماء حيث قمر غُجار تنتشـر أشعته عليها، وعلى باقـي الأرض وصارت ملامحها تتبـدل وكأنها شيطانة حقيقية ولم تكن يوما من جِنس البشـر، وأسودت عيناها وأحمر وجهها وزادت حدت غضبها على آخرها، حتى صارت بنـت الغجـر ملعونة مرة أخرى، حيث أحيـت رسالة تلك الكاهنة روحًـا في بدريسا قد ودعتها منذ زمن، وأعادتها لها الآن وجعلت من بنت الغجر شيطانة مرة أخرى في هيئة بشـر، ولم يطفئ سواد عـين بدريسا أو ينتهي حمار وجهها حتـى إذا أطلق ذئب غُجار عوائًـا أيقظ كل من في البلدة، وخاصة أهل أرض غُجار والقصر العشتاري، وظل عواء الذئب من داخل الكهف يعلو ويعلو حتى انكسرت هيبة الغجر أنفسهم، ودخل كلًا منهم منزلـه وأغلقه عليه، وصار صدى الذئب يعـوي ويسير في مساكن ودروب غُجار خارجًا منها، ليصل إلى قصر العشتار، ليخلع قلب كل الذين فيه، حتى الغجرية التي تعيش به أيضًـا -جواهر- وظل العواء على حاله لا يهدأ ولايقل كأن تحول بدريسا وغضبها جعل

ذئـب غُجار هو الآخر يسـير معها على حالتها، ولم يصمت العواء حينها إلى أن صارت بدريســا الشيطانة التــي لم يتمنَها أحدًا من قبل، ولم يرجــو رؤيتها قط، وحينها سكت ذئب غُجار ثانية، وذهبت بدريسا بحالتها تلك لرؤية ميرين.

"إلى البر الشرقي"

2008/11/27 8:15 مساءً

بعيدًا عن قصر العشتار.

استعدت ليلى لتُغادر قصر عزبة العشتار ومعها هَنا وحسين متجهين للبر الشرقي، حيـث عمدت وردة إرسالهـم بعيدًا عن القصر وأرض غُجار تمامًـا؛ لتبقيهم في مأمن مـن يد الخادمـة التي تعيش وسطهم، فما عـادت جواهر يأمن وجودهـا من بالعشتار بعـد الآن وخاصـة بعد أن حكت وردة لحسـين كل ما قالته الغجرية أمـام إسراء وأنها مـن نسل المالكية، فأصر حسين حينها أن تبقى وردة بجانب إسراء ولا تتركها حيث لن تقـدر أن تخرج مـن القصر في حالتها تلك، لكـن وردة أرادت أن تنسى قليلًا أمر ليلى وهنـا، وترسلهم لبيتها في البـر الشرقي، حيث أبلغت زوجها رجـب بقدومهم إليه وفي نفس الوقت يُطمئنوها على ابنتها فاطمة المريضة، ويصلوا لها بدوائها الذي لم يتمكن رجب من توفيره لها، فنزلت ليلى وهنا وجاءوا لوردة فوجدوا حسين ينتظرهم معها:

- ليلى: أيه ده حسين إنت جاي معانا؟!
- وردة: فكرك هأمن عليكم تمشوا لوحدكم في ساعة زي دي يا ليلى.
- ليلى: طب إسراء يا وردة!
- وردة:ما تخافيش يا ليلى، إسراء أول ما تصحى هتلاقيني جنبها.
- هنا: ما لقيتش حازم وفهد يا حسين؟!
- حسين: (ينظر لها ويصمت حيث لا يجد لسؤالها جواب).

– هنا: عشان خاطري طب لو كنت عرفت عنهم حاجة قولهالي.

"فيرد عليها ابن عشمانة بلسانه الثقيل".

– حسين: مش إنتي نفسك قولتي يوم ما بيختفوا هما الاتنين، محدش فيكم بيعرف يوصلهم!

"فتقترب لها وردة وتربت على يديها وتكلم معها بلُطف لتطمئنها".

– وردة:عقبال ما ترجعي يا حبيبتي إن شاء الله، هيكونوا هما كمان رجعوا.

"وما كانت تطول غيبة فهد وحازم خاصة عن هَنا إلا ويتملكها الضعف والخوف، فتخرج كلماتها في صوت منخفض وقلق".

– هنا: أنا حاسه أن فيهم حاجة.

– ليلى: يا حبيبتي اطمني والله هيرجعولنا ويبقوا زي الفل، ما إنتي عرفاهم لما بيغيبوا.

– وردة: خليكـي جامـدة شويـة يا هنا، حتى عشـان إسراء طب لمـا تفوق تلاقيكي جنبها كويسة.

– هنا: طب يلا عشان نلحق نرجع تاني.

– وردة: مش هوصيكي على فاطمة، والنبي يا ليلى خدي بالك منها كويس.

– ليلى: حاضر والله يا وردة، مش هرجع وأسيبها إلا وهي كويسة.

– وردة: يلا طب عشان ما تتأخروش عن كده.

"فيخرجـوا من قصر العشتار وتركب ليلـى سيارة فهد، ويركب حسين بجانبها بعدما جلست هَنا وحدها بالخلف، حتى تنفرد لحالها قليلًا وقبل أن يغادروا البوابة".

– وردة: حسين.

"فتوقـف ليلـى السيارة في منتصـف الحديقة قبل أن يغـادروا القصر، وينظر حسين لوردة".

– وردة: ابعد بيهم عن طريق الملاعين دول، اوعاك تقرب ناحيتهم وهما معاك.

- حسين: ما تخافيش محدش فينا هيقرب ناحيتهم.

وتقود ليلى السيارة لتُغادر بها القصر وتترك عزبة العشتار، ومن فيها وتسير بعيدًا عن البر الغربي لتذهب حيث تعيش وردة مع زوجها.

أمـا وردة فباتت تراقبهم عيناها، وهم يغادروا العزبة تمامًا، حتى اختفت السيارة عنهـا، فذهبت لتغلق بـاب القصر، وبينما كانـت عائدة للداخل، سمعـت العواء الذي انشطـر له قلـب كل من سمعوه، كأن ذئب غجُار يسكن داخـل قصرهم وليس في أرض الغجـر، وفور مـا سمعته وردة وجرت نحو غرفـة إسراء، التي لن يمـر على أذنها هذا الصوت دون أن يُقلقها ويفزعها في غُرفتها.

"وحدها تسمع العواء"

2008/11/27 8:00 مساءً

بنت نادية وذئب الغجر.

كانـت على سريرهـا مستيقظة منذ ما يقـرب الخمس ساعات، حيـث ظلت وردة وجواهـر تاركـين إسـراء وحدها في غرفتهـا، ولم يتوقعوا لها أن تعود مـن غفوتها قبل أذان المغـرب، لكنهـا وقتها احتـال عليهم وخرجت هـي من غيبتها قبـل ذلك، وكانت بـين حـين وآخر تقوم من سريرها تسير في غُرفتها بين البـاب الأول الذي يواجه غرفة أنورين والباب الآخر الذي غادرت منه، تلك التي أفزعتها من نومها منذ عشرين عامًا، وحينمـا كانت تعود بنـت نادية ثانية لتجلس على سريرهـا، كانت تخرج خنجر ميرين وتغيب بعينها في التأمل فيه، وما عليه من دماء أخرجتها بنت الغجر من ظهرها بعدما استقر نصلها فيه وسكن بين ثناياه، فأمسكت إسراء من جانبها قطعة قماش، وأخذت تسـير علـى النصل الذي كان ما يظهـر منه أمامها تحت ضـوء -الآباجورة- الخفيف غير دمائها، فبدأت بنت إسراء تُزيل دمائها من عليه وتنظفه، وبعدما أعادت له كامل

بريقه ثانية نظرت له وعادت أمامها صورة ميرين وهي تضربها به، وبدأت إسراء تفكر في أن لـو كانت ميرين تعلم أن التي حاولت قتلها تلك هي إسراء التي كانت صديقه لها منـذ عشرين عامًا وتلعب معها وهي طفلـه، فهل حينها كانت ستُعيد إليها تلك الضربة أم لا، وظـل عقلهـا يطـرح هذا السؤال الذي لم يخـرج من بالها أبـدًا، فإسراء عرفت ميريـن حينما رأتها تلـك الليلة التي دخلت فيها غُجار، لكـن ميرين لم تعرفها بسبب الخمار الذي أخفـى ملامح بنت نادية عنها، فزادت حيرة إسراء على ميرين وتعجبت لهـا إذا ما كانت حقًا طباع بنت الغجر تغيرت، وأثـر المرازيق عليها وجعلوها مثلهم أم لا، فميريـن قديمًـا كانت تراها إسراء غيرهم وحالها مختلـف تمامًا عن حالهم، فهل لتلك المد ة الطويلة لتغير طباع ميرين وتجعلها مثل باقي الغجر، الذين يسكنون حولها في كل مكانـا بأرض غُجار أم لا، وبين التفكـير في ميرين وأهلها الغجر أنفسهم سمعت إســراء على فجـأة عواء الذئب، الذي جعلها تموت رعبًا وهـي في سريرها، حيث ظنت وكأنـه معها في نفس القصـر، وسريعًا ما قامت بنت نادية لتفتح نافذة غرفتها، وتنظر منها إلى أرض غُجار، التي لم ترَ شيئًا فيها وكانت الأرض كعادتها هادئة لا يظهر شيئًا فيهـا غير أشعة القمر مُنعكسة عليهـا، وكان خوف إسراء هذا أنها ظنت أن الغجر من بعد ما اكتشفوا ما فعلته بأحدهم قد جاءوا لها ومن معها بالقصر، لكن ظنونها سارت بعيـدًا عنها في الحال بعدما رأت أرض غُجار ومـا كانت عليه من سكون، وكأن لا أحدًا يعيش فيها ولا قدمًا تدخلها، وما لحقت إسراء أن تعود ثانية لسريرها إلا وسمعت باب غُرفتهـا تطرقـه يد من الخارج تصحب هـذه الطرقات صـوت وردة، التي تعجبت من استمـرار انغـلاق الباب على إســراء بالداخل، بالرغم من استخدامهـا مفاتيحه التي جعلتهـا معها، فذهبت لها إسراء وفتحت هي لها الباب فوجدتها أكثر رعبًا وقلقًا منها بعدما دار صدى عواء ذئب الكهف في القصر كله:

– وردة: الحمد لله إنتي كويسة.

"جذبتها في أحضانها أول ما فتحت إسراء الباب لها وظهرت أمامها بخير"

– إسراء: أنا كويسة يا وردة الحمدلله.

– وردة:أيه اللي صحاكي، صوت الملعون ده ولا إنتي صاحية من قبله؟!

– إسراء: لا أنا صاحية من بدري.

– وردة: طب تعالي أنا عايزة أتكلم معاكي.

وقبل أن تدخل لها وردة غرفتها وجد الاثنان من بعيد جواهر آتيه عليهم في قلق وخوف لم تفهمه وردة، حيث تعلم أن الخادمة ومن المفترض من أبناء المالكية فلا لمثل هذا الذئب أو غيره يجعل أفراد هذه القبيلة أن يخشوا شيئًا أو يهابوه، لكن حينما وصلت لهم جواهر وجدوا صوت أنفاسها عاليًا وجسمها يرتعش في خوف وقلق.

– جواهر: إنتي كويسة يا إسراء كويسة؟!

– إسراء: اهدي يا جواهر، أنا بخير.

– جواهر: ما تخافوش الذئب ده عمره ما بيطلع بره الكهف أبدًا، وإن كان صوته عالِ أوي المرة ده فبرضو محدش من المرازيق يقدر يقرب ناحية الكهف عشان يخرجه منه.

– إسراء: عمي عامل أيه دلوقتي يا جواهر.

– جواهر: الحمد لله يا بنتي نايم في سابع نومه بعد ما خد دواه، كويس أن صوت الملعون ده ما صحهوش ولا كان قام مخضوض هو كمان.

– إسراء: هههههههههه يعني طلعتي من المرازيق وبتتخضي يا جواهر.

– جواهر: المالكية يا بنتي، المالكية مش المرازيق، المرازيق أنا لا عمري كنت منهم ولا هكون.

– وردة: جواهر هو ليه صوته عال أوي كده المرة دي، وكمان الفجر لسه بدري عليه عشان يعوي كده زي كل ليلة!

– جواهــر: أرض الملاعين دول ما عُدناش نعرف عنهم حاجة يا وردة من ساعة ما سكناهم فيها.

– إسراء: سكنتوهم؟!

– جواهر: اهدي يا بنتي اهدي، وردة قدامك أهي وهتحكيلك على كل حاجة؟!

– وردة: أنا!

"فتتعجب وردة من قول جواهر هذا عليها، حيث لم تعلم بنت عشمانة أن الخادمة تعرف أنها تعلم شيئًا عن المالكية من حكي أمها لها –عشمانة– قبل قتلها في الثامن من يناير".

– جواهــر: أيه مالك خُفتي ليــه؟! مش إنتي كانت ستك برضو عايشة بالقرب مننا زمان ولا أيه.

– وردة: خلاص زي ما ستك حكت لأمك عننا، أنا كمان عالمه بكل اللي بيتقال عننا وبيحكوه الناس فينا ويتغنوا بيه، ما تقلقيش يا بنتي إنتي وهي خشوا أوضتكم ومحدش هيقرب منكم.

– إسراء: جواهر!

– جواهر: بعدين يا إسراء، أنا عارفة أن عندك كلام كتير وأسئلة ياما بس بعدين، واخلي دماغك من التفكير ووجع القلب دلوقتي يا بنتي، جرحك ما كنش هين والحمدلله أن الضربة كانت في كتفك بس، والجرح كان نضيف ما لوثهوش سم ولا غيره.

– إسراء: سم!

– جواهــر: مش بقولــك في كلام كتير يا بنتي فايتــك، ارتاحي دلوقتــي وبكرة في الصباح نكمل حديثنا، أفوتكم أنا بقى، بعد إذنكم.

"حكايه مُنذ عشرين عامًا"

2008/11/27 8:00 مساءً

ذات الأصول الغجرية.

بدخـول وردة غُرفـة إسراء كان أول ما تحدثت عنه بنـت عشمانة هو باب الغرفة، التي جعلته إسراء مستعصيًا على أي حد يحاول فتحه:

- وردة: أيه اللي كان قافل الباب كده يا إسراء.
- إسراء: المرازيق.
- وردة:إسراء أنا بتكلم بجد.
- إسراء: إنتي شايفاني قادرة أهزر.
- وردة: يعني أيه.
- إسراء: مين اللي فتح الباب على ليلى أول يوم جات فيه هنا.
- وردة: قصدك أيه.
- إســراء: جواهــر لما جت تفتــح الباب على ليلــى فكرتني بحاجة عـدت عليا من عشرين سنة.

"جاءتهــا سـيرة تلـك العشرون عامًا الذيـن مضوا على ليلـة الثامن من يناير فانقبض قلب وردة".

- وردة:!!!!!!!!قصدك أيه؟ هو أيه اللي من عشرين سنة؟!

- إســراء: ميريــن زمان كانت بتيجــي تفتحلي باب القصر بـكل سهولة وتخرجني أقعد معاها بره.

"فـزاد قلـق وردة وتعجبها في آن واحد، وتذكرت بوادر تلك الفترة كُلها وخاصة تلك الليلة".

– وردة: أنـا كنـت بسغرب كل مرة نقفل البـاب عليكي بتاع الجنينـة، ونروح تاني نلاقيه مفتوح!

– إسراء: بنت الغجر بقى كانت بتفتحه وتقفله بكل سهولة.

– وردة: يعنـي إنتـي اللـي كنتي قافلة البـاب كده عليكي، وافرضـي حد منهم كان جالك تاني ولا كان حصلك زي ما حصل يوم ما صحيتي تصرخي و...

"كانـت ستأتـي لها بسيرة الليلة التي قامت فيهـا إسراء تصرخ، بعدما جاءت لهـا التي تحدثـت في أذُنِها وخرجت من بـاب غرفتها الآخرى، لكنهـا صمتت وفضلت ألا تأتي بسيرة تلك الحادثة لإسراء".

– إسراء: كملي يا وردة يوم ما أيه؟!

– وردة: مفيش، فهمينـي بس إنتـي كنتي فين الصبـح كل ده، ومختفية في أيه من إمبارح الفجر.

– إسراء: كنت عند الغجر.

– وردة: أنا عارفة أنك كنتي عندهم يا إسراء، بس ممكن تقوليلي آخر كلمة قالتها ستـك أنوريـن لينا إحنا الاتنـين، أيه قبل ما تسافـري آخر مـرة وماتشوفيهاش تاني، فاكرة؟!

– إسـراء: (صمتت ولم تجِبهـا حيث كانت تعرف أنها كسـرت الوعد، التي أخذته عليها جدتها أنورين قبل وفاتها).

– وردة: أقولك أنا أقولك كلامها من تاني يمكن نسيتيه ولا حاجة، ها؟!

– إسـراء: لـو كان موت المرازيق هيـبرد قلبي على ستي وأمـي، كان ممكن أفضل محافظـة على الوعد ده، لكن طول ما هُما في تربهم واللي قتلوهم لسه بره يبقى لا، ولا وعدي ليها ولا أي حاجة هتخليني ساكتة على المرازيق.

– وردة: أمــي أنا اللي ماتت على إيديهم يا إســراء ولا ناسيه، ناسيه يوم ما حسين أخويــا وقع على راســه في الجنينة بره، وأمي خرجت واختفــت في أرضهم، ومن بعدها لاقيناهــا مرميه جنب الترعــة قاطعة النفس وفي نص دماغهــا رصاصة جاتلها قضت على أجلها.

– إسراء: اللي خلاهــم يوصلوا لستي عشمانة –الله يرحمها– وصلهم برضو لأمي يوم ما ولدتني.

– وردة: محدش وصــل لواحدة فيهم يا إسراء، إنتــي اللي عايزة تثبتي الفكرة دي في دماغك.

– إســراء: بتهيألك، أنا مــا ارتاحتش غير لما شوفت واحد منهــم وهو روحه بتطلع قدام عنيا.

"انفــرج فم وردة عــن آخره وكتمته بيدها واهتز جسدهــا كله، بعدما أخبرتها إسراء عن عملتها في الأرض الغربية أمام كهف غُجار".

– وردة: عملتي أيه، قتلتي؟!

– إسراء: كان نفسي، بس برضو مقدرتش.

– وردة:أومال عملتي أيه.

– إسراء: سيبته للي هيموته.

– وردة: مين ده!

– إسراء: معرفش بس لو ما كنتش أنا سيبته يموت، كانت هَنا هي اللي هتموت.

– وردة: هَنا!

– إســراء: إمبارح الفجر بعد مــا طلعنا كلنا وسيبنا هنا لوحدها بره زي ما طلبت، لقيتها راجعة وفي حد جاي وراها من عند الغجر.

– وردة: العشر ليالي!

– إسراء: بالظبط، أنا نسيت خالص إننا في آواخر نوفمبر، وإنهم في الوقت ده من كل سنة سواء في الشهر ده أو حتى اللي بعده بيبقوا خارجين عادي بره أرضهم، وسيبت هَنا تخرج وأنا ناسية خالص أيه اللي ممكن يحصل لها.

– وردة: وخدتيه تاني ورجعتي بيه أرضهم إزاي؟!

فبـدأت إسـراء تخبرها منذ بداية نزولهـا لأسفل، وأخذ سلاح عمهـا فؤاد معها، بـكاتم الصوت الذي كان بجانبه على مكتب غرفته، إلى أن ذهبت وأغوت هذا الغجري إلى أرضـ غُجار، وما بدأت إسـراء تحكي لها عن سيرة الكهف الغجري، كانت وردة لا قوة لها أن تسمع ما بدأت تحكيه إسراء:

– وردة: الكهـف! دخلتـي أرض الغرب يا إسراء ما كفاكيش اللي عملتيه بدخولك أرضهم من أساسه، فكمان دخلتي عند الأرض اللي محدش فيهم بيقدر يقرب منها أساسًا!

– إسـراء: مكنش قدامي غير كده، عشان وأنا ماشية لاحظت ميرين ومعاها واحد من الغجر وكانت هتشوفني، ولولا أني كنت قريبة من أرض الغرب كان اللي مع ميرين ده ممكن يقتلني.

– وردة: وعملتي أيه بعد ما دخلتي نواحي الكهف؟!

– إسراء: مكنش راضي يدخل ورايا، كان خايف يحط رجله ويعدي بوابتها، لحد ما شيلت الخمار اللي كان على راسي؟!

– وردة: شافك؟!

– إسـراء: لا، كنت ماشية ومدياله ضهـري، بس لما لقى خلاص الخمار اتشال من على وشي، دخل.

وأكملت إسراء باقي ما فعلته لوردة، وما حدث للغجري على يديها، لكنها لم ترضَ

أن تخبرهـا بما قالتـه للغجري، وكشـف هويتها له ومـا تركته ليقولـه لبدريسا، حيث اختصـرت حديثهـا عن حقنها له بمخدر كانت قد عرفته قديمًا من فهد أثناء حديثهم معًـا، عمـا يدرسـه في مجاله والذي يعشـق فيه الطبيب كثـيرًا معرفة أنـواع العقاقير وتأثيرهـا، فجاءت مرة وأبلغها عن أنواع معينة من تلك العقاقير، وجدت إسراء واحدًا منهـم في قصر العشتار مُخبئًا بغرفة عمها، حيث وجدته في دولابه فأخذته معها، لكن وردة استوقفتها حينها في خوف وتعجب:

– إسراء: أيه؟!

– وردة: الدوا اللي خدتيه من دولاب عمك ده.

– إسراء: ماله.

– وردة: كملي طب الأول كملي.

– إسراء: مش هكمل حاجة يا وردة، قوليلي أيه اللي جه في بالك كده فجأة عن عمي!

– وردة: عرفينـي مـين اللي عورك واتعورتي إزاي وأنـا هقولك، بس طمنيني الأول مين شافتك في أرضهم وعملتلك أيه؟!

– إسراء: ميرين.

– وردة: ميرين!

– إســراء: مكنتش تعـرف أني إسراء، أنا بس اللي عرفتهـا، الخمار اللي كان على وشـي خفى ملامحـي عنها، كانت فكراني واحـدة غريبة في أرضهـم، وحتى برضو لما شافت وشي معرفتتيش.

– وردة: يا خبر أسود، بنت الغجر شافتك.

– إســراء: شافتني، وبرضو كانت ناسية أنا مين، كأن اللي عرفتها من وهي عندها خمس سنين دي بقت واحدة تانية متعرفهاش.

– وردة: بنت الغجر يا إسراء، والغجر حالهم ما بيتغيرش، لا ليهم عزيز ولا غالي.

"فأخرجتها إسراء من سيرة ذهابها لأرض الغجر، وسألتها ثانية عن عمها"

– إسراء: ماله عمي فؤاد يا وردة!

– وردة: عمك دخل بيا زمان غُجار؟!

– إسراء: فؤاد دخل بيكي عند المرازيق؟!

"نسـت إسـراء كل شيء وخرج منها اسم فؤاد فقط، دون أن يسبقه لقب أو أي شـيء حيـث مـا ستسمعه بنت نادية الآن سيغـير عليها الكثـير ويجعل حالهـا أغرب مما كانت عليه".

– وردة: يا إما كان هيسيبني أدخُلها لوحدي؟!

– إسراء: الكلام ده إمتى وأنا مسافرة؟!

– وردة:لا ليلة ما صرختي وقومتي مفزوعة، ليلة ما أمي اتقتلت.

– إسراء: أيه اللي كان وداكي هناك؟!

– وردة:كنـت فاكرة إنها دخلت للغجر، ويا إمـا أفضل سايبها لوحدها جوه، يا إما أدخل وراها.

– إسراء: ودخلتي؟

– وردة: قبـل مـا أدخل شوفت اتنين من الغجر بيكلمـوا بعض، راجل وست وزي ما إنتـي عارفة الأرض هناك دايمًا ضلمة، معرفتش أشوف ملامحهم ولا حتى أحدد نبرة صوتهم اللي بيخلوها غريبة دي، ففضلت واقفة ورا شجرة بسمع كلامهم، لكن كل اللي جيـه في ودني إنها مراته، وحلفتله أن محدش من المرازيق دخل القصر خالص ليلتها، وبعدهـا روحت قدام مدخل أرض الغجر لقيت عمك، وساعتها يا إما كان هيروحني أو يعملي اللي عايزاه، ولو هدخل أرضهم ابقى معاه.

– إسراء: تدخلي معاه!

– وردة: فؤاد ساعتها كان محكم رأيه وخايف عليا، ولولا أني كنت معاه لكان زماني ما خرجتش من عندهم خالص، ويمكن كمان ساعتها كنت موت وحصلت أمي.

– إســراء: دخـل بيكي أرض الغجر وعـرف يخرجك؟! (تقولها إســراء بين نفسها فسمعتها وردة).

– وردة: ياريته كان خرج كمان معايا، لكن لما دخل شغلهم هما عني وخرجت أنا بس.

– إسراء: عمي كان عارف المرازيق؟!

– وردة: ده اللـي واضـح، لأنه لما كنا جوا كان المرازيـق مسافرين فعلًا ورجعوا من سفرهم، وأول ما بدريسا شافتنا، حسِت أن في حد تاني غريب معانا في الأرض، فأمرت أهلها يبعدوا ويدوروا على بقيتنا في باقي الحي، وكانت هتقلب الدنيا علينا.

– إســراء: (كـررت إسراء اسم تلـك الغجرية بينها وبين نفسهـا كأنها ترددە على مسامعها).

– وردة: ولولا إنها شافت عمك وهو بيجري وسط بيوت حيهُم، عشان يفضيلي سكة أخرج منها، مكنتش هرجع من عندهم تاني.

– إسراء: عمي رجع ساعتها من عندهم إزاي؟!

– وردة: معرفش يومهـا كنا كلنا في النيابة تاني يـوم، عشان قضية قتل أمي، اللي كالعـادة ومحدش بيقدر يثبت على الغجـر دول حاجة، اتأيدت ضد مجهول بعد ما راح البوليس وفتش أرضهم كلها، لقى بيوتهم وكأنها مهجورة من سنين وفاضية على اللي فيها.

– إسراء: إنتي بتقولي أيه؟!

– وردة:أنـا شفت حي المرازيق من جوه يـا إسراء، ولولا إننا عارفين أن الأرض دي مسكونة بالناس فعلًا، لا كان زماني صدقت أن عمر ما حد عاش فيها.

- إسراء: يعني لما البوليس راح...

- وردة: ملقاش حد خالص يـا إسراء، من أول الأرض لآخرهـا كانت غُجار كلها كأنها مهجورة ييجي من مئة سنة وأكتر.

سمعت منها إسراء ما يكفي وسرحت بتفكيرها في جواهر وشردت كثيرًا فيما يمليه عقلها عن تلك الخادمة، حتى لاحظت وردة عودة ملامح إسراء في التغير ثانية للعبوس والضيـق فكلمتها وردة، لكن إسـراء حدثتها بغير الذي يدور في بالها عن تلك الخادمة ذات الأصول الغجرية:

- إسراء: أومال لو كنتي وقعتي ساعتها في إيد المالكية كان أيه اللي حصل؟!

- وردة: ألعن وأدل سبيل.

- إسراء: جواهر!

- وردة: أنا كنت جايالك عشان جواهر.

- إسراء: تعرفيهم؟!

- وردة: زي ما أعرف المرازيق كده بالظبط.

- إسراء: إزاي؟!

- وردة: ستي -الله يرحمها- كانت ساكنة في نفس الحارة وسط بيوتهم.

- إسراء: (سكتت وانتهبت لوردة حينما بدأت تأتي لها بمعالم المالكية شيئًا فشيئًا).

- وردة: أهـل جواهـر الملاعـين دول، همـا اللـي جابـوا المرازيـق هنا يـا إسراء، وحبسوهـم في أرضـ غُجـار، ومحدش مـن الغجر قـدر يعصى لهم كلمـة، فعاشوا في الأرض وقفلوها عليهم.

- إسراء: إنتي بتقولي أيه؟!

- وردة: زي ما سمعتي كده، المالكية كانوا مشغلين المرازيق عندهم، بإيدين المرازيق

كان المالكيــة بيسرقوا ويقتلوا ومحدش بيقــف في طريقهم، ولما العين كترت عليهم قرر زين المالكي إن سره يتدفن مع المرازيق، وبدل ما يخلص عليهم جابهم أرض غُجار هِنا وسَكِنهُم فيها وقفلها عليهم، عشان يوم ما يحتاجلهم يقدر يلاقيهم من تاني.

– إسراء: أهل جواهر كده؟!

– وردة: وأكــتر مــن كــده المرازيق اتسمــوا بكده، عشــان مكنش ليهــم رزق بيقدر يوصلهم على إيد زين المالكي غير بطاعتهم ليه وتنفيذ كل كلمة يقولها ليهم، واللي كان يخالف كان الموت بيبقى مصيره، ومدافن أرض الغجر تبقى نهايته.

– إسراء: المدافن اللي جنبنا دي؟!

– وردة: أيــوه يــا إســراء، زين بعــد ما شبع سرقــة وقتل جاب المرازيــق يقعدوا في الأرضــ اللي جنب المقابر، وفيها كان بيدفن اللي بيموت منهم، وأهي بالمرة تبقى عبرة ليهــم، عشان اللي يفكــر فيهم هرب من غُجار ولا يقول سر عــن المالكية يموت ويدخل تحت تراب مدفن منهم وخلاص.

– إسراء: جواهر! (بدأت حالة إسراء تتغير ثانية وبدأ ذهنها يغيب بها عن كل ما حولها).

– وردة: ده اللــي كان لازم تعرفيــه يــا إســراء، أنا مشــ مأمنة عليكــي ولا على أي حــد هنا طــول ما الخدامــة دي وسطنا، هي فاكــرة أن محدش هنا يعــرف حاجة عن المالكية عشان كده قالت بكل سهولة إنها منهم، لكن أنا سمعت كل حاجة من ستي يوم مــا كانــت بتحكي لأمي عنهم، وخلتنا نسيب الحارة هنــاك وتيجي أمي تشتغل هنا عند ســت أنورين، ومن بعدها زين بعت المرازيق لهِنا وبقوا جنبنا من تاني، كأنهم بقوا قدر ومكتوب علينا.

– إســراء: جواهــر! (كانت جواهر حبيسة عقل إسراء حينهــا ولم تفكر بنت نادية غير فيها).

"لاحظت وردة تغير حال إسراء وبدءها ترديد اسم جواهر بعدما سرحت تمامًا عـن كلام وردة معاهـا، وباتـت تنظـر للبـاب الآخـر في غرفتهـا وهي لا ينقطـع اسم الخادمة من على لسانها".

– وردة:إسراء، إسرااااء كلميني هنا مالك!

– إسراء: جواهر لازم هي كمان تموت يا وردة.

– وردة: إسراء! إنتي بتقولي أيه، هو القتل بقى سهل عندك كده؟

– إسراء: جواهر هتموت وعلى إيديا يا وردة.

"فثارت وردة عليها وعلى صوتها، كأنها تُهددها حتى لا تأتي بسيرة القتل ثانية وتصبح مثل الغجر".

– وردة:إسرااااااء! لو جبتي السيرة دي تاني هسيبك وأمشي.

– إســراء: جواهر هتموت، بعد ما خلتني أنا كمان عايشة كل ليلة من ليالي الثامن من يناير وكأني ميتة.

"أتـت لهـا إسراء ثانية بذكرى تلك الليله التي لم تتمنَ وردة قط سماع سيرتها في آذانها".

– وردة: إنتي بتقولي أيه!

– إسراء: جواهر هي اللي دخلت عليا الأوضة زمان، وأنا نايمة ووشوشت في ودني.

– وردة: إسراء!

"عـادت بنـت نادية ثانية لحالتها العجيبـة، التي يخاف منهـا كلًا من حولها، إذا رآهـا بهـا، وبـدأت تتحدث ببطـئ وبرود تام كأن ذكـرى تلك الليلـة لم تعد تؤلمها حينما يأتي عقلها بها".

– إسراء: مش مصدقاني، طب أقولك أنا.

– وردة: تقـولي أيــه؟! (بينما كانت إسراء في قمة عجبهـا وغرابتها كانت وردة في قمة ضعفها).

– إسراء: أصل أنا شوفت اللي حصل يومها.

– وردة: شوفتي أيه؟!

– إســراء: شوفت واحدة داخلة عليها السـواد مغطيها من أولها لآخرها، كأن اللي دخلتلـي ليلتها عفريتة مش واحدة عادية، وكانـت ماشية بتقربلي والرعب مالي قلبها، كانت داخله أوضتي أساسًا، وهي خايفة والرعب ماليها، فرمته عليا أنا وسابتني ومشيت.

– وردة: (لم يستطـع عقلهـا أن يفعل أي شيء غير جعلها صامتـة تستمع لما ترويه إليها إسراء).

– إسراء: كأنها واحدة من الغجر يا وردة.

– وردة: كفاية.

– إسراء: كانت داخله مش عايزاني أموت علي إيديها، بس عايزاني أموت من الخوف.

– وردة: كفاية يا إسراء.

"وبنـت عشمانـة هي الأخرى تغـير حالها وتلون وجههـا، وضاقت ملامحه من حديث إسراء إليها".

– إسراء: وقربت عليا وقالتلي.

قبـل أن تكمل لوردة مـا سمعته تلك الليلة من نبرة صـوت غريبة ومخيفة، سمعت إســراء الآن نفـس الجملة بنفس النبرة ثانيـة، حيث من كانت قد قالتهـا لها بالماضي صارت معها الآن وتعيدها عليها:

– وردة: كفاياكي نوم.

نظـرت والخـوف والقلق بوجهها في نصـف والنصف الآخر دهشـة وحيرة، بعدما

سمعـت وردة تقول لهـا نفس الجملـة، التي سمعتها إسـراء وهي طفلـة بفراشها منذ عشريـن عامًا، فصارت إسراء جالسة أمامها خائفـة منها، وكأنها عادت صغيرة مرة ثانية تخشى أي غريب وتبتعد عنه:

- وردة: مش قولتلك كفاية؟!

- إسراء: أيه اللي إنتي قولتيه دلوقتي ده؟!

- وردة: كفاية يا إسراء، ماتعيديش عليا سيرة الليلة دي تاني.

- إسراء: بقولك أيه اللي قولتيه ده يا وردة؟!

"كررت عليها إسراء سؤالها ثانية، ومن دون علم وردة أو ملاحظتها لها، بدأت بنـت نادية تمـد يها أسفـل -مخـدة- سريرهـا لتمسك بنصـل ميرين الـذي تُخبئه أسفلها".

- وردة: اللي كلمتك ساعتها يا إسراء قالتلك "كفاية نوم".

- إسراء: إنتي يا وردة؟!

"فهزت لها وردة رأسها ترد عليها بأنها هي صاحبة تلك العَملة فعلا"

- إســراء: إنتــي اللي عيشتيني في خوف ورعب من عشرين سنة، وكل سنة في نفس الميعاد تخليني أحلم بنفس الكلمة وأقوم من نومي مفزوعة.

- وردة: هفهمك كل حاجة يا إسراء.

- إسراء: وإنتي برضو اللي تعرفي كتير عن المرازيق والمالكية.

- وردة: إسراء!

- إسراء: وبتقولي ستك كانت عايشة معاهم هناك صح؟!

- وردة: إسرااااااااااء!

- إسراء: وهي اللي بعتتكم هنا الأول وجيه بعدها المرازيق في الأرض اللي جنبنا دي!

إســـرا

– وردة: إســراء اسمعينــي (خافـت وردة من حديث إسراء الذي بـدأ يرمي عليها اتهامات).

– إســراء: هسمعك، هسمعك زي ما سَمعتِيني من عشرين سنة أكتر حاجة خلتني مرعوبة في حياتي كُلها، وكانت هتجيب أجلي ليلتها.

– وردة:لا يا إسراء أنا ما عملتش كده عشان قصدي آذيه ليكي.

– إسراء: أنا عارفة أن عمرك ما قصدتي تؤذيني.

– وردة: اه والله.

– إسراء: بس أكيد قصدتيها لغيري.

– وردة:إســرا!!!! (لم تمُهلهــا إســراء نطق اسمها كاملًا فنتقطـه وردة مثل أخيها حسين "إسرا")

"ونطقت وردة اسم إسرا ولم تكمله حيث قامت عليها بنت نادية بنصل ميرين الذي ظهر من مخبئة".

الفصل التاسع

شفاعة الراجية

"جرحًا يعود لأحد الفجر"

2008/11/27 8:30 مساءً

رسمة عُرفت عن غجرية قديمًا.

عـادت بدريسا لمنزلهـا وكلا من كان يراها من الفجر تزيده خوفًا على خوفه الذي آتـاه، بعدمـا سمعوا عواء الذئب من داخل الكهف، كأن الـذي به أطلق سراحه عليهم، فأرسلـه عيلهم يعـوي بداخل أرضهم، فتركوها ولم يقدر أحدًا منهم على أن يسألها ما الـذي بات يحدث في غُجار، فمشت بدريسـا وسطهم وذهبت لمنزلها، وصعدت الطابق الـذي فيه غُرفة ميرين حتى وجدتها نائمة على سريرها وطه بجانبها، وحينما وجدها قـام وأبعـد نفسه عن ميرين فرأتهـا بدريسا بدمائهـا التي انتشرت عليهـا، وعلى كل فراشهـا، فتقدمت لها الشيطانة في هدوء ولم تُفزع أو يضطرب قلبها بعد رؤيتها لمنظر ميرين وهي هكذا، فجلست حيثما كان يجلس طه الخادم بجوارها، وأمسكت بيد ابنتها التـي كانت تضعها على كتفها، فرأت بدريسـا موضع جرح من فوق ملابسها، ومازالت دمـاؤه لا يوقفها سبيلها شيئـا، فأخرج طه نفسه من الغرفة، وأغلق الباب عليهم فرأت بدريسا بكتف ميرين جرحًا غريبًا، وحينها فقط عرفت الشيطانة معنى الخوف والقلق أكـثر مـن أي آن آخر، حيث رأت نقشًا مرسوم على ظهـر فتاتها، مسببًا جرح لم يفعله أحـدًا بتمكن مثل هذا من قبل، غـير غجرية عاشت معهم منذ زمن، فأمسكت بدريسا ثانيـة بملابس ميرين، وأعادتها عليها وكتمـت على هذا الجرح وأرسلت لطه فعاد لهم من أمام باب الغرفة:

- بدريسا: المخزن وأوضتي، هاتلي كل اللي فيها وتعلالي في ثوانٍ.

"فغـادر طـه مسرعًا وذهب لغرفة بدريسـا يحضر لها كل ما قصدت من أدوية وعقاقـير مضـادة للسمـوم، حيث كان طه يعـرف أن ليس في جسـد ميرين سم، حيث

يعلـم جيـدًا أن مـا فعلته الكاهنـة في جسد ميريـن لم تكن حينهـا استخدمت سلاحا مسمومًـا، لكـن طه كان لا يستطيـع أن يُفشي عن تلـك الراهبة أي سـر يعرفه، فأخذ كل أنابيـب الأدوية التي احتاجتهـا بدريسا، لكنه أخفى واحدة منهم في ملابسه وذهب بالبقية لبدريسا، ومن بعد سار للمخزن يأتي لها بالمزيد"

وصل طه لغرفة ميرين فوجد بدريسا أنهت لها خياطة جرحها الغريب هذا، وترك لها كل القوارير، التي بها عقاقير مفعولها مضاد لأقوى سم قد يعرفه أي أحد، وبالرغم مـن أن بدريسا قد علمت أن جرح ميرين نظيفًا من أي سم، لكنها أعطتها ذلك العقار احتياطيًا تجنبًا لأي مكروه قد يصيب ابنة قلبها بسوء، ونظرت لطه وأومئت برأسها له، حيث تبلغه أنها ستريد المزيد من العقاقير حتى يطمئن قلبها تمامًا على ميرين، فغادر الخادم وترك ميرين بين يدي بدريسا:

- بدريسا: مين اللي عمل فيكي كده.
- ميرين: أرضك ما بقتش أمان علينا يا بدريسا خلاص.
- بدريسا: (سكتت وسمعت من صغيرتها كل ما أرادت قوله)
- ميرين: في واحدة بقالها فترة رجليها رايحة وجاية وسط القبور.
- بدريسا: واحدة عامله إزاي.
- ميرين: راهبة.
- بدريسا: شفتيها كام مرة.
- ميريـن: شفتهـا مرتين، أول مرة وسيبتها تمشي علـى كفيها وراحت وجت وسط غُجار، وإنها عارفة وحافظة كل شبر فيها، بس فجأة اختفت ساعتها من قدامي، وتاني مرة كانت هي دي.
- بدريسا: أيه اللي وداكي ناحيتها؟!

- ميرين: أنا كنت...

- بدريسا: أيه اللي وداكي ناحتيها!

"ظهـر ثانيـة شيطانها وأسودت عيناهـا، وعلا صوتها فجـأة، حتى صار عواء ذئـب غُجـار أرحم علـى أذن ميرين من تلـك النبرة العاليـة، التي أخرجتهـا بدريسا على بغتة"

- ميريـن: عشـان عايزة تقتلـك، كانت بتلف وتـدور عايزة تعرف أنهـي قبر اللي بتقعدي قدامه.

"خـرج صـوت ميرين ضعيفًا مكسـورًا حيث كان خوفها مـن بدريسا وهي على حالتهـا تلـك لا يساويـه خوف من في أرض غُجار كلهـا، وكانت تلـك أول مرة تخشى فيها ميرين من بدريسا هكذا".

- بدريسـا: (فنظرت لها وصمتت ثم قامت وألقت لها بنصلها الذي هي وجدته في القبور بالرسالة).

رساله من كنيسة مريم.

وغادرتهـا بدريسـا بعدمـا سمعت منها هـذه الأخبار عـن تلك الراهبـة، وعادت الغجريـة لغرفتها حتى يزيد تحولها لشيطانه أكثر ممـا كانت عليه، وفضلت ألا يراها أحـدًا وهي تستحضر أشد الأرواح شـرًا على تلك الأرض، وصارت الغجرية الآن شرها أكـثر ممـا كانت عليه بـأي وقت من قبـل، بعدما آتت لهـا روحًا أشد مكـرًا وخبثًا من شياطـين الإنـس والجن مجتمعين، حتى لم تعـد تدري الغجرية بنفسهـا ولا تشعر بأي شـيء بعدما استدعت ثانية روحها الخبيثة، التي بغت بها على أهل الأرض وكانت آخر مـرة تزورهـا تلك الروح حينمـا قتلت هبة وابنهـا وجارتها العجوز، حيـث جاء الوقت لتقطع الغجرية العهد الذي أخذته على نفسها بترك هذه الروح للأبد، وفورما أخرجت

بدريســا تلك الغجرية ثانية من مسكنها، أتت لها خاضعة من مرقدِها، ومن ثم ظهرت عليهــا الغجريــة ونظرت بعينهــا الحمراء ووجههــا الأسود للورقة، التــي كانت متروكة لهــا وســط المقابر وفتحتها؛ لتقرأ عليهــا اسم التي جاءت لها غُجــار ابتغاء في روحها، فرفعت الغجرية يدها أمام وجهها المسوخ، وسارت بعينيها على اسم "شفاعة الراجية – كنيســة مــريم" وأنزلت بدريسا عينها مــن على الورقة، ومن شــدة غضبها وسخونة دمائهــا شقت الغجرية عن غير عمد الورقة لنصفــين، وهي ممسكه بها فأسقطت من يدهــا اسم "شفاعة الراجية" وظــل بيدها اليسرى النصف الآخــر، الذي كان مكتوبًا عليــه "كنيسة مريم"، التي كانت موجودة منذ زمن في الــبر الشرقي من البلدة، ولكن الآن أغلقــت فصار المكان والأرض التــي حوله خالية على نفسها، لا يسكُنها ولا يدخلها أحد غير الكاهنة.

"أرض غُجار"

2008/11/27 8:30 مساءً

غريب في مخزن الغجر.

بعد دخول الصعيدي حي الغجر بات يبحث عن مخزن أسلحة المرازيق وعقاقيرهم، وحينمــا وصل الصعيدي أرضــ الغجر كانت الساعة الثامنة مساءً، وحينها كانت أرض المرازيق يسير عليها أهالي الحي الغجري، فتخفى الصعيدي عن أعينهم، وسار وسط دروبهــم ومنازلهــم من مكان لمكان حتى أتت عينه على المخــزن، فسار إليه حتى حانت فرصتــه لدخوله فوصل لهناك، وإنما كان الصعيدي قد تمكن من إخفاء أثره عن أعين الغجر، لم يستطع أن يخفيه عن طه الخادم، الذي كان يراقبه من غرفة بدريسا، حينما كانــت قد أرسلته الغجرية ليأتي لها بالعقاقير لتعالــج بها ميرين، وظل طه جاعلًا بدر تحت عينه حتى لاحظ الخادم أن غجري آخر قد ذهب أيضًا بعد الصعيدي لداخل المخزن.

حيث حينما دخل الصعيدي المخزن تبعه أمين أخو عادل ليأخذ بعض الأدوية لأخيه، الذي تشوه وجهه على يد حازم ويداويه بها، وحينها كان يسير بدر وسط ظلمات القبو، الـذي لم يكـن في استطاعته إضاءة أنوراه حتى لا يلمحـه أحدًا وجاء توقيت خروج بدر مـن المخزن مع موعد دخـول أمين له، فسمع الصعيدي صـوت أقدامًا آتيه من الخارج تقـترب عليـه، فهرب ثانية لداخل المخزن يختبئ خلف أحـد صناديقه، لكن كانت أذن أمـين أسرع مـن أقدام بدر، حيث فور ما فتح أمين بـاب المخزن سمع صوت من يجري داخـل المخزن، حيث أيضًا اصطـدم بدر وهو يجري في وسط عتمـة الظلام بصندوق خشب، سمع صوت تلك الصدمة أمين، فأغلق الباب ودخل ولم يوقد الأنوار حيث فضل إبقـاء الظـلام سيدًا لموقفه هو ومن معه في المخزن، وبـدأ أمين يسير في المخزن ويتبعه بـدر بحواسه، حيـث يحفظ دروب هذا المكان جيدًا وفجأة وجد أمين أمامه طه الخادم يسـير ومعـه بعض الأدوية، ويوقد أنـوار المخزن كأنه يلقي نظراته قبـل أن يخرج منه، حيث فعل ذلك ليوهم أمين أنه هو من كان بالمخزن، وذلك ليُخفي وجود بدر عنه.

- أمين: هو إنت؟!
- طه: (يشير له بيده كأنه متعجبًا من سؤاله له).
- أمين: مالك كنت سايب النور مطفي ليه.
- طه: (يشير له أنه كان معه كشاف ينير له ظلمة الغرفة، وأخذ ما احتاجه وسيغادر).
- أمين: ومين اللي بعتك؟!
- طه: (فنطق طه بشفتيه اسم بدريسا ففهمه أمين واطمئن).
- أمين: طيب طيب، بقولك أيه ما تعرفش هنا أدوية المُخدر بتبقى فين.
- طـه: وضع العقاقير التي كان سيأخذهـا لميرين على الأرض، وسار لآخر المخزن وأتى له بها.

- أمين: طيب متشكر يا عم طه، وتاني مرة ما تدخلش هنا وتسيب النور كده مطفي ياريت.

- طـه: (يبتسم لـه ويومئ برأسه مُتظاهـرا له الطاعة، وانتظـره حتى يخرج من المخزن هو أولا).

صنع معروفا وترك عقارا.

غـادر أمين المخزن وظل طـه واقفًا على بابه منظر خـروج الصعيدي الذي انتظر قليـلًا، وأظهر نفســه أمام طه الـذي رأه واقفا له مبتسمًا، فضحك لـه بدر الصعيدي بعدمـا قدم له الخادم هذا المعـروف، وبعدها أخرج طه العقار الذي كان قد سرقه من غرفة ميرين، وأخفاه في ملابسه عن أعين بدريسا ولا يتواجد في أرض غُجار كلها هذا المصل، ولا حتى يتواجد بالمخزن أيضًا، حيث لا يكون أبدًا إلا في غرفة بدريسا وميرين فقط، فأخرجه الخادم من بين الملابس ووضعه أمام بدر الصعيدي على صندوق أمامه ثـم تركـه، وغادر عائدا لبدريســا وميرين دون أن ينطق له بـأي كلمة، فتعجب بدر من فعلـة الخادم تلك وما تركه له، فسار نحو الباب وأخـذ الزجاجة الصغيرة التي تركها أمامـه الخـادم فوضعها بدر في جيبـه، وأخذ ما يحتاج من مُعدات نقـل الدم من فهد لحازم وغادر طه المخزن والحي كله عائدًا لداره.

"دار بدر الصعيدي"

2008/11/27 8:45 مساءً

ذِكر سيرة الراهبة.

عـاد بـدر إلى حـازم وفهد في منزلـه حيث قـد كان تركهم في البـدروم بالأسفل، وحينمـا عـاد فتحه عليهم، قام بدر ورفع حازم له فحملـه الصعيدي وصعد به ووضعه على سريره، وأعطى فهد المعدات التي احتاجها من المخزن لينقل بها الطبيب الدم من جسـده إلى حـازم، فوصل الأنبوب من ذراع فهد وثبتهـا وبعدها وضع طرفها الآخر في

ذراع حازم وجلس بجانبه، وبدأت دماؤه تتدفق من وريده إلى شرايين صديقه، فتركهم بـدر ووقف بالخارج متأملًا فيما تركه له طه خادم المرازيق بعدما أنقذه من رؤية أمين لـه، وبينما كان الصعيدي بالخارج، كان أحد الغجر يتربص به منتظرًا فرصة ابتعاده قليـلًا عن منزله، حتى يهجـم عليه، لكن فهد نادى على اسم بـدر من الداخل فسمعه الصعيدي، وفوت على الغجري أول فرصة أتت له لينهي على هذا العجوز حياته:

- فهد: ابتدى يفوق ويحرك راسه.

"فجلس الصعيدي بجانب فهد وأمامهم حازم راقدًا على السرير وحركته خفيفة"

- بدر: هات صباعه.

"فعلـم فهد ماذا سيفعل الصعيدي، حيث سيضغط عليه ليجعله يشعر بضغطه ويعيده لوعيه ثانية".

- فهد: ده إنت ينفع تشتغل مُسعِف بقى يا عم بدر.

- بدر: هههههههههه اللي يعيش هنا يابني يقدر يبقى أي حاجة.

- فهد: هتخرُج يا عم بدر.

- بدر: هههههههههه إنت واعي للي بتقوله ده ياولدي؟!

- فهد: هتخرج، هييجي يوم وهخرجك من هنا، أوعدك.

"فنظر له بدر وأظهر ابتسامة بشوشة على وجهه، وغير مجرى حديث فهد".

- بدر: أهو صاحبك ابتدى يفوق أهو.

- فهد: حازم، إنت سامعني حازم.

- حازم: (بدأ يفتح عينيه ببطئ لتبدأ في استيعاب ما حوله).

- بدر: على مهلك عليه يا ولدي، أنا عالم بقلقك عليه بس اديله فرصة يفوق الأول على مهله.

– فهد: شوفت آخر عنادك ده وصلنا لأيه؟!

"كان فهـد كأنـه يُحـدث نفسه نادمًا علـى ما آلت عليه حالة حـازم، الذي بدأ يتكلم في صوت منخفض تتقطعه أنفاسه التي لم تستقر بعد".

– حازم: الراهبة، الراهبة.

– فهد: راهبة أيه! هو إنت شوفتها؟! هي اللي عملت فيك كده ولا مين؟!

لمح الصعيدي وهو جالس معهما، خيال أحدًا كان واقفًا أمام نافذته ومن ثم غادر، ففـزع الصعيدي لأمره حيث ظن أنـه رأهم معه، وسيذهب ليبلغ بدريسا وباقي الغجر، فقام بدر وهب واقفًا على بغتة، ولم يبلغهم بما رآه وكان كل ما يقوله حينها ويصر عليه هو ضرورة مغادرتهم الآن.

– بدر: قوموا امشوا.

– فهد: أيه؟!

– بدر: خد صاحبك واطلعوا بره أرض الغجر خالص يابني.

– فهد: عم بدر!

– بدر: ولا كلمة يا دكتور، كفاية اللي حصل لصاحبك والحمد لله، إنها جت على اد كده، إنتوا لحقتوني من الموت اه على إيديهم، لكن موتكم بسببهم مش هعرف ألحقكم منه.

– حـازم: يلا يا فهد، عم بدر كتر خيره وقف جنبي وجنبك، ودارانا عنهم لحد ما لحقتني، يلا نمشي وبلاش نورطه في حاجة تاني أكتر من كده.

– بـدر: هأملكم الطريق بره لحد ما توصلوا لمخرج الأرض على الطريق العمومي، وياريت تنسوني وتنسوا الأرض دي باللي فيها، اللي جابينلي هنا مش هيوصلوا ومعاهم خير أبدًا.

"فلم يرد فهد على كلام أي أحد منهم، وقام يسند حازم وسار به مغادرًا غُجار"

البر الشرقي

"وصولهم حارة مصباح"

2008/11/27 8:30 مساءً

وصول ليلى وهَنا لمنزل وردة.

توقفـت سيـارة ليلى وهنا أمام مدخل حارة مصباح، حيـث تسكن وردة مع زوجها رجب، فنزل حسين أولًا من السيارة بعدما وجد أضواء الحارة شبه خافتة، ومنزل وردة يكاد يكون خاليًا على من به من شدة سكونه وصمته، فنزل حسين أولًا وجعل ليلى وهنا يبقون في سيارته،م وسار للداخل ومن بعد سمعته ليلى يناديهم.

- حسين: افتح يا رجب، افتح أنا حسين.
- رجب: حسين أهلًا وسهلًا، تعالى اتفضل.
- حسين: لا أنا معايا ضيوف.
- رجب: وماله هاتهم ينوروا، هاتهم.
- حسين: تعالوا يا ليلى.

"فخرجـت ليلى وهَنا من السيارة، وذهبـوا لمدخل المنزل فكانت أضواؤه تشبهه كثيرًا! وكأنهم في منزل من منازل أرض الغجر ليس كمنزل باقي أهل البلدة".

- رجب: تعالوا يا أهلًا اتفضلوا اتفضلوا.
- حسين: دول صحاب إسرا يا رجب، وردة بعتتهم يطمنوا على فاطمة ومعاهم الدوا.
- رجـب: كتر خيركم والله، أهي في أوضتها جوه، الحمدلله ما صدقت إنها عرفت تنام شويه.
- ليلى: هي لسه تعبانة؟!
- رجب: أنا لفيت على علاجها في كل حتة هِنا ماعرفتش أجيبه خالص.

- حسين: اطمن يا رجب أنا جبتلها كل حاجة معايا.

- رجب: هتعبكم معايا والله يا حضرات.

- ليلى: ما تقولش كده يا عم رجب، ربنا يقومهالنا بخير إن شاء الله، تعالي يا هَنا.

"فأخذت هَنا ودخلت بها غرفة الفتاة، فوجدتها راقدة على سريرها وحرارتها مرتفعة".

- هنا: دي سخنة أوي يا ليلى.

- ليلى: صحيها صحيها، خليها تاخد العلاج الأول وتكمل نوم.

- فاطمة: ماما! -أمسكت الفتاة هَنا فجأة من يديها فور ما وجدتها بجانبها-

"فخافت هَنا وقامت فجأة من جانبها بعدما فاجأتهم الفتاة أنها ليست نائمة تمامًا".

- ليلى: أيه يا هنا مالك في أيه؟

- هنا: أعصابي بايظة ومش مستحملة أي حاجة، وقعت قلبي.

- ليلى: أيه يا فاطمة عامله أيه دلوقتي يا حبيبتي؟!

- فاطمة: ماما فين.

- ليلى: إنتي أيه بس اللي صحاكي يا توما مش كنتي نايمة ومرتاحة؟

- فاطمة: أنا ما نمتش أساسًا.

- هنا: إزاي يا حبيبتي ده بابا كان قايل إنه سابك نمتي.

- فاطمــة: هو كان قاعد جنبي طول النهار مش راضــي يقوم، فعملت نفسي نايمة عشان يروح ينام هو كمان.

"فأخذتها هَنا بين ذراعيها واحتضنتها بشدة".

- ليلى: يا حبيبتي، طب يلا عشان تاخدي الدوا وماما هتجيلك بكرة.

- فاطمة: أنا عايزة أروحلها دلوقتي.

- هنا: هي قاعدة مع إسراء عشان تعبانة شوية بس، ولما تخف هتجيلك.

– فاطمة: طنط إسراء تعبانة؟!

– ليلـى: اه يا ستي تعبانـة زيك وبدأت تخف، فخدي الدوا إنتـي كمان زيها عشان تخفي معاها.

– هنـا: يلا يا فاطمة وأوعدك لـو حالتك بقت كويسة هرجـع القصر وأخلي وردة تجيلك على طول.

"فأعطتها ليلى وهَنا الدواء وجلسوا بجانبها، حتى نامت الفتاة فعلًا ودخلت في ثُباتٍ، لكن حرارتها لم تنخفض قط ولم تهدأ".

– ليلى: عم رجب، يا حسين يا عم رجب.

– رجب: خير يا بنتي في أيه.

– ليلى: حرارتها عالية أوي لسه.

– حسين: دي كل الأدويه اللي لقيتهالها والله، وكان فيهم حاجات ناقصة.

– هنا: طب وبعدين السخونية دي غلط عليها.

– ليلى: هاتلي مايه ساقعة يا عم رجب، لازم يتعملها كمادات.

"وبعد أن دخلت فاطمة في غيبتها، بدأت تهلوس ولم تأتِ غير بسيرة اسم أمها "وردة" وكأنها الصغيرة قد شعرت بأن شيئًا قد حدث لها في العشتار"

– ليلـى: هَنـا أنا مش هقدر كده أتحرك غير متأخر، بعـد ما البنت كمان حرارتها تنزل، مش هقدر أسيبها في حالتها دي.

– هنا: أنا معاكي يا ليلى، انسي القصر واللي فيه دلوقتي، خلينا معاها شوية.

فتبتسـم لها ليلـى وتحمد ربها على ما قالته هَنا، حيث كانـت متوقعة أنها بحالتها تلـك لـن ترضـى أن تجلس ساعة أخـرى في هذا المنـزل، وهم تاركين حـازم وفهد في غيابهـم عن القصر، ولا علم لها بما فعلوه، لكن هَنا عادت لشيء من طبيعتها وصارت

الفتـاة هي شاغلهـم الآن، وجلسوا بها مهتمين لرعايتها كما طلبـت منهم أمها التي لا يُعرف عنها مصير حتى الآن.

"كنيسة مريم"

2008/11/27 9:00 مساءً

عودتها بجرح من أرض غُجار.

جـاءت من البر الغربي بجـرح في ظهرها أهدته لها ميرين بخنجرها، الذي شقت بـه ظهرها، بعدما ألقت عليها هذا النصل فوصلت الراهبة وهي تعلم أن لا وقت لديها إلا وستأتيهـا بنت المرازيق، حيث بعد أن تركت لبدريسا تلك الورقة وبها مكانها، كانت على علم أنه لن يأتي أحدًا لها بالكنيسة في تلك الأرض المهجورة غير بدريسا الغجرية فقـط، فدخلت الراهبة ونظفت جرحها كما كان حـال المرازيق دائمًا يسعفون أنفسهم بيديهم، ومن بعد أخذت عقارًا يشفيها من مفعول السم، الذي رافق دمائها بعد وصول الخنجـر به لمجـرى عروقها، فأشفـت الكاهنة نفسهـا، وضمدت جرحهـا الغائر وزاد لهيبهـا وغضبها من عملة تلك الفتاة الغجرية، التي كادت ستقتلها بهذا النصل، حيث كانت الراهبة لا تريد إيذائها أبدًا وندمت الكاهنة على ترك هذه الفتاة حية، حيث كان باستطاعتهـا أن تغـرز في ظهرها السكين لآخره أو حتى تستخـدم سكينًا آخر مسموم، لكنهـا لم تفعـل بها ذلك حيث كل ما كانت تقصده من جرحها بهذا الشكل هو تعطيلها فقط عن ملاحقتها لها، حتى لا تخرج وارءها، وحتى يحدث ذلك قامت الكاهنة حينما أمسكـت ميرين من يديها وثنت ذراعها فوق ظهرهـا وسارت ببطئ فقط فوق جلدها، لتخرج الكثير من الدماء من ظهرها، وتوهمها أن جرحها كبيرًا فتتعطل به، حيث كان الجـرح الذي رسمته تلك الكاهنـة على ظهر ميرين مُجرد خطـوط سطحية بجلدها، وليسـت جـروح عميقة أفقدتها فقط الكثـير من الدماء لكن لم ولـن تقتلها أبدًا، وبعد

أن انتهـت الكاهنة من كل شيء، خرجت ثانية وسارت للخلف فصعدت من على السلم الخشبـي إلى أعلـى مبنى الكنيسة وظلت جالسة منتظرة قـدوم غجرية رأت رسالتها، التي أرجعتها شيطانة ثانية كما كانت منذ زمن.

"قصر العشتار"

2008/11/27 8:00 مساءً

وصية أنورين.

واقفـة أمام إسراء التي رفعت عليها النصل الذي أهدته لها من ميرين في ظهرها قبـل هروبها من أرضهم، وفور مـا رأت وردة هذا الخنجر بيد إسراء قامت سريعًا هي الأخـرى، وابتعدت عنها حيث باتت بنت نادية لا اطمئنان لها بعد مرور الأيام عليها في هـذا القصر، وحالتها تسوء يوما عن يـوم، وكأن الغجر يسقوها من دمائهم ليحولوها مثلهـم، وبعـد أن ساد الصمت بينهم كانـت وردة واقفة منتظرة انتهـاء حياتها في أي حـين، وإسـراء أمسكت الخنجر من آخـره كأنها تُخـبر وردة أن أي حركة ستقوم بها، ستُلقي عليها بنت نادية ما بيدها لتنهي أمرها، فثبتت أمامها بنت عشمانة وكلمتها بحذر.

– وردة: إسـراء، أنـا أمي ماتت اليـوم ده (تُخبرها بذلك لتُذكرهـا أن أُمِها ماتت أيضًا على يد الغجر).

– إسراء: وانا أمي قتلتوها يوم ما ولدتني وما لحقتش حتى أشوفها.

– وردة: إحنـا، إحنـا يا إسراء؟! إنتـي خلاص مفكراني منهم بجـد، أيه المرازيق عمـوا عينك للدرجـة دي، طب مستنية أيه مـا إنتي بتقولي سيبتـي واحد منهم للموت أهـو، مـا تموتيني أنا كمان وسيبيني سايحة في دمي، مـا خلاص بقى الموت بقى أسهل حاجة عندك يا بنت شاكر.

– إسراء: أي كلمة تانية مش هخليكي تلحقي تكمليها.

- وردة: اضربي.

- إسراء: بلاش تتحديني يا وردة.

- وردة: إنتـي اتولدتي قدام عيني يا إسـراء زمان، كان عندي ساعتها ست عشرة سنـة وأول إيد شالتـك بعد تيتة أنورين -الله يرحمها- وأمي كانـت أنا، صدقيني إنتي أضعف بكتير من أنك تقتلي حد.

- إسراء: موت أمي ومن بعدها ستي أنورين، يخليني أعمل عشانهم أي حاجة

- وردة: إنتـي قتلتـي واحد من الغجر بدم بارد، عشـان متأكدة أن إيديهم فيها دم أنوريـن، بس حتى اللي سيبتيه يموت ده كمان كنتي غلطانة، فاللي بتعمليه معاه، معمية عن حقيقة موت ستك.

- إسـراء: وأنـا عمايـا ده خلاني أرتاح لمـا شوفته وهو نازل بيتقلـب ناحية مدخل الكهـف، ومش صعب عليا أكرر اللي عملته ده تاني، طالمـا هيريحني ويخليني أبعد كل المرازيق من طريقي.

"بدأت إسراء وهي تنهي حديثها في تحريك يدها نحو وردة، كأنها تمركز يدها عليهـا حتى ترميهـا بالخنجر، فلاحظتها وردة وظلت علـى سكونها وكلمتها بكل هدوء استطاعت إظهاره لها".

- وردة: مش عايزة تعرفي أيه اللي خلاني أوشوش ودنك يومها وإنتي نايمة؟!

"فأنزلـت إسـراء يدها المُمسِكة بالخنجر من أمامها، وفكرت في الأمر قليلًا ثم أعادت يدها مرة أخرى كأنها ستلقي عليها الخنجر لا مفر".

- إسـراء: مشـ هتفرق كتير، أيًـا كان إنتي خلتيني أعيش طـول عمري في كابوس مكنتش أقدر أخلص منه أبدًا يا وردة.

- وردة: أعيشك في كابوس أحسن ولا كنت أسيب عمك يقتلك إنتي وستك وأمي ليلتها؟!

- إسراء: قولتي أيه؟!

"فأنزلـت إسـراء يدهـا وألقت بالخنجـر أرضًا، منصدمة ممـا قالته لها بنت عشمانـة التـي بدأت تحكي لهـا كل تفصيلة من تفاصيـل ليلة الثامن مـن يناير، التي مر على أحداثها عشرين عامًا".

- وردة: ساعـة ما قعـدت أصالح فيكي وأراضيكي سيبتـك تطلعي أوضتك تنامي، دورت على أمي في كل حتة وساعتها أبويا قالي إنها طلعت تقعد مع ستي أنورين، فقولت أطلـع أقعـد معاكي الشوية دول، عشان ما تقعديش لوحدك لحـد ما ستي أنورين وأمي يخلصوا كلام.

- إسـراء: يـوم ما لقتينـي قاعدة زعلانـة في الجنينـة، عشان تيتـة أنورين بقت تحبسني في الأوضة، عشان ما خلتنيش أشوف ميرين تاني!

- وردة: أيـوه وساعتهـا أنا لما طلعتلـك كنت لسه هخبط علـى أوضتك، لقيت باب أوضـة ستي أنورين موارب، وأمي كل اللي على لسانها الغجر وسيرتهم فوقفت وسمعت مـن أمي كل كلمة كانت قالتها لها ستي زمان عن المرازيق والمالكية، وبعد ما سمعت كل حاجـة وعرفت أكتر عـن الملاعين دول، سمعت صوت رجلين طالعـة على السلم وجاية خلاص على الطرقة، ومكنش قدامي غير أوضتك بس اللي أقدر أدخلها وأستخبى فيها.

- إسـراء: (عـاد لذهنها صورة الخيـال الأسود التي رأتـه في أحلامها ثانية، وهو يفتـح عليها باب الغرفة، وبعـد أن دخل الغرفة توقف قليلًا بالبـاب كأنه يُراقب أحدًا، تمامًا كما تحكي لها وردة).

- وردة: ففتحـت بـاب الأوضة ودخلت لقيتك زي عادتـك نايمة وحاطة الغطا على راسـك، فوقفت ورا البـاب ووارتبه بسيط، لقيـت عمك فؤاد واقـف وبيسمع اللي أمي بتحكيـه لستي أنورين، فوشه اتقلب أحمر، كأنه بيتحول لما سمع من أمي كل الكلام ده، وكان هيتجنن إنها عرفت عنه كل حاجة ساعتها.

- إسراء: حاجة زي أيه.

بقية حكاية عشمانة عن الغجر.

فجـاء لوردة مشهد أنورين وعشمانة ثانيـة وهم بالغُرفة، فتخيلتهم وردة في عقلها فظهروا أمامهـا فجأة نفس مكانهم كأنهم جالسين أمام أعينها تراهم وتحكي لإسراء كل ما تحدثوا عنه ليلتها:

- عشمانة: مالك يا ست أنورين خير؟!

- أنوريـن: خايفة على إسـراء أوي كل شوية ألاقيها بره القصر، وبتلعب مع ميرين وبستغـرب إزاي بتخرج وأنا بخلي إبراهيم يقفل باب الجنينة، وفجأة ألاقيهم قاعدين بره القصر وبابه مفتوح.

"فتأتـي نظـرة الخوف والقلق علـى عشمانة التي كانت تخاف مـن النطق بأي كلمة عن المرازيق".

- عشمانة: !!!!!!!!!!!...

- أنوريـن: عشمانة، إسراء دلوقتي بقت أغلى حاجة في حياتي بعد ما نادية ماتت، عشـان خاطري عرفيني إنتي ليه بتخافي من المرازيـق، وأيه اللي تعرفيه عنهم خلاكي تحذرينـي منهـم أوي كده، خوفـك ده قلقني وقلـق إبراهيم كمان ومحدش فينا حب يضغـط عليكي، عشان تتكلمي لكن دي إسراء يـا عشمانة، أنا إمبارح شدتها من قدام البنـت اللـي اسمها ميرين دي ودخلتها بالعافية، أنا خايفـة لا تيجي مرة وإسراء تروح معاها وتدخل أرض الغجر.

- عشمانـة: حاضر ياست هانم حاضر، المرازيـق دول طينة تانية، دول الشياطين اللي عمري ما شفت حد زيهم، بدريسا دي هي واللي معاها كانوا سبب كل حاجة غريبة تحصـل هنـا في البلد من يوم قتل عم عواد، وخطف أطفـال البلد يوم ولادتهم، و لحد

مـوت أمي -اللّه يرحمها- وسحرهم ودجلهم اللي بقوا معروفين بيه وكمان !!!!!!!!!... في حـد هنا أعرفه علـى صلة بيهم وبيروحلهم في الجهه الغربيـة كل شوية، ولما عرفوا هددوني بوردة وحسين ولادي.

- أنورين: أيه! حد مين؟

- عشمانة: فؤاد بيه بيروح هناك يا ست أنورين.

- أنورين: فؤاد؟!

- عشمانة: أيوه ومش بس كده، ده قريب أوي من الغجر اللي هناك.

- أنورين: قريب من مين فيهم؟!

- عشمانة: اللي سمعته إنه متج...

"هُنـا لم تـأتِ عشمانة بسيرتها عن فؤاد وما تعرفه عنه إلا وكان صريخ إسراء يملأ العشتار كله"

فتابعت إسراء وردة وهي تحكي لها كل ما سردته عن تلك الليلة.

- وردة: وبعـد مـا شوفت عمك واقف وبيسمـع كل ده، ولسه هيسمع تاني كلام عن الغجـر من أمي خوفت أوي لا يتهور ويدخل يعمـل حاجة فيها أو لستي أنورين، فمكنش قدامي غير أني أخليهم ياخدوا بالهم أو يخرجوا من الأوضة بأي طريقة.

- إسراء: (ظلت على حالها لا تستطيع أن تنطق بكلمة واحدة أمام أخبار وردة لها عن تلك الليلة).

- وردة: فلقيتـك نايمـة والغطا على راسـك وباب الأوضة التـاني مقفول من غير مفتاح، قربت منك ومكنش قدامي غير أني أخليهم يخرجوا من أوضتهم وييجوا عندك هِنـا، فـكان كل اللي قدامـي ساعتها أني أوشوش في ودنك وأختفـي، عشان تصرخي وتلحقيهم من إيد عمك.

"فتظهر إسراء على وجهها علامات غريبة ما بين ابتسامة ندامة لما حدث لها بالماضـي، وفي نفـس الوقـت تحمل نظرة لـوم لوردة على مـا فعلته بهـا، وترمق عينها منظـر فؤاد وهـو يسمع عن أخبـار الغجر، الذي بـات واحدًا منهـم وكاد يقتل أنورين وعشمانـة لولا ما فعلته وردة، فتركت إسراء كل تلك التلابيب من عقلها فنظرت لوردة وأعادت لها كلامها التي قالته لها في تلك الليلة.

– إسراء: كفاياكي نوم وما تقعديش في الأوضة تاني لوحدك.

– وردة: كفاياكي نوم وما تقعديش في الأوضة تاني لوحدك.

فكررتهـا وردة ثانيـة معهـا بنفس النـبرة الغريبة، التي خرجت بهـا تلك الكلمات في هـذه الليلة، وضحـك الاثنان ونظرت لها إسراء كأنها تتمنـى منها مغفرة ما فعلته أمامها الآن من رفع الخنجر عليها، لكن وردة هي التي سبقتها بالحديث:

– وردة: سامحيني يا إسراء، الكابوس اللي عيشتك فيه ده أن كان ما أنقذش حياة أمي أنا، فعلى الأقل خلى أنورين هانم بعيدة عنهم، ومحدش منهم قدر يوصلها.

– إسراء: وإنتي فاكرة أن موتها برضو مش هما السبب فيه.

– وردة: أمي أنا اللي اتقتلت وكان على إيديهم يا إسراء، لكن تيتة أنورين والله لا.

– إســراء: أبلـة عشمانـة ماتت إزاي، كل اللـي أعرفه أن جثتهـا كانت مرمية على طريق الترعة!

– وردة: بعدمـا صرختي إنتي وأنا خرجت من باب الأوضة التاني، نزلت عالجنينة لقيـت حد غريب ماشي فيهـا، ولمحني فبقى يقرب عليه بس مشيتـه كانت غريبة كأنه بيعـرج، أول ما شوفته صوت فجه حد تاني من ورا ضهري كتم نفسي، وحاول يضربني في رقبتي بخنجر، بس صديته بإيدي فغرزه في كفي وهرب هو والتاني اللي معاه.

– إسراء: عشان كده سمعنا عم إبراهيم بيصرخ عليكي ونزلناله كلنا.

– وردة: أيوه وبعدها أنا ما فقتش غير على صريخ حسين وأمي بتجري رايحة ناحية أرضـ الغجـر، ولما أبويا رجع بحســين سايح في دمه وراح يدور علــى أمي، سيبتك إنتي وتيتــة وحسين وروحت وراهم، فلقيت الاتنين اللي كنت لسه بقولك عليهم دول، الراجل والست اللي من الغجر واقفين بيتكلموا فلما استخبيت ورا شجرة أسمعهم سندت عليها فكـف إيدي علم على جذعها بالدم فاتخضيت ساعتهـا، راح الغجري ده سمعني وقال للــي قدامه ترجع أرضها من تاني وقرب هو ناحيتي، فجريت منه وبعدها حصل حاجة غريبة ساعتها، لسه مفتكراها تاني من إمبارح بس.

– إسراء: أيه اللي حصل؟!

– وردة: بقعــة الــدم اللي عملتها بكـف إيدي زمان على جذع الشجــرة دي، لقيتها مختفيــة مــن تاني يوم بعــد ما أمــي اتقتلت، وحتــى لما كنــت في أرض الغجــر إمبارح لاحظتها من تاني، وافتكرت اللي عملته وأنا واقفة بسمعهم، ولسه مش عارفة مين اللي مسح الدم ده بعد ما مشيت على طول، مستحيل يكون حد من الغجر.

– إسراء: وبعدها قابلتي عم إبراهيم وخدك يروحك فلقيتوا جثة أبلة عشمانة الله يرحمها.

– وردة: أيوه واتدفنت واتدفن معاها سر موتها.

– إسراء: عمي فؤاد!

– وردة: عمك كان في أرض الغجر ساعتها يا إسراء.

– إسراء: عارفة، بس هو برضو اللي السبب في اللي حصل الليلة دي كلها.

– وردة: لــولا إنــه هربني ساعتهــا من أرضهم لكان خلاني مــا آمنش ليه من تاني لحظة واحدة.

– إســراء: بــس تيتة آمنت وعاشــت معاه، ومن بعدها راحــت والله أعلم بإيديه ولا بإيد غيره.

– وردة: إســراء لــو قولتلك على حاجة تيتة أنوريــن قالتلي ما أعرفكيش عليها غير بعد ما هي تموت هترتاحي ولا لا؟!

– إسراء: تيتة قالتلك أيه؟!

– وردة: آخــر مــرة جيت هِنا زيارة ليها، كانت قبل موتهــا بيومين وكانت حاسة أن أجلها قرب فقالتلي أن أيامها بقت قليلة خلاص، ووصتني عليكي قبل ما تموت.

– إسراء: قالتلك أيه يا وردة؟!

– وردة: ستي أنورين كان عندها سرطان في الرئة.

"فعــادت إســراء كالصغــيرة مرة أخرى، وأتــت أمــام وردة صورتها وهي بعمر السبــع سنــوات حينما كانت تنــام بين أحضان جدتهــا، فبدأت دموع بنــت نادية تنزل على خديها بعدما علمت بمرضها".

– وردة: وصيتها ليا أني ما أقولكيش أي حاجة غير بعد ما تموت.

– إسراء: تيتة ماتت بسرطان!

– وردة:ده اللــي نفسي تصدقيه وعايزة أقولهولــك من أول يوم جيتي فيه بس مش لاقيه فرصة.

"فتســرح إسراء ثانية وتنظر بعينها من النافذة نحو أرض الغجر ويأتي لسانها باسمه".

– إسراء: عمي فؤاد!

– وردة: إســراء أن كنتــي بتعملي كل ده عشان ستك، فهي ماتت موتة ربنا خلاص، فبلاش تاني مرواح عند الغجر، أهي جت سليمة –الحمد لله– المرة دي وعدت.

– إسراء: حاضر يا وردة، حاضر ربنا يسهل.

وتعــود إسراء ثانيــة بنظرها نحو النافــذة، تطل على أرض غُجــار فتلمح فهد آتيًا

ومعــه حازم، الذي أغرقت الدماء ملابسه فانجزع قلب إسراء مما رأتهم عليه ونزلت تجري ناحيتهم تتبعها وردة.

– إسراء: حازم! ماله ماله يا فهد.

– فهد: افتحيلي أي أوضة بسرير بسرعة.

– وردة: تعالوا تعالوا أوضتي اتداروا لأحسن حد يشوفكم.

– جواهــر: بالظبط ياولدي، تعالى لأحسن حد من الملاعين اللي جيتوا من عندهم يلمحكم.

"ظهــرت فجــأة معهــم في الحديقة من الداخل وسمعت مــا قالته وردة فأكملت الكلام بدلًا عنها".

– إسراء: إنتوا كنتوا عند الغجر؟!

– جواهر: ومين يا بنتي بيحب ريحة الدم ويشتهيها غير المرازيق؟!

– حازم: هَنا وليلى فين؟

"فتنظــر إســراء لــوردة التي وضعت عينيهــا أرضًا، حيث لم تشــء أن تُبلغ عن مكانهم أمام الخادمة".

– فهد: ما تتكلمي يا وردة ليلى وهَنا فين؟!

– وردة: اطمنوا عندي في البيت اللي في حارة مصباح، بعتهم مع حسين يقعدوا بفاطمة.

"فــأدارت الغجرية وجهها عنها ورسمــت ابتسامتها الخبيثة على وجهها، بعدما علمــت بمكانهــم خاصة وأن حارة مصبــاح ليست بغريبة أبدًا علــى الغجر، حيث سبق وقــد كانت تلك الحــارة، التي خرجت منهــا بدريسا تاركة فيها ثلاثــة قتلى من مولود وأمه التي وضعته، وعجوز كانت تداوي الأم بحملِها، لكن تلك الابتسامة مرت خفاءً عن الجميع عدا إسراء، التي لمحت الغجرية وهي ترسمها بوجهها"

فوقفـت إسراء بالحديقة ترمق جواهر، وهي تدخـل معهم بحازم لداخل القصر، فلاحظـت وردة وقوف إسراء بالخارج ونظرتهـا للغجرية، ومن ثم نظرات عينيها نحو أرضـ الغجر، حيـث كانت وكأنها تشتهي العـودة لها ثانية، فخافـت وردة وكأن إسراء كانـت تطمئنها فقط بالوعـود المُزيفة، التي ستعيدها ثانية لداخـل دروب غُجار وسط أهاليهـا، وبعدما رآتها بنت عشمانة خشيت مـن تفكيرها وجاء ببالها حل يمنع إسراء عن معاودة زيارة الغجر ثانية، فانتظرت فهد حتى يدخل بحازم ومن ثم تُكلمه.

فلاحظتهـا إسراء حينما كانـت تراقبها فلم تفعل شيئًا غـير الذهاب ورائهم نحو غرفة وردة، التي كانت تجلس بها قديمًا قبل مُغادرتها لمنزلها في حارة مصباح.

– جواهر: أيه اللي وداكم عند المرازيق؟

– فهـد: شافونـا واحنا ماشيـين، وإن مكناش خلصنا منهم كانـوا راقبونا لحد ما جينـا هنـا وخلصوا علينـا وعلى كل اللي في القصـر (بدأ فهد يتلاعـب معها بالكلام ويكذب عليها فيما يُخبرهم).

– جواهر: وإنت فاكر إنكم كده فلتوا منهم ومش هيعودولكم من تاني.

– جواهر: مين اللي معورك فيهم كده يا حازم.

– إسـراء: وحازم هيعرف منين يا ست جواهر، ده إنتـي أدرى بالمرازيق أكتر مننا يا بنت المالكية.

– فهـد: مالكية؟! (عرف فهد أن المالكية هم أصل كل شيء أكثر المرازيق من قبل، حيـث أخبره بـدر الصعيدي بكل شيء عنهم، فبات فهد يعلـم حال الخادمة تمام مثل وردة وإسراء).

– وردة:مشـ وقته يا حازم دلوقتي ارتـاح طب، أنا هجبلك حاجة من هدوم حسين بدل الدم ده.

- إسراء: الغجر هما اللي عملوا فيك كده يا حازم؟! هما صح؟!

- حازم: ما جواهر قالتلك أهي، محدش بيحب ريحة الدم، ولا يشوفه غيرهم.

- إسراء: اللي هيقرب مني فيكم من تاني، هقتله.

"لم يتوقع أحدا منهم قول إسراء هذا الآن، وخروج تلك التهديدات من على لسانها".

- إسراء: اللي هيتعرضلي ويقف بيني وبين أرض الغجر، هيموت قبلهم

"فرفعت جواهر عينها بنظرات شيطانية مثل بدريسا وصارت إسراء تحت أعينها" وخرجت إسراء من عندهم صاعدة نحو غرفتها، فخرج وراءها فهد لكن وردة استوقفته وانفردت به لتطلب منه شيئًا.

البر الشرقي

"كنيسة مريم"

2008/11/27 9:00 ليلا

الراجية من الله مغفرته وشفاعته.

لأول مرة منذ سنوات استطاعت إحداهم أن تجعلها تخرج من غُجار، فكانت رسالة الراهبة إلى بدريسا قد قطعت عزلة بنت الغجر على نفسها، وجعلتها تغادر غُجار لتطرأ قدمِها أرضًا غيرها، فخرجت بدريسا من حي الغجر ورافقتها كل شياطينه، الذين يسكنون معهم فيه، وحينما وصلت لأرض المقابر أفزعت تلك الشيطانة أموات وضحايا الغجر، فعادت أرواح المرازيق من أسفل تراب المقابر، وسارت معها هي الأخرى خارج الأرض الغجرية، فباتت الشيطانة تمشي ومن حولها أرواح وشياطين الغجر يحلقون من حولها، كأنهم صاروا عزوتها الذين يذهبون بها نحو الكنيسة المهجورة بأراضي البر الشرقي، فطرأت أقدام الغجرية التي غادرت أرض غُجار بمفردها، ولم تخبر أي أحد من أهلها برحلتها، نحو المكان الذي ينسدل على تلك الكاهنة، لكن شيطان

بدريســا رفض أن تكون بنت الغجر وحدها، فجعـل شياطين غُجار كلها يسيرون معها، بـل وأتى لها بأرواح من في المقابر، وساروا أجمعـين جاعلين من كنيسة مريم المهجورة مقصدًا لهم ابتغوه، بعدما وضعته غجريتهم نصب أعُينها، فمشت الغجرية ولأول مرة وسط أهالي البلدة، وهي بحالتها لم تخفِ أصولها، ولم تغير ملابسها بل سارت بينهم، وملامحهـا وجهها غاضبة كما هي فسارت الكحيلـة، التي كانت بياض بشرتها لا يزيد عنه نضـارًا إلا شروق الشمس، وصار وجهها أسـودًا، وعيناها الحمراء ترى لها جميع خلـق الله مـن بشر أو جـان أو حتى شياطين شرهم، لا يساوي مـا حملته تلك الغجرية في قلبهـا، ووصلت بعد سيرهـا الطويل هذا لطريق مهجور، انتهـى بها لأرض خالية لا تدخُلها قدمًا ولا تمسها عين بشر أبدًا، فوقفت بدريسا أمام مدخل هذه الأرض، وكانت كنيسـة مريم لا يفصلها عنها أي شيء، فأتـت لها عيناها بخبر تلك الكنيسة المهجورة ورأت أعلاها الراهبة جالسة في انتظارها.

تحت ضوء قمر وسماء الكنيسة.

كانـت الكاهنـة تعلم منذ أن ألقـت ورقتها في أرض غُجار، عند هـذا المكان أنه لن يجـد أحـدًا غير بدريسـا رسالتها تلك، حيث تعلـم الكاهنة جيدًا سـير بنت المرازيق، وطرق مشيها في أرض الغجر، فعمدت الراهبة أن تجعل تلك الرسالة في مكان لن تصل لـه يـد أحد غير يد بدريسا، التي تبتغي رؤيتها بشدة، حيث وإن كانت دائمًا بنت الغجر لا يبغـي رؤيتها أحدًا أو حتى يتمنى ذلك ولو صدفة. كانت الكاهنة على غير ذلك حيث كانت زياراتها لغُجار تلك والمرازيق، الذين بها كانت جميعها محاولات بحثًا عن ابنتهم الغجريـة، التـي لبت ندائها وأتـت لها حال وصـول الرسالة لها، فظهـرت بدريسا لها ووقفـت على مدخل الأرض التي بها الكنيسة، والساحة التي حولها، فذهبت شياطينها بعيـدًا عنهـا، وكأنها لم تستطـع أن تُرافقها لهذا المكان المقدس، فأكملت تلك الملعونة

سيرهـا إلى الكنيسة بمفردها، فوصلت تحت أعين الكاهنة التي كانت أعُين كلًا منهما لم تنـزل من على الأخـرى، حيث رأتها بدريسا كاهنة قد أجلست نفسها في أعلى نقطة علـى هذا المبنى، وأما الراهبة فكانـت وكأنها تُبلِغها بإننـي في انتظارك، وغاب عنهم ضـوء القمر وسط الغيوم فاطفأت السماء أنوراها عليهم، وقامت الراهبة من جلستها فوق المبنى، وسكنت قليلًا حيث لم تتحرك ولم تفعل أمام بدريسا أي شيء، حتى سمعت الغجرية صوت عواء ذئبا كمثل الذي في غُجار تمامًا، كأن الراهبة تُرحب بها في أرضها المهجـورة، التـي لم يدخل عليها أحدًا فيها من قبل قط غـير بدريسا فانتبهت الغجرية فجأة لمصدر الصوت، وعادت ثانية بعينها على موضع الكاهنة أعلى الكنيسة فلم ترها عينها، واختفت عنها الكاهنة فجأة، فصارت عين الغجرية تدور في هذه البقعة، التي لا يسكنها أحدًا غير تلك الراهبة، وبدأت خطوات بدريسا تسير شيئًا فشيئًا أكثر، لداخل هـذه الأرض فأنزلت عليها السماء أمطارهـا، ولامست وجه الكحيلة، كأنها تزيل عنها سـواد وجهها، الذي لم يرضَ أن تظهر أشعته علـى بدريسا وهي بتلك الحالة، وفور ما تكاثرت السيول على وجهها، وأزالت عنها السواد الذي حل به، عاد القمر ثانية يضيء عليهـا أرض الكنيسة وما حولها، وعادت أمامها ثانيـة من بعيد، الراهبة تظهر نفسها ثانية، لكن تلك المرة كانت معها على الأرض.

البر الشرقي

"حارة مصباح"

10:00 2008/11/27 ليلا

عودة لطريق نهايتهم.

كان رجـب يجلـس بالخارج مع حسين، ليبلغه بما قالته لـه وردة من حديث قبل أن ترسـل لـه الفتيات، حيـث كانت وردة تطلب منه هـو وحسين أن يُبعـدوا ليلى وهَنا عن

القصـــر، بقدر مـــا يستطيعون حيـث لا تريد بنت عشمانـــة أن يعـــودوا في تلك الأوقات للعشتـــار، كأنها تخشى شيئًا سوف يحدث على من فيه، وأرادت أن تُبعد الذين تستطيع إخراجهـم منه، وكانت ليلى وهَنا فقط من تمكنت عليهم وردة بإرسالهم للبر الشرقي بحـــارة مصباح، لكن عقل هَنـــا وليلى كان يسير على عكس مـــا أرادت وردة لهم، حيث تحدثت هَنا لليلى وأنت بسيرة حازم وفهد:

- هنا: حازم وفهد رجعوا يا ليلى.

- ليلى: رجعوا إزاي إنتي بتقولي أيه؟!

- هنا: بقولك رجعوا تليفوناتهم اتفتحت.

- ليلى: طب استني شوية بس، وأنا هقوم معاكي فاطمة حرارتها بتقل أطمن عليها ونقوم.

- هنا: أنا خايفة.

- ليلى: يا حبيبتي ما طالما تليفوناتهم هما الاتنين اتفتحت من تاني خلاص يبقوا بخير.

- هنا: ما هم ما بيردوش.

- ليلى: ربنا أدرى بحالهم هناك.

- هنا: لا أنا مش قادرة استنى معلش، قلبي واجعني والله عليهم، وعلى إسراء كمان.

"كأن هَنا أصبحت كاهِنة هي الأخرى، وباتت تعلم ما سيحدث قبل وقوعه"

- ليلى: طيب يا هَنا ماشي، يلا قومي.

فاستعدت كلًا منهما بعد أن اطمئنوا جيدًا على الصغيرة، وخرجوا من الغرفة إلى حسين ورجب.

- حسين: رايح فين يا هَنا إنتي وليلى.

- رجب: البت فيها حاجة.

- ليلـــى: اطمن يا عم رجب، فاطمة -الحمد لله- نايمـــة وكويسة، وحرارتها نزلت كمان إحنا بس لازم نرجع دلوقتي يا حسين.

- حسين: في أيه يا ليلى؟!

- هنا: حازم وفهد تليفوناتهم اتفتحت.

"فتذكـر رجـب أنه تاركًا هاتفه صامتًا حيث كان قد أبعده عنه، وهو جالسًا مع ابنته حتى لا يتصل به أحدًا ويقلق منامها".

- رجب: طيب يا بنتي خلاص روحوا، وإنت يا حسين أول ما توصل كلمني ها.

- حسين: حاضر يا عم رجب، يلا يا ليلى.

فنـزل معهم رجب ليقف لهم حتى غادروا الحارة، وعاد ثانية للمنزل فدخل لابنته فوجدهـا في ثُبات عميق، وكأنها لم تكن ذاقت نومًـا من مدة طويلة، وبجانبها علاجها الـذي أحضرته ليلى معها هي وهَنـا، فدعا لهم كثيرًا، وحمد ربه على بدء تحسن حالة ابنتـه، ومن ثم تذكر هاتفه الذي تركـه في الغُرفة الأخرى صامتًا على حاله، فذهب له فوجـد مكالمات كثيرة قد فاتته مـن وردة زوجته، ورسالة أرسلتها له بعد تلك المكالمات، التي لم يجِبها عليها ففتح الرسالة وقرأ:

""حسين اوعى تسيب البنات يمشوا من عندك، ويرجعوا للقصر من تاني، اوعى تخليهم ينزلوا أو أي حد يشوفهم، خليهم عندنا الليلة في البيت بأي طريقة"".

وفور ما انتهى حسين من قراءة رسالة زوجته دق الرعب في جسده، وزادت ضربات قلبـه خوفًا على زوجته، وكل الذين بالقصر، فصـار يتصل على هاتف زوجته، فوجده مغلـق فتشتـت حالته عن آخرها، كأن الرسالة التي جاءتـه تحمل خبر الذين جاءوا له يشفون ابنته.

"كنيسة مريم"

2008/11/27 9:00 مساءً

الغجرية والكاهنة.

لمحتهـا بدريسا من على بعد فكان ما يفصل بين الاثنان بضعة أمتار فقط، فوقفت كلًا منهـم ترمق الثانية بنظرات شيطانه، فالغجرية عـاد إليها شياطين وأموات أرض غُجـار، فاحمرت عيناهـا ثانية وعاد لوجهها سـواد أكثر شدة من عتمـة كهف غُجار، والراهبـة التـي لم يظهر منها غـير عينيها فقـط، كان سواد ملابسهـا يجعلها وكأنها متخفيـة وسط عتمة هـذه الأرض، وعاد عليهـم ثانية ضوء القمر لكـن بلونه الأحمر، وكأنـه يعلم ما سيحـدث إذا اجتمعت هاتان الشيطانتان معًا في مكان واحد، وكانت كل مـا تبتغيـه إحداهن من الأخرى هي دماؤها فقط، ومن ثـم قطعت الراهبة سكون تلك اللحظات، وتقدمت هي نحو بدريسا التي ظلت في مكانها لم تُحرك قدمًا ناحيتها، حيث بـدأت الثانية في الاقتراب نحوها، وحينما وصلـت أخفض الذئب عواءه، كأنه يراقبهم ويـرى حالـة كلًا منهما، فسكت حينمـا توقفت الراهبة بسيرها أمـام الأخرى، وزادت السمـاء من أمطارها عليهم، كأنها تستعد لتغسل تلـك البقعة من الأرض من أي دماء ستسيل عليها.

– بدريســا: (سارت فيهـا بعينيها وأتت بخبرها من رأسهـا إلى قدمها، حيث رأت أمامها كاهنة ترتدي ثياب الراهبات، وتغطي وجهها بخمار مثل طريقة الغجر).

– الراهبة: اللحظة دي أنا استنيتها من عشرين سنة.

– بدريســا: اللي تدخل وسط الغجر وتعرف من تاني تخرج من عندهم، ما تبقاش واحدة عادية.

– الراهبـة: دخلت وسط الغجر وما رضيتش أؤذيهم كمان، لأن قتلهم مش غايتي، غايتي فيكي إنتي يا بدريسا وفي دمك.

- بدريسا: واللي تتمنى دم بدريسا، لازم تقدر على شيطانها اللي حيتُه جواها من تاني.

- الراهبة: عمر ما كان ليكي شيطان يا بنت زين المالكي.

"سمعـت منهـا بدريسـا اسم أهلها الحقيقـي، واسم أبيها حيـث اتضح لها أن الكاهنة تعرف أصل بدريسا المالكي، وأنها ليست من بقية المرازيق ولكنها ابنة زين".

- الراهبة: طول عمرك كنتـي شيطانة نفسك، وياما قولتلك تبعدي بعفاريتك عن الناس، وتبطلي أذى فيهم وإنتي اللي ما سمعتيش.

- بدريسا: دمي هيبرد قلبك على قتل مين؟!

"فبـدأت الغجريـة تثـير مشاعرها وتستفزهـا، وهي على حالهـا لا هدوء فوق هدوئها وسكونها".

- بدريسا: اللي ماتوا على إيدي كتير بس مكنش فيهم حد من الغجر واصل، وإنتي شكلك مش غريب علينا، ليكي مين بقى من الغجر مات؟! أنا إيدي طول عمرها نضيفة من دم المرازيق.

- الراهبـة: عمري ما كنت منكم ولا هكون يا بدريسا، وإن كنت مغصوبة على كده في يوم من الأيام، فإنتوا حتى مهنش عليكم تسيبوني أكمل بقية حياتي بعيد عنكم.

- بدريسا: وإنتي عايزة عهد المالكية على المرازيق يتكسر بسببك؟!

- الراهبـة: ماهو اتكسر فعـلًا، وإلا مكنتش هفضل عايشة لحد دلوقتي من بعد ما بعدت عنكم.

- بدريسا: بعدتي وفضلتي برضو دافنة نفسك بالحيا يا...

"لم تلحـق بدريسـا نُطـق اسمها إلا وثـار ثانية الذئب عليها بعوائـه، كأن اسم الراهبة بات محرمًا عليها، وعلى باقي المرازيق والمالكية أجمعين".

- الراهبـة: اسمـي يحرم عليكي، وعلـى كل الملاعين اللي زيك يـا بدريسا، بلاش تكرريها من تاني.

– بدريســا: وإنتي فاكرة أن اللي إنتي فيه دي عيشة من أساسه، دخولك وخروجك أرض الغجر في نص الليل، وسكونك في كنيسة مهجورة دي عيشة.

– الراهبــة: إن كان بعــد كل ده رقبتك هتبقى بين إيديــا، فأنا مستعدة أقضي بقية عمره كله هِنا.

– بدريســا: وأنــا قولتلك رقبة بدريســا مايقدرش عليها إنســان، ولا حتى شياطين الأرض كلها.

"خرجت تهديدات بدريسا وسط أصوات عواء الذئب، فصار وكأنه ثالثهم يدور حولهم في كل مكان".

– الراهبــة: فعــلًا يا بدريســا عُمر دمك ما كان هيقــدر عليه أي إنســان على وش الأرض، لكن يقدر عليه ذئب من نسل اللي ربيناهم في أرضنا زمان،

وأخرجــت الكاهنة سكينها من جانبها، وفتحته على بغتة وقذفت به نحو حبلًا كان مربوطًا بأحد عمدان الكنيسة الخارجية فقطعته، وانفتحت فجأة الأرض التي تحت قدم بدريســا، حيث كانــت الكاهنة قد استقرت فوقها تمامًا، وجعلــت بدريسا تأتي أمامها، ومــن ثم هربت الكاهنة تاركه بدريسا تهوى داخلها، فأخرجت الكاهنة سكينًا آخر من جانبهــا، وألقت به على الحبــل الآخر الذي ينغلق على الذئب، فانحلَّ تمامًا وصار ذئب الكنيسة طليقًا في أراضي ساحتها، يشتهي أي شيء يأكله حيث كانت الكاهنة قد منعت عنه الطعام لأكثر من أسبوع، وبعد أن وقعت بدريسا في هذا الفخ ضحكت، وقامت ثانية تلُملِــم حالها، وأخرجت نفسها من تلك الحفــرة، التي لا يزيد عمقها من متر ونصف، فوجدت ذئبًا يحمل جينات الفصيلة، التي دائمًا ما كان الغجر يربونها ويرعوها وسط أراضيهــم، فنظرت بدريسا حولها ولم تجــد أثرًا لهذه الكاهنة، فعادت الغجرية بعينها على الذئب، وفتحت ذراعيها له كأنها تهيئ نفسها وليمة له، فهجم عليها لكنه لم يكمل

قفزته نحوها من جانب إلا وسقط الجانب الآخر لا نفس له ولا صوتًا، حيث كانت دماؤه أول مـا يسيل على أرض كنيسة مريم، فضحك شيطان بدريسا كأنه تملك بها الأرض، وما عليهـا وسارت الغجرية لداخل الكنيسة لتعود للكاهنـة، فدخلتها بدريسا وغضبها قـد أشعل بها نارًا لم تطفئهـا مياه السماء التي تتساقط عليهـا، حيث ما لتلك النزعة الشيطانيـة أن تنطفئ أبدًا، فتكلمت بدريسا بصوت أشد من عواء الذئب، الذي تركته وسط دمائه بالخارج، وكلمتها وهي لا تزال مختفية عن أعينها.

– بدريســا: ولا ألف ذئب أو شيطان من شياطين المرازيق أو المالكية يقدروا عليا يا شفاعـة، ودمك وحده هـو اللي يهون اللي عملتيه بس أنـا هسيبك، وأرض غُجار تحرم عليكي طول عمرك.

فأظهـرت الراهبة نفسهـا أمامها من نقطـة مرتفعة داخل الكنيسـة، حيث كانت الكاهنة وكأنها جالسة على شيء ما متعلقًا بالسقف.

شفاعة الراجية: لا اقتليني يا بدريسا، أنا قولتهالك كتير زمان من قبل ما أسيبكم وهقولهالـك من تاني دلوقتي، أن كنتي هتأمني على حـد سبتيه للموت وروحه لسه فيه فمش هتأمني على روحك إنتي بعد كده.

فتنظر لها بدريسا وهي جالسة في الأعلى، وكأنها محلقة في سقف هذا المعبد الديني.

شفاعة: غلطتك أن كل اللي قتلتيهم سبتيهم للموت من غير ما تشوفي روحهم وهي بتطلع وادي روح من اللي سبتيها رجعتلك من تاني يا بنت زين.

– بدريســا: دي كانـت فعلًا غلطتي، بس مش غلطتي مـع الباقيين، كل اللي سبتهم الموت جالهم من بعد ما سيبتهم أنا على طول، لكن إنتي صنف نمرود كان لازم روحك دي تطلع من جسمك بإيديا مش أسيبك كده ما بتترجى الموت زي ما كنتي بتتمنيه وقتها.

– شفاعـه: عارفة يا بدريســا هقولك نصيحة، ما تسيبيش حد يستنى الموت عشان

يجيلـه، لأن اللي هتسيبيه ده مستني أجله ييجـي، يا هيجيله الموت فعلًا، يا هيجيبه هو ويجيلك يا بنت زين.

- بدريسـا: وزيـن ده هـو اللـي كان طالب روحك، وأنـا مقدرش أتأخـر على كبير المالكية بحاجة.

فأنهـت بدريسـا حديثها معها، وألقـت عليها خنجران أظهرتهمـا فجأة في يديها، فكانـت شفاعة ممسكة بحبل في يديها مُثبتة نفسها به في تلك النقطة العالية، وفور ما رأت خناجـر بدريسـا آتيه نحوها، ضربت الراهبة ما علـى يمينها ويسارها؛ فأزعجت عِشـ الخفافيشـ الراقـدة في مكانهـا فانتشرت فجـأة حولها، وأخفتهـا للحظات عن بدريسـا التـي حمت عيناها منهـم، وحينما عادت تنظـر ثانية للمكان الـذي كانت به الكاهنـة، لم تجدها ووجـدت ورقة تطير من أعلى لأسفل آتيه مـن هذا المكان، فجرت عليها الغجرية ووجدت مكتوبًا عليه:

"زمان المالكية وصلوا أرض غُجار يا بنت زين"

فألقـت بدريسـا سريعًا برسالة الراهبـة، وجرت على أرض الغجـر التي سيصلها المالكيـة، بعـد قليل حيث ذهبت لتلحـق بالمرازيق، الذين أرسلت عليهـم الكاهنة رُسل الموت، الذين سيأتون لهم في غُجار ويغادرونها معهم أرواح من بها أجمعين.

الفصل العاشر

وصـول المالكيـة

"قصر العشتار"

2008/11/27 10:00 ليلا

هروب الغجرية.

كانـت جواهـر الوحيـدة التي بقيـت بالصالة بعد أن غـادرت إسـراء إلى غُرفتها بالأعلى، وحازم جالسًا في غُرفة وردة بالأسفل، حيث كانت الخادمة قد رأت فهد يسير وكأنه يُخفي نفسه عن أعين من بالقصر، فأخفت الخادمة نفسه هي الأخرى عنه، حتى رأته يسير ذاهبا نحو المطبخ، ويضع في زجاجات المياه شيئًا غريبًا لهم، فتركته جواهر في الحـال، وسارت تُبلغ فؤاد وإسراء بفعلته حتى يلحقوه متلبسًا بعملته تلك، فأسرعت نحو غرفة إسراء، وفتحتها عليها وجذبتها من يديها.

- جواهـر: أن كنتي عايزة تعرفي فعلًا مين اللي عايزني أمشي بره القصر ده، وهو ملبسني جريمة قتلكم تعالي معايا.

- إسراء: إنتي بتقولي أيه يا ست إنتي.

- جواهر: تعالي معايا يا ست إسراء، وأنا هوريكي كل حاجة.

فسـارت إسراء معها ونزلـت فأمرتها الغجرية أن تنتظر حتـى تيقظ عمها، الذي خرج معها من الغرفة متعجبًا لما سمع فرأى إسراء أمامه، وساروا ثلاثتهم نحو المطبخ، فلم يكن فهد قد انتهى بعد من وضع عقاقيره في كل الزجاجات، فاقتحمت إسراء عليه المطبخ فجأة، فسقطت من يده زجاجات العقاقير حينما وجدها أمامه وسمع صوتها.

- إسراء: بتعمل أيه يا فهد.

- فهد: إسراء؟!

- فؤاد: أيه اللي إنت بتحطه ده في الميه؟!

"فسارت جواهر واستشقت إحدى فواهات الزجاجات".

- جواهر: ده لا ليها ريحة ولا لون، غالبًا ده يا إما سم يا إما مُخدر يا فؤاد بيه.

- إسراء: سم! عايز تسمنا يا فهد، جاي تقتلنا إنت اتجننت!

- فهد: وإنتي هتصدقي اللي بتقوله ده يا إسرا...

- إسراء: افهم أيه وزفت أيه فهمني أيه اللي بتحطه ده.

- جواهر: إن كنت عايزني أمشي من البيت ده يا فهد بيه، فمفيش داعي تخرجني منه بقضية وتؤذي الناس اللي فيه.

- فؤاد: لآخر مرة هسألك ده أيه يا فهد؟!

- فهد: (يصمت ولا يعرف بماذا سيجيبهم فتحدثت الغجرية، وردت هي على فؤاد بدلًا منه).

- جواهـر: مـا تنساش أني من المالكيـة يا فؤاد بيه، والمالكيـة عمرهم ما حد كان يحاول يؤذيهـم إلا وكانوا ياخدوا حقهم منه في الحال (فأخرجت سكينتها من جانبها واقتربت منه).

- حازم: مش إنتي بس اللي ليكي حق عنده يا جواهر.

"ظهر لهم حازم فجأة ودفع جواهر أخذ منها سكينها وكانت تبدو عليه هلاوس شديدة لا مُبرر لها".

- إسراء: حازم؟!

- حازم: فاكر يا فهد؟!

- فهد: فاكر أيه؟!

- حازم: فاكر يوم ما قتلت مراتي وابني في بطنها.

- إسراء: حازم! إنت في وعيك؟! (لاحظت عليه تغير حاله بغرابة شديدة على فجأة).

- فهد: لا يا إسراء ده مش في وعيه، بدر! بدر الصعيدي!

- جواهر: بدر! ماله بدر يا ولدي؟!

"لم ينتبه لحديث جواهر له، وظل منشغلًا بحازم الذي حقنه بدر بعقار غريب، ألقى بزجاجته في الحال فور ما سأله فهد عنها وطلب رؤيتها".

- فهد: حازم، حازم ركز معايا وافهمني، بدر شكله حقنك بحاجات هلوسة.

- جواهر: الإزازه السودا؟!

"فنظـر لها فهد مندهشًـا حيث ما قالته الغجرية صحيحًا، وكان لون الزجاجة التي أخفاها بدر أسود".

- إسراء: حازم مش في وعيه يا فهد!

- فهد: عارف يا إسراء، بس مش هيصدقك.

- جواهر: فوق يابني وبلاش تمشي في السكة اللي كتبها عليك بدر.

- حـازم: (فينظر لهـا ويضحك ضحكات هستيرية، وخطواتـه لا تزال في اقتراب من فهد).

- فـؤاد: (وأما عم إسراء فأبعد نفسه قليـلًا عن حازم، وبدأ يمد يده نحو سلاحه ليردع به حازم).

"ففهمـت إسـراء ما أشـار لها به عمها، حيث بين لها أنه فور ما يخرج سلاحه سيصوبـه على يد حـازم، ليسقط منها الخنجـر الذي خطفه مـن الخادمة، فحاولت إسراء أن تُلهيه هي الأخرى وتتحدث له".

- إسراء: حازم طب بصلي، بصلي وفهمني كل اللي إنت عايزه وأنا هعملهولك.

"فبدأت هلاوس حازم تتبدل من هستيريا نوبات الضحك التي كان عليها، وبدأ الحزن يُسيطر عليه فور ما تذكر زوجته، وآخر ما كان يجمعها به".

- حازم: ليه يا فهد؟! ليه قفلِت علينا بالعربية ساعتها وخدتها مني، ليه؟!

-فـؤاد: اهدى يابني ده كان قدر ربنا، اهدى وسيب السكينة دي من إيدك، فحاول فـؤاد أن يغافله لكن حازم ابتعد عنه، فجرح يده فصرخت جواهر فجأة ووضعت يدها حول فمها.

- حازم: شششششششش مش عايز أسمع صوت خالص، رد يا فهد ليه قتلت رؤى؟!

- فهد: إنت مش في وعيك دلوقتي، لما تسيب السكينة الأول، هبقى أقولك ليه بعدين؟!

"وتركـه فهد وذهب ليبتعد عنهم مغـادرًا من باب المطبخ الخلفي، ذاهبها نحو الحديقـة الخلفيـة، لكن فاجئـه حازم بهجومه عليـه، ومحاولات عديـدة لطعنه، لكن فهد أبعده عنه بعدما أصابه في صدره".

- إسـراء: (إمتـلأ القصـر بصرخاتهـا فأتت وردة مـن الخارج، بعدمـا سمعتها تستغيث من المطبخ).

ثـم جاءت وردة ولمحـت فهد يخرج هاربًـا، واختفى أثره تمامًا، أمـا حازم فحاول الذهاب خلفه حيث باتت هلاوسه على آخرها، وجعلته لا يدرك شيئًا فحاول فؤاد تقييد يـده محـاولًا منعه، وحـازم في عالم آخر لا يـرى ولا يسمع لأي أحـد، فدخلت وردة من الباب الآخر عليهم، فوجدت حازم كاد يفلت يده من فؤاد، فأمسكت وردة قطعة خشبية من المطبخ، وضربته على رأسه فسقط.

سِم الخادمة الذي وصل لدماء ابن علام.

ذهبـت الخادمة مُسرعـة لغرفتها لتحضر عقـارًا لفؤاد حتى تلحقـه، لكن إسراء لاحظـت أن عمهـا قـد جُرح مـن سكينتهـا، ففكرت مـاذا ستترك الغجريـة على تلك السكينة حتى تعطي عقارًا لعمها؟!

- إسراء: أيه الدوا ده يا جواهر؟!

- جواهر: تنظر لها في ضيق وعبوث ثم لم تجِبها، حيث بدأت تضمد جرح يد فؤاد وتحقنه.

- إسراء: بقولك أيه اللي كان على سكينتك ده يا جواهر؟!

"فأمســك فـؤاد بالعقار، الذي حقنته به واستشـق رائحة مميزة له، فعرف أنه مضاد للسموم عرفوه الغجر جيدًا، ثم نظر لها كأنها آخر وجه سيراه قبل موته"

- فؤاد: السكينة دي مسمومة يا جواهر؟!

"فظهرت أمامه ولأول مرة وهي تبكي، ولاتدري كيف سترد وبماذا ستجيب"

- إسراء: (أمسكت السكينة التي جاء عليها دم فؤاد، ومن بعده دم فهد).

- وردة: يا نهار أسود سم، يعني فهد كده لو محدش لحقه هيموت؟!

- جواهر: أنا كنت هموشه بيها بس وربنا يعلم، ما كنش في نيتي أي أذيه ليه.

- إسراء: ليه مش هو برضو إنتي لسه قايله أنك من المالكية، ودول عمرهم ما حد كان يحاول يؤذيهم إلا وكانوا ياخدوا حقهم منه.

- جواهـر: لـو في نيتي أذى كان زمـان عمك مات، أنا رايحـة أدور على فهد ومش هرجع من غيره.

-قالتهـا لهم وهي مُغادرة القصر بعدما وضعت لفؤاد ما سيُزيل آثار السموم التي صارت بدمائه-

"بدأ حازم يعود سريعًا من غفوته حيث لم تجعله الضربة يغيب عن الوعي، إنما فقط أفقدته توازنه، فقام ثانية تحت أعين إسراء ووردة وفؤاد بيه"

- حازم: إنتوا بتقولوا فهد هيموت؟! -بدأ يتكلم ثانية وهو مُدرك ما حوله جيدًا-

- إسراء: إنت عايز تجنني، إنت أيه اللي كنت فيه من شوية ده.

- حازم: جواهر.

- فؤاد: مالها جواهر؟!

- حازم: دخلت الأوضة وافتكرتني كنت نايم، وحطتلي في كوباية المايه حاجة غريبة

كده، تقريبًا أدوية هلوسة، ومكنتش عايزها تشك فيا عشان أوصل للي هي بتفكر فيه.

– إسراء: تقوم تحاول تقتل فهد؟!

– حـازم: أنا مـا قربتش السكينة منه يا إسراء، الجـرح اللي في بطنه ده جاله من وإحنا في أرض الغجر، أنا بس نبشته بإيدي عشان يرجع يجيب دم من تاني قدام جواهر.

– وردة: يعني السكينة مقربتش منه يا حازم!

– حـازم: لا بس برضـو لازم أعرف السم اللي كان علـى السكينة ده جواهر كانت قاصدة بيه مين.

– إسراء: كانت قصداني أنا يا حازم.

– فؤاد: إسراء؟!

– إسـراء: أيـه مش جواهر دي برضو تبقـى بنت المالكية يا عمـي، ولا إنت تعرف المرازيق كويس ومتعرفش أصلهم واللي جابوهم هنا؟!

– فؤاد: كفاية يا إسراء دلوقتي كفاية.

"فبدأت تظهر آثار مفعول السم الذي صار بجسده، منذ أن غرزت إبرة مُسممة في رقبتـه، حيـث لم يشعـر بها حينها ولم يـرَ أحـدًا آثارها في رقبته غـير طه الخادم فقـط، الذي انقطـع بينه وبين حازم سبيلـه، وبدأت روح حازم شيئًـا فشيئًا تخرج من جسده مع كل قطرة دماء بات يلفظها".

– إسراء: حاااااااازم؟! (صرخت ملأت القصر كله بضجيجها حتى وصل صوتها لمدخل القصر، الذي وصلته في تلك الآونة هَنا وليلى وسمعوا اسمه من صرخة إسراء).

– فؤاد: لا يابني ده كده مش دوا هلوسه بس، دي كده الخدامة قتلتك كمان

"فأسرعـت وردة علـى غرفة جواهر لتمنعها من مُغادرتها والخروج من القصر لكن وجدتها هربت".

أمـا فـؤاد فأسرع على غرفته ليجد ما فيها ينقذ به حازم، لكنه لم يجد أي أثر لأي عقار فيها، فعاد له ثانية بعدما تأكد من عمد الغجرية تركه قتيلًا ورائها، والآن ذهبت خلـف الآخر لتأتي بحياتـه وتنهيها، ووصلت ليلى ومعها هَنا في فـزع على الصالة التي خرج بها فؤاد بحازم وأجلسه فيها.

- هنا: حاااازم! فيك أيه مالك؟!

- وردة:لأول مـرة هقولهالك وبقلب جامد يا إسراء، روحي ورا جواهر الحقي فهد قبل ما يموت.

- ليلى: فهد بيموت؟!

- فؤاد: لا يا بنتي، أوعدك محدش فيكم هيموت، الغجر هما اللي هيموتوا والليلة.

"فقـال فـؤاد تلـك الكلمـات وكان آخـر ما يقوله تحـت سقف قصـر العشتار، وغادرهـم ذاهبًا إلى طريـق القبور يتبع ابنة أخيه إسـراء وفي باله جواهر حيث ذهب ليبحث عنها ليجدها قبل إسراء".

فتركتهـم إسـراء وخرجت مـن أرض العشتـار قبل عمها، حيث كانـت تفوقه خفة ومهـارة متجهة لنواحـي المرازيق، فوصلت لطريـق القبور، وأما حـازم فلم يكن لقلبه أن يهـدأ بعدما غادرت إسراء لأرض الغجر، حيث بعد كل ما رآه منهم خشى عليها من قـدر ينهي مصيرها في أرضهم، فتظاهـر أنه بخير وجذب وردة إليه، وقال لها بصوت منخفض لم يسمعه أي أحد فيهم غيرها:

- حـازم: لو كنتي خايفة علـى إسراء فعلًا، فانا عايز أقولك أنك بعتيها لموتها، ولو عايزاها تعيش خلي عينك على ليلى وهَنا عقبال ما أرجع.

- هنا: حازم!

"نـادت عليه واستوقفتـه والدموع تسير على خديها بغزارة حزينة، لما علمت ما صار به وبفهد".

– حـازم: مـا تخافيش يا هَنا، زي ما فـؤاد قالكم الغجر هما اللـي هيموتوا الليلة مش إحنا.

فتركهم حازم وغادر بجسده المسموم لأرض العشتار، ودخل أرض الغجر لكن تلك المـرة كانت زيارته قد أودت بـه للمكان الوحيد الذي لم تـزوره أقدامه أبدًا، حيث كان مبتغاه أرض الغرب فسار من ناحية طريق المقابر، حيث يوجد منزل بدر الصعيدي أولًا ومن ثم باقي أرض الكهف.

"طريق القبور"

2008/11/27 10:30 ليلا

العهد الذي أخذوه معًا.

سـار فؤاد إلى غُجار التـي حفظها جيدًا عن ظهر قلب، بعد أن داوم زيارتها قديمًا في العديـد من الأحيـان، وكان يعلم تمامًا أين سيجد جواهر التـي تركت ورائها حازم تـودع روح جسـده، وفهـد الـذي أتت به إلى هنـا ليموت هـو الآخر، فوجد عـم إسراء بجانـب الشجرة الضخمة، التي كانت إسراء قد سبقته لها ورأت جواهر بالقرب منها، فإختبئت خلفها لتدراي نفسها من نظرات الغجرية، وتورات أيضًا عن أعين عمها الذي ذهـب ووقف أمام الغجريـة وأعاد عليها ما قد قالوه معًا هنا منذ عشرين عامًا، حينما كان حديثهم تشهده وردة، والآن ستشهده بنت أخيه.

– فؤاد: صرختي فجأة واتخضيتي ليه، أول ما السكينة لمست إيديا يا جواهر؟!

"فتفاجئت بنت الغجر به آتيا عليها من بعيد".

جواهـر: فؤاد؟! (تفاجئـت به وبنفس الوقت عجزت عن الـرد حيث كان خنجرها مسمومًا بالفعل).

– فؤاد: فاكرة ولا ناسية العهد اللي خدته عليكي.

– جواهر: والله العظيم ما كان قصدي أموت بيه حد، والعهد ده أنا عمري ما كنت أقدر أكسره أبدًا.

فوصلت وردة إلى جانب إسراء ووضعت يدها على فمها حتى لا تصرخ بنت نادية، إذ فوجئـت بهـا وصمتوا معًا يستمعون من خلف تلك الشجـرة، التي توارت خلفها وردة قديمـة، لتستمـع إلى كلام الغجر وعهد اثنان منهم قد أخذه الـزوج فؤاد على زوجته، والآن يكرره عليها ثانية ليذكرها به:

– فؤاد: فاكرة يوم ما اتجوزتك يا جواهر إنتي وعدتيني بأيه؟!

– جواهر: فؤاد!

"بدأ الضعف والهزل يسير في جسده، فتمالك نفسه من السقوط ليثبت أمامها ويُكمل بقية حديثه".

عهد الزوجان.

وبـدأ فؤاد يتذكـر ليلة الثامن من يناير، ويعود لها فكـرر بالحرف كل كلمة نطقها لجواهر تلك الليلة

– فـؤاد: "إنتـي حلفتيلـي أنك هتصوني وعـدك معايا بعد ما خليتـك أغلى حاجة ملكتها، ليه مصممه تمشي في طريقهم من تاني".

– فؤاد: ها يا جواهر فاكرة الكلمتين دول ولا لأ؟!

"فبـدأت الغجريـة في مراحـل ضعفها وانكسارها هي الأخـرى، وبدأت دموعها تخرج من عينيها".

– فؤاد: طب فاكرة إنتي قولتلي أيه ساعتها طيب ولا لا؟!

– جواهر: كفاية أبوس إيدك أنا مش حمل الظلم ده كله، اسمعني يا فؤاد عشان خاطري.

– فـؤاد: أقولك أنا إنتي قولتي أيه ساعتها، في نفس المكان هنا أقسمتي أن محدش

فيكـم يعرف حاجة عـن الحكاية دي، والقصـر محدش فيكم ليلتها قـرب منه صح؟! وقولتيلي كمان أن بدريسا أخدت كل اللي معاها وسافروا أسوان، عارفة لولا أني دخلت أرضـ الغجر ليلتها ولقيتها فعـلًا كانت مسافرة، ولسه راجعة مكنتش هصدق ولا كلمة من اللي قولتيها دي

– جواهـر: (انفجرت في البكاء وظلـت على حالتها الضعيفة لا أحدًا معها يواسيها في آلامها).

– فؤاد: يا ترى كان عطية الأعرج فعلًا هو اللي راح القصر ساعتها، وعور وردة في إيديها ولا لأ يا جواهر، ما إنتي خلاص كدبك عليا مابقاش له حدود

فاندهشـت وردة مما سمعت هي وإسراء خلـف الشجرة، حيث بالفعل أبلغت وردة إسراء وهي تحكي لها عن ذكرى تلك الليلة أن الذي كان أمامها بالحديقة سائرا بها، هـو شخص أعرج ومعه شخص آخر، جاء من خلف وردة وحاول قتلها بالخنجر، الذي صدته بيدها وأخذت الضربة فيها بدلًا من أن يستقر النصل في قلبها ويقتلها، فنظرت وردة إلى كفهـا، وكانت علامة ذلـك الخنجر لا تزال مرسومه علـى يديها، أما إسراء فظلـت مندهشـة وحائرة في أمر عمها الذي كانت جدتها علـى حق. حينما ارتابت فيه وخشـت على حفيدتها منه، حيث كان فؤاد طيلة تلك المدة متزوج من غجرية، وأتى بها لتعيش معه في القصر، غير مبالي بطبيعة الغجر وما كانوا دائمًا عليه.

هو الذي أزال دماء وردة.

أما فؤاد فأكمل حديثه لها وقص عليها المزيد:

– فـؤاد: طب ده أنا حتى ليلتها يـوم ما عرفت أن وردة واقفة بتسمعنا خفت عليكي منهـا، خفت عليكي مـن عيلة صغيرة لا تتهور وتيجي تقتلـك ولا حاجة وقولتلك أدخلي إنتي وأنا هتصرف

"ظلت أخبار الفجر تأتي عليهم بالمزيد من الدهشة، فعرفت وردة الآن أن فؤاد هـو الـذي محى آثار دمـاء كفها من على الشجـرة، فور ما غادرت هـي، حتى لا يترك حولها أي شيء غريب يدركه الفجر".

– فـؤاد: خوفـت عليكي من عيلـة صغيرة، وإنتـي ماخفتيش على بنـت أخويا اللي أمنتك عليها يوم ما جبتك تشتغلي عندنا وغيرتلك اسمك.

– جواهـر: لا ترد على أي شيء يقوله لها، وكل مـا عليها هو التماسك قليلًا أمامه حتى تأتي فرصتها وتشرح له كل ما كان غائبًا عن عينه.

– فؤاد: فاكرة ولا لا، بعد كل ده وتعملي فيا كده وفي بنت أخويا كمان،

بدأت إسراء تتحول ثانية لحالتها الغريبة، ومع كل كلمة يقولها عمها تتجمع شياطين الأرضـ الملعونة، التي تقف فيها نحوها وتغُري في عينيها دماء الفجر، فأخرجت إسراء نصـل ميرين من جانبها وأمسكته في يدها وكانـت تهيأ نفسها ببطئ حتى لا تشعر بها وردة وهي بجانبها:

– فؤاد: اااااااااااه –كثرت آلامه عليه

وبدأ وكأنه سيدخل ثانية في غيبوبة–

– جواهر: فؤاااااد !

– فؤاد: خليكي عندك ما تقربيش مني.

– جواهر: ادیني فرصة أبوس ايدك واسمع مني حاجة واحدة بس طيب

– فؤاد: ردي الاول، ليه المسكينة دي كان عليها سم؟!

"فلم تستطع أن تجيبه وصمتت، وحينها كانت إسراء قد استعدت تمامًا ورمقت جواهـر من خلـف الشجرة، وأظهرت نفسهـا فجأة أمام جواهر التـي رأتها ولم يراها فؤاد حيث كان واقفا بظهره لها"

- فؤاد: ردي يا جواهر عليا، ولا وحشك اسمك القديم، طيب ردي يا...

لم يكمـل فـؤاد اسم جواهـر الحقيقي على لسانـه، إلا وجاء له خنجـرًا استقر في جسـده بالتزامن مع ظهور إسراء مـن خلف الشجرة، فصرخت وردة وتجمدت جواهر في مكانهـا ولم تنطق بكلمـة بعدما سقط فؤاد أمامها منتهيًا أمـره، وإسراء قريبة من عمهـا والنصـل الذي في يديها -نصـل ميرين- هو نفس نوع الخنجـر الذي استقر في منتصف ظهر فؤاد وأودى بحياته.

أمـا وردة وهي بجانب إسراء لم تهتـم ولم تلاحظ أي شيء غير فقط غجريا ظهر أمامها فجأة من أعلى السور، الذي بجانب الشجرة وألقى خنجره على فؤاد، فأسقطه صريعًـا وبعدها أخفى الغجـري نفسه ثانية متزامنا مع ظهور إسراء ليوهم جواهر، أن دم زوجهـا في رقبـة إسراء وبعدهـا أدرات وردة وجهها من خلـف الشجرة لتنظر على جواهر، فرأت شيطانـه أمامها آتيه عليهم وإسراء مُرحبه بقدوم الخادمة عليها حيث أعـادت بنـت نادية تمركـز النصل بيدها ثانيـة لتلقي الخادمة به، لكـن وردة أخذتها وهربت بها خارجة من أرض غُجار لكن إسراء توقفت فجأة وأمسكت وردة من ذارعها، وجذبتها وهسمت في أُذُنها بشيئا سمعته وردة وغادرت من طريق آخر تاركة إسراء نحو العشتار.

"خارج أراضي غُجار"

2008/11/27 10:30 ليلا

مقابلته مع العجوز.

بعـد أن خرج فهـد من قصـر العشتار هاربًا مـن جنون حازم، الـذي انقلب عليه وهاجمـه بسكـين جواهر الخادمة، كانت دماء فهد لا يوقف سيرها سبيل حيث من بعد أن فتح حازم له جرحه ببطنه بيده ثانية، كان فهد ذاهبًا بحاله بعيدًا عن عزبة العشتار بأكملهـا وباقي مـا حولها، من أراضي المرازيق فسار فهد علـى مقربة من أرض غُجار وقابـل نفس العجوز، الذي رأه يوم ما طرأت أقدام الطبيب تلك البلدة لأول مرة، حيث التقـى بالرجل الذي حذره من طريق المقابر قديمًـا وأبعده هو وليلى عن دروب غُجار، وكان مـن نصيـب فهد أن يُلاقـي هذا العجوز الأسمـر ثانية لكن قابلـه تلك المرة وهو ينزف بشدة، فقام له الصعيدي من على جانب الطريق، الذي خلى عليهم ولم يتواجد فيه أحدًا غيرهم:

- العجوز: مش قولتلك يابني قبل كده ابعد عن المرازيق أحسنلك.

- فهد: إنت مين؟!

- العجـوز: أنـا اللي شفتك مـن ثلاثة أيام ساعـة مكنت داخل علـى أرض الغجر برجلك إنت والبنية اللي معاك وكان وياكم بنت أهل العشتار كمان وكانت نايمة.

- فهد: -ينهد ولم يقدر على الرد عليه لما صار في بطنه من نزيف حاد-

- العجوز: أيه لساك مش فاكرني يا ولدي، حتى يوم ماجيتوا كان ساعة موت ست أنورين كبيرة قصر العشتار وأكبر واحدة في عيلة ولاد الذوات.

- فهـد: أيوه افتكرتك، إنـت اللي قولتلي ساعتها بلاش أدخل من السكة دي عشان آخرها بدر الصعيدي ومن بعده حي المرازيق، صح؟!

- العجوز: وعملت بكلامي يا ولدي.

- فهد: إنت كنت غلطان، بدر الوحيد اللي وقف جنبي أنا وحازم في البلد دي

"فبدأ العجوز يدخل في نوبات من الضحك المستمرة بعد سماع ما قاله فهد أمامه"

- العجـوز: يـا فهد يا ولـدي بـدر في الأول وفي الآخر مـن المرازيق، حتـى لو مش مصدقنـي، بص كده على بيته اللي قدام عينك اهاه، مش هتشوف حد حواليه ولا بني آدم يقدر يروح ولا ييجي

- فهد: بدر هو اللي قاصد يعمل كده عشان المرازيق جابرينه يعيش وسطهم.

- العجوز: محدش من المرازيق يا ولدي يقدر يجبر غيره على حاجة مش بإرادته.

-يستمر نزيفه وتزداد آلامه عليه وبدأ يلتقط أنفاسه بصعوبة شديدة-

- فهـد: اااااه، وإنـت فاكر إنه مش عايش وسطهم بمزاجـه -يتكلم معه وشحوب وجهه زاد بريقا-

- العجوز: عمر ما حد من المرازيق كان يقدر يمشي كلمة عليه

- فهد: لولا اللي كان حصله زمان بس لا كان زمانه هربان بره الأرض دي من سنين.

- العجـوز: قصدك يعني عشان شافهم زمـان وهما بيقتلوا ثلاثة، وكانوا هيلبسوه جريمتهم دي.

- فهد: أيه؟! إنت عرفت إزاي؟!

"ووسـط حديثهـم ظهرت جواهر، التـي بدأت تسير هائمة علـى وجهها بعدما قُتـل زوجهـا أمامهـا، وعلقت ذنب روحـه في رقبة إسـراء، التي أخذتهـا وردة وهربت بهـا، فسـارت الغجرية نحو القصر حتى تعود لمن فيه متخـذة من طريق المقابر مسلكًا لها إلى العشتار، فوجدت في طريقها عجوز غريب يجلس مع فهد، الذي يلتقط أنفاسه الأخيرة، فلمحها العجوز ولم يرَها فهد حيث كانت آتيه من خلفه بالقرب من منزل بدر الصعيدي، فتوارت عن أعين فهد حتى لا يراها مثلما فعل العجوز".

– العجـوز: غلطتك يا ولدي أنك آمنـت، واللي يآمن حتى لو لخياله وهو جوه أرض الغجر، يبقى يا ألف رحمه عليه.

– فهد: إنت مين؟!

– العجوز: عيبك أنك نسيت أن بدر كان فعلًا بقى غجري، وطبعه خلاص بقى من طبع المرازيق.

– فهد: إنت؟!

"ولم يكمل فهد حتى وجد العجوز ينهض واقفًا أمامه، وألقى بالشال الذي كان يداريـه من علـى رأسه وخلع لحيتـه البيضاء، التـي كانت ملصقة علـى ذقنه، ومسح جبينه فزال السمار من عليه".

– فهد: بدر؟!

– بـدر: اه بدر يافهد آخر مرة قولتلكـم تخرجوا فيها من هنا، ماتجوليش تاني ولا تقربوا من أرض المرازيق خالص، أيه اللي كان رجعك من تاني يابني؟!

– فهد: أقتلكم.

– بدر: تقتلنا؟!

– فهـد: عشان الغجرية اللي كانـت عايشة وسطنا دي عمت عين حازم عني وخلته يهلوس لحد ما كان هيقتلي.

– بدر: وإنت فاكر مجيئك هنا نجاك من قدرك؟!

– فهد: ما أنا كده كده ميت، حازم ماخدش باله أني اتعورت بجد من خنجر جواهر.

– بدر: خنجر الخدامة؟!

– فهـد: كنت متأكد أنـه متسمم، وعشان كده كُنت بحط منـوم في الأزايز اللي في القصر، عشان أمنع إسراء إنها تيجي هنا، وبالمرة أعرف اخد من جواهر السكينة اللي عايز تقتل إسراء بيها دي.

– بدر: وفكرك بعملتك دي إنت كده لحقت إسراء من إيدين الخدامه؟!، غلطان يا ولدي عشان لا إسراء أجلها هيطول، ولا إنت هتعرف تاخد حاجة من الخدامة، عارف ليه؟!

– فهـد: –لم يستطع أن يـرد بكلمة أخرى على الصعيدي، فنظـر له فوجده مُقبلا عليه ومعه نهايته–

فأخـرج الصعيدي خنجرًا مـن جانبه يحمله مثله مثل باقـي المرازيق، وأنهى على فهـد حياته تمامًا، فأظهرت جواهر نفسها من خلف بيتـه، بعدما رأته ينهي حياة فهد فسارت نحوه ببطأ وقالت له:

– جواهر: حياة حازم كمان يا بدر، وساعتها هتبقى من المرازيق بجد.

– بـدر: مـن غير ما تقولي، أنا أساسًا كنت عايز التاني ده من بدري، إنما إنتي أيه اللي رجعك.

– جواهر: ادخل شيل جثة فؤاد من جوة.

– بدر: أيه؟! مين اللي قتله؟!

– جواهر: ادخُل شيلها يا بدر وهاتها تندفن وسطنا هنا، روح

فسـار بدر لداخل أرض غُجار ليحضر جثمان فؤاد زوجها حتى يدفنوه في مقبرتها التي تجاور مقبرة بدريسا، ونظرت الخادمة لجثمان فهد وحدثته كأنه مازال حيًا:

– جواهر: يا خسارة شبابك، هتحسر عليك وعلى اللي هيروح وراك بقية عمري كله.

"وأزاحـت وجههـا بعيدًا عنه وأتت أمامها إسـراء في عقلها، فقالت كأنها تقف أمامها وتكلمها".

– جواهر: أما إنتي يا إسراء مفيش دمعة واحدة هتنزل من عيني عليكي.

فتنـدم جواهـر على كل ما حدث لها داخـل العشتار، حيث كل ما قـد بدر منها ما إلا مُساعـدة لـكل من في العزبـة وحماية لهم مـن إيدي الغجر، حيـث كل ما قد فعلته

مـن أجل أهل العشتار، لاقت منـه اتهامات كانت هي بريئة منها في أول الأمر، وصارت الآن ترتكبهـا عن عمد، حيث حينما رأها فهد أول مرة وهي تضع أشياء غريبة في مياه القصـر قـد كان في الحقيقة مصـل تأتي هي به خلسـة من أرض غُجار مـن آن لآخر وتضعه حتى إذا أصاب أيًا من بالقصر سم من سموم الغجر، تُنجيه منه الخادمة بتلك العقاقـير التي تضعها خلسه لهـم، والتي حينما رأها فهد وهي تضعها ظنها سموما قد أودعتهـا تلك الخادمة في الزجاجات، لتُنهي حيـاة أهل القصر أجمعين، وبناء على ما رآه الطبيـب فإنـه بدأ بتنفيذ الفعلة التي أوقفتـه وردة، وانفردت به لتطلبها منه، حيث كان مطلب بنت عشمانة حينها هو أن يضع الطبيب مُخدر في الأكل والمياه لإسراء، حتى يمنعوهـا بتلك الحيلة عن الذهـاب لأرض الغجر، وبذلك يمنعـون عنها سبل الأخطار التي تُعرض بنت نادية نفسها لها.

وبعد ما لاقته الخادمة من تلك الإتهامات التي ألقاها عليها فهد وكل من بالقصر حاولـت هـي إقتناص أي فُرصة حتى تُبعده عن القصـر وحينما وجدته يضع مُخدر في الميـاه لإسـراء ذهبت هي مُسرعه إلى غُرفـة بنت نادية وأوهمتهـا أن فهد يضع لها ما يُسممهـا حتى يتخلص منهـا، وبذلك تكون قد أبعدت الطبيـب أول الذين يلقون عليها بالاتهامات في القصر، ولم يبقَ لها غير حازم.

حيـث كانت فعلة الغجرية وقتها بنية سالمة مـن أي أذى لزوج رؤى، فحينما ذهبت له في غُرفته وهو نائمًا كان ما وضعته له في الماء وما حقنته به هو مُخدر وعقار هلوسه، حتـى تجعله يظل نائما وسجينًا بين هلاوس عقله وأحلام غفواته وبذلك فلا مخرج له ولا سبيل بينه وبين غُجار.

"ناحية الكهف الغجري"

10:45 2008/11/27 ليلا

إلى يوم ألقاكي يوم أبُعث...

ســار بــدر على سكة الأرض التــي كان محرمًا عليه من قبل دخولهــا، ولكن بعد أن يخلص المرازيق من فهد وحازم سيعيش بالداخل معهم ويعود واحدًا منهم، وفي طريقة بالقرب من أرض الغرب وجد الصعيدي ما كان يشتهيه، فرأى حازم على مدخل الأرض الغربية غير قادر على الوقوف ليكمل سيرة ناحية الحي الغجري لينقذ إسراء وفهد من جواهر وبقية المرازيق، لكن يد الصعيدي كانت قد سبقته إلى فهد وانتزعت منه روحه، وأول مــا رأه بدر وضع جثمان فؤاد جانبًا وسار إليه ليجده منتهيًا تمامًا حيث أنهى سم الكاهنــة عمله في جسده، وانتشر في كل عروقه وبدأ يطرد روحه خارج جسده، فاقترب عليــه بدر بعدمــا استطاع ولأول مرة أن يلقي بأقدامه لداخــل أرض الغرب، وتكلم معه بلهجة باردة ودم أبرد، كأن رؤية موته هو ملذته وما تمناه في تلك الدنيا:

- بدر: أيه خلاص روحك العندية بتفارق جسمك.

- حازم: بدر!

- بدر: بدري عليك إنت يابني، كان بأيدك تمشي وتبعد نفسك عننا، لكن أيه اللي جبرك على كده غير نشفان دماغك، أنا معرفش.

- حازم: إسراء، إسرااااء.

- بدر: لا اطمن ماهي هتحصلك إنت وفهد قريب اطمن.

"بدأ كلامه يخرج بصوتا مبحوح لم يسمعه بدر إلا إذا اقترب عليه بأذنيه"

- حازم: فهد فهد!

- بــدر: مش إنت اللي قتلته يا حازم من بعــد اللي عملته فيه في المطبخ، إنت ناسي ولا أيه.

- حازم: محصلش لا محصلش.

- بدر: لا يابني حصل وبسكينة جواهر المسمومة كمان.

- حازم: ماجتش فيه، ماجتش.

- بـدر: لا يا ولدي جات، جات وإنت مش واخد بالك، وصاحبك خلاص راح وفاكر أنك إنت اللي قتلته

"زاد حديث بدر من آلام حازم فبدأ يبكي أثناء ما كانت روحه تودع جسده"

- حازم: قتلته ليه يابدر؟! ليه، عملنالك أيه ده إحنا لحقناك من الموت ده جزاتنا؟!

- بدر: غلطتكم يابني، أنا قولت لصاحبك قبل ما يروح.

"فأمسكه الصعيدي بعنف وشدة من شعره ورفع رأسه أمامه لينظر في عيني حازم".

- بدر: اللي يأمن للمرازيق، حياته ما يتأمنش عليها.

- حازم: (فأفلت الصعيدي رأسه ليسقط جبين حازم في الرمال ثانية، وهو يبكي بشدة).

- بدر: عارف أنا مش هعذبك زي ما سيبت صاحبك روحه تطلع لوحدها، اه أصل المرازيق ما بيقتلوش حد، هما بس بيجهزوه للموت ويسيبوا روح تطلع لوحدها.

- حازم: -فبكى حازم أكثر بعدما أتت أمامه صورة رؤى وتذكر أيامها معه-

- بدر: بس عارف، إنت بسبع أرواح ما يتأمنش عليك حتى لو كنت بين إيدين الذئب اللي مربوط في الكهف اللي وراك ده، وكل ليلة يزعجنا بصوته

"كانت رؤى تبكي عليه بحرقه مُتمنية من الله أن يأخذ روح زوجها، وينهي عليه هذا العذاب".

- بدر: بس أنا حبيتك يا حازم وإنت عارف كويس، وعشان كده مش هسيبك تتعذب تاني. تأتيه روح رؤى لترافقه في رحلته للسماء.

فأخـرج الصعيدي من جيبه حقنة معبأة بسائل غريب، وحقن حازم في رقبته بها،

فهوت رأسه على الرمال فورًا وتوقفت أنفاسه، وانتهى نبضه وخرجت روحه من جسده، لتجـد رؤى في انتظارها، فأخذت رؤى روح زوجهـا واصطحبتها معها للسماء، فظهرت جواهر من وراء بدر وربتت على كتفه:

- جواهر: دلوقتي بس بقيت واحد مننا يا بدر.

"فرفع عينه له وفيها دموعًا قليلة وتبسم لها وكان سيبدأ بالحديث، لكنها أسكتته"

- بدر: كده ناقص إسرا؟!

- جواهـر: بـدر! إسراء دي بتاعتي أنا، اللي هياخـد روحها فيكم غيري هيحصله زي فهد وحازم.

فدق قلب الصعيدي من لهجة الغجرية معه، وسار وترك جثمان حازم بمكانه وسار إلى جُثـة فؤاد، أولا فأخذها عنده بالبدروم، ومن ثم ذهب وأحضر أجساد حازم وفهد ووضعهـم مع فؤاد بالأسفل، وبدأ في تجهيز جُثمان فؤاد أولًا ومن بعد سيبدأ في الاثنان الآخران، حتى يُدفنوا مع من انتهت مصائرهم في قبور تلك الأرض.

"أرض العشتار"

2008/11/27 10:45 ليلا

عودتها للقصر.

جلسـت ليلى وهَنـا بالقصر بعد أن تركهم حـازم وغادر فتفاجئـوا بإسراء ثانية، عائـدة لهم من ناحية الأرض الغجرية، ووجدوها تجري إلى المطبخ حيثما كان يتواجد فهد مباشرة قبل هروبه:

- ليلى: إسراء؟!

"قامت ليلى تجري هي وهَنا وراءها، ورأوا إسراء تفتش في كل مكان في أرضية المطبخ"

- هنا: في أيه يا إسراء فهميني.

"فوجـدت إســراء ما كانت تبحث عنه وأظهرتها أمام أعـين ليلة وهَنا، وحينها وصلت وردة هي الأخرى للقصر ودخلت إليهم".

– وردة: أيه يا إسراء، لقيتيه؟

– إسراء: اه يا وردة؟

– ليلى: ده المُهدئ اللي فهد كان بيحط منه لحازم بعد موت رؤى، وتقريبًا جرعات زيادة منه بتنيم.

– إسراء: يعني ده اللي فهد كان طول الفترة دي بيحطلي منه، عشان يمنعني أخرج من القصر.

– هنـا: هو وحازم كانـوا خايفين عليكي، وكانوا قايلين لنا علـى كل حاجة. قبل ما يحطوهولـك من غير مـا تعرفي، عِندك ومرواحـك أرض الغجـر ده مكنش في طريقة توقفك عنهم غير كده.

– وردة: يعني فهد كان قاصد بالدوا إنتي و...

– إســراء: وجواهــر كمان يـاوردة وجواهر، كان هو كمان شـاكك فيها زي ما كنت أنا شاكة

"فتُفاجئها وردة بخبر آخر قالته لفهد فور ما عاد بحازم وهو مصاب من أرض غُجار.

– وردة: أنا اللي قولتله يا إسراء –حينما استوقفته وردة كانت لتطلب منه فعل هذا–

– إسراء: إنتي؟!

– وردة: كنـت قصداكـي إنتي كمان بالـدوا ده، عشان يوم ماتاكلـي او تشربي أي حاجة تنامي وساعتها أقدر أقفل عليكي الأوضة وأمنعك خالص من المرواح للغجر،

"فتسـرح إسـراء بفكرهـا في حال حـازم وفهد الذين لا يعرف أحـدًا منهم ما حدث لهم"

– وردة: لكـن خلاصـ يا إسـراء، خلاص من دلوقتي ورايح أنـا اللي هسبقك على أرض الغجر.

– إسراء: جواهر مفكرة أن أنا اللي قتلت عمي.

ففزعت ليلة وهَنا مما قالته عليهم صديقتهم وباتوا غير مُدركين لأي شيء يحدث حولهـم، فبـدأت هلاوس هَنا تظهر عليهـا كأن حازم قد أورثها تلـك الهلاوس قبل أن يُغادرها للأبد:

– هنا: عمك قتلتي قتلتيه يا إسراء.

– إسراء: اهدي يا هَنا، اهدي.

– ليلى: تهدا أيه، إنتي واعيه للي قولتيه ولا لا؟!

وقبـل أن ترد عليهـا إسراء أتاهم حسين من الخارج مُسرعًـا تتقطع أنفاسه، كأنه يهـرب من شيء فدخل عليهم وسقط أرضا من شدة تعبه، الذي حل به، فأسرعت إليه إســراء ووردة، وانشغلت ليلـى بهنا التي أغمى عليها، ودخلـت في غيبة طويلة، وأبلغهم حسـين بمـا سمع في أرضـ غُجار، حيـث كان بها فنظـرت وردة وإسـراء إلى بعضهم وصمتـوا قليلًا، ثم قامت إسراء وذهبت لليلى وهي مشغولة بهنا، فضربتها من الخلف على رأسها لتُسقطها هي الأخرى بجانب هَنا، وحينها وصل رجب زوج وردة حيث بعدما قـرأ رسالـة زوجته أتـى للعشتار، حيث ترك بنتـه مع جيرانه وأتى علـى الحال فدخل عليهم ووجد ليلى وهَنا في غياب تام وتحدثت له زوجته حينها:

وردة: رجب!

– رجب: الرسالة اللي بعتهالي جايبنن على ملى وشي، قريتها بعد ما البنتين نزلوا من عندي.

– وردة: طب الحمدلله أنك جيت إحنا لازم نسيب القصر حالًا.

- رجب: نعم، ليه في أيه؟!

- حسين: أرض الغجر مقلوبة والمالكية على وصول.

- رجب: مين؟!

- وردة: ودي هَنـا العربيـه يـا حسين، وإنت يـا رجب شيل ليلى قدامـي إحنا لازم نسيب القصر فورًا.

- حسين: وإسراء؟!

- وردة: سيبهـا يا حسين مـا تخفش هتحصلنا بعد ما تجيب حازم وفهد، يلا إحنا بس دلوقتي.

لم يكـن قد وصل لأحد من قصر العشتار، ما انتهت به أقدار حازم وفهد، فغادرت وردة مـع زوجهـا في سيارة فهد ومعهـم ليلى وهَنا كما هم علـى حالتهم في غياب تام، وفي السيـارة الأخرى كان مفترضًـا أن يأتي بها حسين خلفهم، لكنه أخرج السياره من قصـر الشعتار وأخفاها ونزل عائدًا ثانية للقصـر، مُختفيا بحاله عن إسراء التي وإن علمـت بوجوده معها لن تتركه حتى تجعله يُغادر مع وردة ورجب وفي البر الآخر البعيد، حيـث ذهبت وردة لمنزل حارة مصباح بالبر الشرقي، صارت بنت نادية وحدها بقصر العشتـار الذي خلا عليها بدروبـه وأراضيه، وحسين لا يُعرف له مكان مُحدد في العزبة بأكملهـا، وفي سكون غريب وهدوء انتشر في قصر العشتار بعدما غادره الجميع، دارت إسراء في أنحاء القصر الكبير مُطفئه لكل أنوراه ومُعقة لكل أبوابه حتى صارت العزبة القريبـة مـن المرازيق حالها كحال أرض غُجار في عيمتهـا وسكونها وإسراء جالسة في منتصف القصر المُظلم عليها مُمسكة بنصل ميرين مُنتظرة قدوم الغجر لها، مُترقبة مصيرها بمفردها.

"غُجار"

2008/11/27 11:00 ليلا

بنادر.

عـادت بدريسا ثانية من كنيسة مريم على عجـل إلى أرض غُجار، فوجدتها خالية على حالها من كل إنس، فعلمت أن طريق المالكية لم ينتهِ عليهم بعد حتى يصلوا لغُجار فـدارت علـى منازل الغجر أجمعـين، وأمرتهم بالبقاء فيها، وعـدم تركها لأي حال إلا بأمرهـا ومـن سيبـدل أوامرها ستقتله بيدهـا، وبعد أن انتهت منهـم أجمعين صعدت لمنزلهـا فوجدت ميريـن وجانبها طه، هي نائمـة على سريرها وطه علـى باب غُرفتها جالسًـا حتى إذا احتاجت الفتاة لأي شيء أجابهـا، فنادته بدريسا ليأتي لها بعيدًا عن ميرين وكان لأول مرة قد لاحظ نبرة رعشه وخوف تسري بلسان الغجرية:

– بدريسا: طه افهمني كويس، ميرين ماتخرجش من أوضتها خالص، إنت سامعني البيت ده ما أشوفش حد فيكم براه الليلة ده إلا بأمر مني أنا بس سامعني، أنا بس

– طه: يومئ لها برأسه على كل ما تقوله غير مدرك لما سيحدث.

– بدريسـا: اقفل الباب عليها بالمفاتيح يـا طه كمان، ولو أي حاجة حصلت ولقتني بشاورلـك، خدها وأهرب بيها من الباب تاني، إنـت سامعني لو حد غيري دخل البيت خُد ميرين واهرب بيها.

– طـه: (بدأت رعشة تسير في جسده هو الآخر، وامتلأ قلبه خوفًا ورعبًا، مثله مثل كل من في غُجار، لا يدرون بأي شيء ستأتي تلك الليلة عليهم وعلى أرضهم).

وحينما صعدت بدريسا لغُرفتها أرسلت لعطية فأتى لها في الحال:

– عطية: أيه يا بدريسا جبتيني على ملئ وشي كده ليه؟!

– بدريسا: أي حاجة هتسمعوها الليلة بتحصل بره غُجار يا عطية، ما تخرجوش،

مش عايز حد يشوفكم ولا حد فيكم يشوف حاجة سامعين؟!

- عطية: في أيه يا بدريسا؟!

- بدريسا: المالكية خرجوا، وزمانهم على وصول

- عطيـة: -لم يتحمـل سماع منها هذا الخـبر، إلا وجرى على عزيـز ليغلقوا هما الاثنان جميع بوابات مداخل أرض غُجار ومن بعد بوابة الحي نفسه عليهم-

وتركتهـم بدريســا بعدما نشرت أخبار المالكية بينهم أجمعـين، لكن آتت لها فايزه ومنال الذين يعيشون معها يخدمونها في أحيان وأحيانا أخرى يجلسون في منزلهم معًا الذي بجوراها.

-فايزة: في أيه ياستي أيه اللي هيحصل؟!

- بدريسا: ما تخافيش يا فايزهة إنتي وأختك، محدش هيعملكم حاجة.

- منال: أنا مش خايفة منهم، أنا خايفة عليكي.

"فنظـرت لهـا بدريسا وضحكت على كلامها حيث قالتهـا منال فجأة بتلقائية، كأن آذانها لم تقع يومًا على خبر للمالكية"

- بدريسا: طب يلا يا منال خدي أختك وباتوا في أوضتكم النهارده؟!

- منال: لا يا ستي أنا مش هقدر أسيبك.

- بدريسا: قولتلك يلا يا منال، يلا اطلعوا ومهما يحصل مش عايزة ألمح أي واحدة فيكم...

"ظهـرت أنـوار غُرفة بدريسا فجـأة ثم انطفأت ثانية فقامـت فايزة ومنال في خـوف وابتعـاد عنها أما بدريســا فظلت مكانها في الصالة تنظـر إلى باب غرفتها، ثم نظرت لهم وأمرتهم بالمغادرة

- بدريسا: فايزة خدي أختك واخرجي.

- منال: لا يا ستي أنا مش هسيب...

"فانفعلت بدريسا عليها وعلى صوتها فجأة"

- بدريســا: قولتكم أخرجوا، فأسرعت منال وتبعتها فايزة نحو منزلهم وذهبوا له وأغلقوه عليهم.

وسارت بدريسا لترى من الذي يُعيد نفسه ثانية، لداخل منزلها وأتى ليُثير ألاعيبه عليها.

فذهبـت لتغلـق باب منزلها جيـدًا، ونوافذه حتـى تجعل شقتها خاليـة عليها هي، الـذي بغرفتها فلا يخرج من المنزل أحدًا ولا يدخل عليها غريبًا آخر، وبعدها وقفت في منتصف الصالة وتحدثت:

- بدريســا: أن كنتي إنتي يا شفاعة من تـاني وجيتي برجلك أرض الغجر، أوعدك أنك مش هتخرجي منها.

"فأنـيرت أضواء الغرفـة ثانية وبعدها انطفأت، لتثور مشاعر بدريسا أكثر نحو الغضب والحيرة".

- بدريسا: محدش اتربى في الضلمة ادي ولا عنيه شافت العتمة زي ما شوفتها أنا، أن كانت عنيكي لساها بتحب الضلمة يا شفاعة قوليلي

"فكلمتها الغريبة التي تجلس بداخل غرفتها".

- الغريبــة: أنا مشـ شفاعة يا بدريســا، شفاعة -الله يرحمهــا- وإن كنتي بقيتي تكلمي الأموات فدي حاجة جديدة على المرازيق يا بنت زين.

"فأتــى على آذان بدريســا صوتًا قد حُرمت منه منذ عشرين عامًا، لكنها ظلت غير متأكدة من نبرته، فتحدثت سريعًا وسألتها:

- بدريسا: مين اللي جوا؟!

"فأظهــرت لهــا الغريبــة نفسها من داخـل الغُرفة وأتت عليهــا من بين ظلمات العتمة إلى النور".

- الغريبة: أنا يا بدريسا.

"فتمالكت بدريسا نفسها وأخفت مشاعرها بداخلها".

- بدريســا: مــين! خدامة ولاد الــذوات! -تكلمت في نبرة مــا استطاعت أن تتمالك نفسها فيها أبدًا-

- جواهــر: لا الخدامــة ماتــت وسنينهــا راحت معاهــا خلاص يا بنــت زين، اللي قدامك دي دلوقتي بنادر.

- بدريسا: أختي ماتت يوم ما رضيت تسيبني وتبعد عني، ماتت بعد ما حبت واحد غريب علينا.

"فتضع بنادر عيناها أرضًا حينما بدأت تؤنبها أختها الكبيرة على فعلتها قديمًا"

- بدريسا: من يوم ما اسمك اللي أختارتهولك يوم ولادتك رميتيه هو كمان وبقيتي جواهــر، موتــي في عنيا رسمي يا بنت زين، ومكنش هيبقــالي غير أني أجيبك وأدفنك هنا وأرتاح.

- جواهر: وبنادر رجعت قدامك من تاني أهي، هترميها ولا هتاخديها في حضنك.

- بدريسا: وحضن الأغراب اللي فارقتيني عشان تروحيلهم كان أيه؟!

- بنــادر: وهم وغلطت وصدقته، عيشت فيه عشــان اللي كان بيحميني وعايش بيا مستكفي شر اللي حواليه، لكنهم قتلوه.

- بدريسا: من ساعة ما هربتيه من البيت عندي وهربتي معاه، وإنتي اتمحيتي من بالي يا بنادر.

- بنادر: عمرك ما كنتي هتقدري تنسي أختك ولو للحظة يا بدريسا.

- بدريســا: لا أقــدر، أقدر إذا كانت أختي نفسهــا استغلت ضعفي يوم ما اترجيتها عشان تقعد وسابتني وهربت، خلتيني أخرج وراكي يومها، عشان البيت يخلى على فؤاد

هــا، وتــو ما بقيت أنا وإنتي بره زقتيني ولأجل ما تهربي إنتي كمان، ومن بعدها جالولي أنك عايشه في أرضهم.

– بنادر: وأنا قدامك ومعاكي حاجة من الاتنين، يا تسامحيني يا تطبقي عليا عهد الغجــر وتموتيني في الحالتين مش هتفــرق، أقله أروح لفؤاد الراجل الوحيد اللي اتملك قلبي وعاش عشاني.

– بدريسا: أيه اللي رجعك يا بنادر؟!

– بنادر: إسراء.

– بدريسا: مش دي اللي كنتي بتفديها بعمرك، ومكنش حد من الغجر بيقرب منها لأجل خاطرك.

"فبــدأت ملامح بنادر تتحــول مثل أُختها للسواد وبدأت عيناها تحَمر كلما أتت أمامهــا سيرة بنــت نادية تلك، فتمالكت بدريسا نفسها بعدمــا لاحظ على أُختها عودة الشيطــان لهــا ثانية، وصارت على عادتهــا القديمة، حينما كانت بنــادر غجرية تعيش معها وبين بقية الغجر منذ زمن".

– بنادر: كنت غلطانة، النار اللي رميتها بنت نادية في قلبي مش هتنطفي أبدا.

– بدريســا: ولا أنا كمــان يا بنت أبوي، اللي عملته بنت الــذوات في الغجر، معشش علــى عقلــي ومش مخليني عارفــة أفكر في حاجة غيرهــا، قولي على اللــي عايزاه يتم وهيحصل يا بنادر؟!

فجاء شيطان بنادر الذي سكن روحها وظهرت ملامحه مبتسمة على وجهها بعدما علمــت أن أختها بدريسا أعادتهــا ثانية وسط الغجر، فقالت السمــراء بدم بارد وقلب تغلبت عليه روح الانتقام:

– بنادر: روحها

سيد أهل مشارق الأرض ومغربها

"على أبواب غُجار"

ليلا 11:00 2008/11/27

وصولهم.

وسـط جلوس بدريسـا في منزلها مع أختها التي عادت لهـا بعد غياب طويل، سمع الاثنـان عـواءً لم ينقطع لذئب غُجار، حتـى ظنت بدريسا أنه يسـير بالأسفل في الحي وبـين منازلهم، فهبت بنادر لتفتح النافذة ففوجئـت بمنظر الغجر أجمعين، كلًا منهم في منزلـه خائفين، ولم يمس الرعب قلوبهـم في أي ليلة مضت مثل تلك الليلة المشئومة علـى غُجار وأهلهـا، فصرخت بنادر علـى بدريسا التي أتت لهـا مسرعة، ونظرت من غرفتهـا إلى ناحيـة الأرض الغربية، فسمعت صـوت أقدام تدب عليهـا تهتز لها بيوت غُجـار بأكملها، حتى كادت تنهـدم عليهم، فنزل المرازيق مـن منازلهم ولم يستطيعوا إبقـاء أنفسهـم فيها أكثر من ذلك، وتجمعوا في وسط ساحة الحي الغجري؛ فخرج طه مـن غُرفة ميرين وكان آتيًا على بدريسا من الطابق الأعلى بالمنزل، وحينما وصل أمام شقـة الغجرية أشارت هي له بما كانت قـد أمرته، فعاد الخادم لأخذ ميرين ليهرب به مـن أرضـ غُجار كلها، ونزلت بدريسـا من على الدرج الذي كان يهتـز تحت أقدامها، وسارت وسط الغجر الذين كانوا ينتظرونها أجمعين كأن لا خلاص لهم إلا على يديها، وأول مـا جـاءت ووقفت وسطهم، حل الصمت عليهم جميعًـا وباتوا يستمعون فقط إلى عواء ذئب الكهف، الذي أدركت بدريسا أنه حُلت قيوده، وخرج يطيح في الأرض الغربية يجـري فيها وسببت أقدام تلك الدابة الضخمة اهتزاز قلوب الغجر بأكلمهم، فتركتهم بدريسـا وفتحـت بوابة الحـي الرئيسية، وخرجـت وحدها ذاهبـة إلى الأرض الغربية ووصلـت أمام بوابتهـا فوجدت، ذئب غُجار طليق العنان يجـري داخل أرض الغرب في

كل مكان، وكأن الأرض نفسها صارت ترتعش رُعبًا من سير أقدام هذه الدابة الضخمة عليها، حتى صارت غُجار تُعلن له الطاعه كأنه هو سيد أهل مشارق الأرض ومغاربها.

فظلـت بدريسـا أمامـه تُملي عيناها منه، حيـث فات عليها الكثير مـن الوقت ولم تلتـقِ عيناها بـه وظلت الغجرية سارحـة أمامه، وهو جامحًا لا يعبأ لمـا بات يحدثه في أرضـ الغجر، ولا حتى لما ألقاه من رعب وخوف في قلوبهم، حتى سمعت بدريسا ما بدأ يسحبهـا خارج تلك الغفوات، ورأت بنـادر أختها قادمة عليها من بعيد تجري في خوف وقلـق، وفور مـا وصلت لها عند بوابـة أرض الغرب ألقت علـى مسماعها الخبر، الذي تيقنت بدريسا من قدومه.

بنادر: المالكية وصلوا يا بدريسا.

انتهت...

إلى بقية الحكاية في الجزء الثاني

"أرض غُجار"

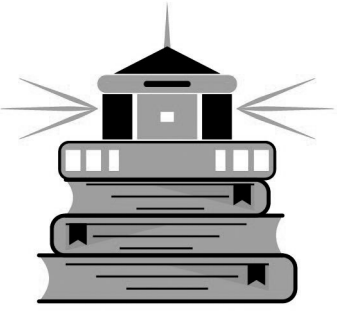

منشورات الفنار

ترحب منشورات الفنار دائمًا بآراء، ومُقترحات قرائها الأعزَّاء، وتدعوهم دومًا لإفادتنا بملاحظاتهم لتطوير منتجها الثقافي على الدوام

راسلونا عبر بريدنا الالكتروني

elfnaar@gmail.com